

دليل المسافر إلى المجرة

رواية

ترجمة: أماني لازار

دوغلاس آدمز

DOUGLAS ADAMS

مكتبة

Telegram Network

2022

«المكتبة النصية»

قام بتحويل كتاب:

(دليل المسافر إلى المجرة)

لـ « دوغلاس آدامز »

إلى صيغة نصية:

(فريق الكتب النادرة)



دليل
المسافر إلى المجرة

دليل المسافر إلى المجرة

دوغلاس آدمز

ترجمة: أماني لازار

دار كلمات للنشر والتوزيع

البريد الإلكتروني:

Dar_Kalemat@hotmail.com

الموقع الإلكتروني

www.kalemat.com

ردمك: 1000002009

دليل
المسافر إلى المجرة

دوغلاس آدمز

ترجمة:
أماني لازار

2021



1

كان المنزل يقع على تلة صغيرة جدًّا عند طرف القرية. كان منزلًا وحيدًا يطل على امتداد رحيب من الأرض الزراعية في منطقة ويست كانتري. لم يكن منزل لافتًا للنظر قط، كان عمره ثلاثين عامًا، مربع الهيئة، متهالك، مبني من القرميد، في واجهته أربع نوافذ أخفقت في إمتاع الناظر إليها من حيث الحجم والتناسق على حدٍ سواء.

كان آرثر دنت الشخص الوحيد على الإطلاق الذي عنى له المنزل شيئًا، ليس لأي سبب آخر سوى أن الأمر صادف أنه الشخص الذي أقام فيه قرابة ثلاث سنوات منذ أن غادر لندن، لأنّها جعلته متوترًا وسريع الغضب. كان في الثلاثين من عمره أيضًا، طويل القامة، وداكن الشعر، ولا يهنأ له بال على الإطلاق. أكثر ما كان يقلقه هو حقيقة أن الناس اعتادوا على الدوام أن يسألوه عن الأمر الذي يبدو قلقًا جدًّا بشأنه. عمل في إذاعة محلّيّة. اعتاد دومًا أن يخبر أصدقاءه بأنها على الأرجح أكثر إثارة للاهتمام مما كانوا يظنون. بالمثل أيضًا، عمل معظم أصدقائه في مجال الدعاية والإعلان.

أمطرت ليلة الأربعاء بغزارة فكان الزقاق مبتلًا وموحلًا، لكن صباح يوم الخميس تبين أن الشمس كانت مشرقة وصافية عندما سطعت على منزل آرثر دنت للمرة الأخيرة.

لم يكن آرثر قد لاحظ بعد - كما يجب - أن المجلس يرغب في هدم المنزل كي يبني مكانه تحويلة طرقية.

لم يشعر آرثر عند الساعة الثامنة من صباح يوم الخميس بأنه على خير ما يرام. استيقظ بفتور، نهض، تجول بفتور حول غرفته، فتح النافذة، فرأى جرافة. عثر على خفّيه، ثم ذهب إلى الحمام ليغتسل.

وضع معجون أسنان على الفرشاة، ثم بدأ الفرك.

عدل مرآة الحلاقة الموجّهة نحو السقف. عكست للحظة جرافة أخرى عبر نافذة الحمام. عدل المرآة تعديلًا مناسبًا فعكست شعيرات آرثر دنت الكثة. حلقها، واغتسل، وتنشف، وخطا نحو المطبخ ليجد شيئًا سائغًا يضعه في فمه.

غلاية، فيش كهرباء، برَّاد، حليب، قهوة.

تثاءب.

تجولت كلمة **جرَّافة** في عقله للحظة بحثًا عن شيء لتقترن به.

كانت الجرافة المرئية من نافذة المطبخ كبيرة جدًّا.

حملق إليها.

فكَّر: «صفراء»، وعاد غاضبًا إلى غرفة نومه لارتداء ملابسه.

عابرًا الحمام، توقف لشرب كأس ماء كبيرة ثم أخرى. بدأ يستريب كونه مخمورًا. لماذا كان مخمورًا؟ هل كان يشرب ليلة أمس؟ افترض أنه لا بد كان يفعل ذلك. ألقى لمحة خاطفة إلى مرآة الحلاقة. فكر، «صفراء»، وذهب نحو غرفة النوم.

وقف وفكر. الحانة، فكر. أوه يا إلهي، الحانة. تذكر أنه كان غاضبًا، غاضبًا من أمر بدا مهمًا. كان يحدث الناس عنه، يحدث الناس عنه بإسهاب مطول، اشتبه في الأمر قليلًا: كانت أوضح ذكرياته البصرية عن نظرات زجاجية على وجوه أناس آخرين. حديث عن تحويلة جديدة اكتشف أمرها لتوه. كانت قيد الإعداد والتجهيز أشهر عدة، لكن لم يبد أن أحدًا عرف بأمرها. سخيف. تناول جرعة ماء. سوف يتضح الأمر، قرر، لم يكن أحد يريد تحويلة، لم يملك المجلس إلا حججًا واهية. سوف يتضح الأمر من تلقاء نفسه.

مع ذلك، كان ما نال منه خُمارًا رهيبًا. نظر إلى نفسه في مرآة خزانة الملابس. مد لسانه. «صفراء»، فكر. جالت كلمة صفراء في ثنايا عقله بحثًا عن شيء لتقترن به.

بعد خمس عشرة ثانية كان خارج المنزل، مستلقيًا أمام جرافة كبيرة صفراء اللون تتقدم على الدرب المؤدي إلى حديقة منزله.

كان السيد ل. بروسر إنسانًا حسب ما يقولون. بتعبير آخر، كان كائنًا يمشي على قدمين متحدرًا من القردة، مكونًا أساسًا من الكربون. وتحديدًا، كان في الأربعين من عمره وبدينًا وممتلئًا، يعمل في المجلس البلدي. كان أيضًا بصورة غريبة كفاية ولو أنه لم يعرف سليلًا مباشرًا لجنكيز خان من خط الذكور، ولو أنّ الأجيال المتداخلة والامتزاج العرقي تلاعبا كثيرًا بمورثاته حتى أنه لم يمتلك ملامح منغولية واضحة، والعلامات الوحيدة الباقية في السيد ل. بروسر من أصله القوي جسامة صريحة حول البطن وولع بالقبعات الصغيرة المصنوعة من الفراء.

لم يكن محاربًا عظيمًا قط، بل كان - في الحقيقة - رجلًا قلقًا ومتوترًا. كان اليوم متوترًا وقلقًا خصوصًا بسبب أمر خطير حدث خطأً في عمله، كان عليه إزالة منزل السيد آرثر دنت من الطريق قبل انقضاء اليوم.

قال: «ابتعد عن الطريق يا سيد دنت، لا يُمكنك أن تكسب كما تعلم، لا يُمكنك أن تتمدد أمام جرافة حتى أجل غير مسمى». حاول أن يجعل عينيه تتوهجان بعنف لكنهما ما كانتا لتفعل ذلك.

تمدد آرثر في الوحل وطقطق بلسانه مصدرًا صوتًا يشبه صوت من يخوض في الوحل.

قال: «أنا مستعد، سوف نرى من ينفد صبره أولًا».

قال السيد بروسر ممسكًا قبعته المصنوعة من الفراء، مدورًا إياها حول قمة رأسه: «أخشى أنه سيوجب عليك تقبل الأمر، وجب تشييد هذه الحويلة، وسوف تشيَّد!»

قال آرثر: «أول مرة أسمع فيها، لماذا يجب تشييدها؟»

لوح اليد بروسر بإصبعه نحوه قليلًا محذرًا، ثم توقف وأرخاه مرّة أخرى.

قال: «ماذا تقصد بسؤالك عن سبب تشييدها؟ إنها تحويلة، يجب عليك تشييد التحويلات الطرقية».

التحويلات أدوات تسمح لبعض الناس بالانطلاق من النقطة (أ) إلى النقطة (ب) بسرعة كبيرة، في حين ينطلق أناس آخرون من النقطة (ب) إلى النقطة (أ) بسرعة كبيرة. كثيرًا ما يتساءل الناس الذين يعيشون عند النقطة (ج) - لأنهّا النقطة التي تقع في المنتصف تمامًا - عن وجه العظمة في النقطة (أ) حتى أن الكثير من الناس من النقطة (ب) متحمسون كثيرًا للوصول إلى هناك. وما وجه العظمة في النقطة (ب) حتى أن الكثير من الناس من النقطة (أ) متحمسون كثيرًا لبلوغها. إنهم يتمنون لو يعرف الناس مرة واحدة فحسب أين يرغبون في أن يكونوا.

أراد السيد بروسر أن يكون عند النقطة (د)؛ خصوصًا أن النقطة (د) لم تكن في أي مكان خاص، كانت أي نقطة ملائمة على مسافة بعيدة جدًّا عن النقاط (أ) و(ب) و(ج). كان ليمتلك كوخًا لطيفًا صغيرًا عند النقطة (د)، ويعلق فؤوسًا فوق الباب، ويمضي وقتًا ممتعًا عند النقطة (ي) التي قد تكون أقرب حانة إلى النقطة (د). بالطبع رغبت زوجته في زهور متسلقة، لكنه أراد فؤوسًا. لم يعرف السبب، أحب الفؤوس فحسب. تورد وجهه بحرارة بسبب ابتسامات سائقي الجرافات الساخرة.

نقل ثقله من قدم إلى الأخرى، لكن الأمر لم يكن مريحًا على أي منهما على حدٍ سواء. من الواضح أن شخصًا ما كان غير مؤهل تأهيلًا مرعبًا، ودعا الله ألا يكون هو.

قال السيد بروسر: «كما تعلم، كان لديك الحق كاملًا بالتقدم باقتراحات أو باحتجاجات في الوقت المناسب».

صاح آرثر مستهزئًا: «وقت مناسب؟ وقت مناسب؟ لم أعرف بشأنها إلا عندما جاء عامل إلى بيتي البارحة. سألته هل جاء لينظف النوافذ؟ لكنه نفى ذلك قائلًا إنّه جاء ليهدم المنزل. لم يقل لي ذلك مباشرة بالطبع. أوه لا. مسح أولًا عددًا من النوافذ وتقاضى خمسة جنيهات أجرًا مقابل ذلك. ثم أخبرني».

«لكن يا سيد دنت، كانت الخطط متاحة في مكتب التخطيط المحلي طوال الأشهر التسعة الأخيرة».

«أوه... نعم، حسنًا، حالما سمعت ذهبت مباشرة أراها، بعد ظهر البارحة. أنت لم تبذل جهدًا خاصًا لتلفت انتباههم، هل فعلت؟ أقصد كأن تخبر أي شخص فعليًا، أو أي شيء يشبه ذلك».

«لكن الخطط كانت معروضة...».

«معروضة؟ وجب علي في آخر الأمر النزول إلى القبو للعثور عليها».

«ذلك هو قسم العرض».

«نزلت حاملًا كشافًا».

«آه، حسنًا كانت الأضواء قد أطفئت على الأرجح».

«وكذلك الدرج».

«لكن انظر، وجدت الإنذار، أليس كذلك؟»

قال آرثر: «بلى، لقد وجدته. كان معروضا في أسفل خزانة ملفات مقفلة، عالقة في مرحاض مهجور، ولافتة على الباب تقول: **حذارِ من النمر**».

عبرت سحابة في الأعلى رمت ظلًا على آرثر، دنت منه وهو مستلق مستندًا إلى كوعه في الوحل البارد. رمت ظلًا على منزل آرثر دنت. نظر السيد بروسر نحوها مقطبًا.

قال: «ليس الأمر كما لو أنه منزل لطيف خصوصًا».

«أنا آسف، لكنه يعجبني».

«سوف تعجبك التحويلة».

قال آرثر دنت: «أوه... اخرس، اخرس واغرب عن وجهي، وخذ تحويلتك اللعينة معك. ليس لديك حجة لتعتمد عليها وأنت تعرف ذلك».

انفتح فم السيد بروسر وانغلق عدة مرات، بينما، كان عقله زاخرًا حتى اللحظة بالرؤى غير الواضحة - لكن الجذابة جذبًا رهيبًا - عن منزل آرثر وقد اكلته النيران، وآرثر نفسه يجري هاربًا من الدمار الملتهب، صارخًا، وثلاث حراب جسيمة على الأقل بارزة من ظهره. كانت رؤى كهذه كثيرًا ما تضايق السيد بروسر وتجعله يشعر بتوتر شديد. تلعثم لحظة ثم استجمع لمام نفسه.

قال: «سيد دنت».

قال آرثر: «مرحبًا؟ نعم؟»

«إليك بعض المعلومات الحقيقية. هل لديك فكرة عن حجم الضرر الذي قد يصيب تلك الجرافة لو تركتها فقط تتحرك فوقك مباشرة؟»

قال آرثر: «كم؟»

قال السيد بروسر: «لا شيء على الإطلاق»، وانفجر بعصبية يتساءل لماذا كان دماغه ممتلكًا بألف خيَّال مشعر يصيحون في وجهه جميعًا.

مصادفة عجيبة، أن لا شيء على الإطلاق هو بالضبط مقدار التشكيك الذي امتلكه آرثر دنت سليل القردة عن أن واحدًا أصدقائه المقربين لم يكن متحدرًا من القردة، لكنه كان - في الحقيقة - من كوكب صغير في مكان ما على مقربة من **منكب الجوزاء** وليس من غيلدفرد كما اعتاد أن يدعي.

لم يسبق للشك أن ساور آرثر دنت في هذا على الإطلاق.

جاء صديقه هذا إلى كوكب الأرض أول مرة قبل خمس عشرة سنة، وكان قد بذل جهدًا كي يندمج في الأرض. ولا بد من القول إن بعض النجاح قد حالفه. على سبيل المثال، أمضى تلك السنوات الخمس عشرة متظاهرًا بأنه ممثل عاطل عن العمل، وكان ادعاءً وجيهًا كفاية.

كان مع ذلك قد ارتكب غلطة متهورة، لأنّه عمل بإهمال بعض الشيء على بحثه التحضيري. قادته المعلومات التي جمعها إلى اختيار اسم «فورد برفكت» لأنّه مبهم ومقبول.

لم يكن طويل القامة بشكل ملاحظ، كانت ملامحه مدهشة، لكن ليس وسيمًا. كان شعره خشنًا، وزنجبيلي اللون، ومسرحًا إلى الخلف عند الصدغين. بدت بشرته مشدودة إلى الخلف عند الأنف. كان هناك شيء غريب قليلًا بخصوصه، لكن كان من الصعب معرفة ماهيته. ربما لم تبد عيناه أنهما تطرفان كفاية، وعندما تتحدّث معه في أي وقت تبدأ عيناك - لا إراديًا تدمعان نيابة عنه. ربما لأنّه اعتاد الابتسام ابتسامة عريضة قليلًا، فيمنح، الناس انطباعًا مرعبًا أنه على وشك تقبيلهم.

لقد أدهش معظم أصدقائه الذين تعرف إليهم على الأرض لأنّه غريب الأطوار، لكن من النوع غير المؤذي، سكير صعب المراس وله بعض العادات الغريبة، على سبيل المثال، قد يتطفل على حفلات جامعية، ويثمل كثيرًا ويبدأ السخرية من أي عالم فلك قد يجده، إلى أن يُرمى خارجًا.

قد تستولى عليه أحيانًا أمزجة محيرة بصورة غريبة، ويحدق إلى الماء كما لو أنه منوم مغنطيسيًا إلى أن يسأله شخص ما عم يفعله. ثم قد يبدأ بارتباك للحظة، يسترخي، ويكشر.

قد يمزح قائلًا: «أوه، فقط أبحث عن الأطباق الطائرة»، ويضحك الجميع ويسألونه عن أي نوع من الأطباق الطائرة يبحث.

«الأطباق الخضراء!» كان يجيب بتكشيرة خبيثة، ويضحك بطلاقة للحظة، ثم يندفع فجأة بقوّة نحو أقرب حانة، ويشتري عددًا هائل من المشاريب.

عادة، تنتهي أمسيات مثل هذه انتهاء رديئًا. قد يفقد فورد صوابه جراء شرب الويسكي، يدسّ نفسه في زاوية مع فتاة ما ويشرح لها بعبارات غير واضحة أن لون الأطباق الطائرة غير مهم حقًّا.

فيما بعد، كان - كثيرًا - يسأل رجال شرطة عابرين وهو يترنح شبه مشلول في الشوارع المظلمة إن كانوا يعرفون الطريق المؤدي إلى منكب الجوزاء. يقول رجال الشرطة عادة شيئًا مثل: «ألا تظن إن الوقت قد حان للذهاب إلى البيت يا سيدي؟»

«أحاول ذلك يا حبيبي، أنا أحاول ذلك»، هذا ما يجيب به فورد بثبات في مثل هذه المناسبات.

في الحقيقة، عندما حدق ذاهلًا إلى السماء، كان يبحث حقًّا عن أي نوع من الأطباق الطائرة على الإطلاق؛ ما دعاه إلى قول «أخضر» لأنّه لون زي الفضاء التقليدي المميز لكشافة منكب الجوزاء التجارية.

كان فورد برفكت قانطًا من وصول أي طبق طائر، لأن مدة خمس عشرة سنة كانت وقتًا طويلًا للبقاء في أي مكان وقد تقطعت بك السبل، في مكان كئيب بشكل مدهش مثل البقعة من الأرض خصوصًا.

تمنى فورد وصول طبق طائر قريبًا، لأنّه عرف كيف يلوح لطبق طائر كي يحط على الأرض ويحمله على متنه في جولة. عرف كيف يرى بدائع الكون مقابل أقل من ثلاثين دولار نسرية في اليوم.

في الواقع، كان فورد برفكت باحثًا جوَّابًا من أجل ذلك الكتاب اللافت للنظر تمامًا **دليل المسافر إلى المجرة**.

تمتلك الكائنات البشريّة **قدرة** عظيمة على التأقلم، ومع حلول وقت الغداء كانت الحياة قد استتبت في محيط منزل آرثر. كان دور آرثر المقبول هو الاستلقاء في الوحل طالبًا بين الحين والآخر رؤية محاميه أو أمّه أو كتاب جيد. كان دور السيد بروسر المقبول أن يتمكّن من آرثر بحيلة جديدة بين الحين والآخر، مثل حديث عن الصالح العام، أو حديث عن مسيرة التقدم، حديث لقد هدموا منزلي ذات مرة كما تعلم، حديث لم يلتفت إلى الوراء مطلقًا، والكثير من المداهنات والتهديدات، وكان دور سائقي الجرافات المقبول الجلوس وشرب القهوة والبحث في لوائح الاتحاد ليروا كيف يمكنهم قلب الوضع لصالحهم ماليًا.

تحركت الأرض ببطء في دورتها النهارية.

كانت الشمس قد أخذت تجفف الوحل الذي يستلقي عليه آرثر.

تحرَّك ظل عبره ثانية.

قال الظل: «مرحبًا آرثر».

رفع آرثر بصره متفاجئًا عندما شزر في الشمس ورأى فورد برفكت واقفًا عنده.

«فورد! مرحبًا، كيف حالك؟»

قال فورد: «بخير، انظر، هل أنت مشغول؟»

هتف آرثر: «هل أنا مشغول؟ حسنًا، لقد حصلت للتو على جميع هذه الجرافات والأشياء التي يجب عليَّ الاستلقاء أمامها لأنهّا سوف تهدم منزلي إن لم أفعل، لكن فيما عدا ذلك... حسنًا، لا، ليس خصوصًا، لماذا؟»

لا أحد على منكب الجوزاء يعرف معنى السخرية، أخفق فورد برفكت كثيرًا في ملاحظة السخرية المبطنة، إلا إذا كان مركزًا. قال: «جيد، هل هناك من مكان يمكننا أن نتحدث فيه؟»

قال آرثر دنت: «ماذا؟»

لبضع ثوان بدا أن فورد يتجاهله، وحدق بثبات إلى الماء مثل أرنب يحاول أن تدهسه سيارة. ثم فجأة، قرفص إلى جانب آرثر.

قال بإلحاح: «علينا أن نتحدث».

قال آرثر: «ممتاز، تحدث»

قال فورد: «ونشرب، إنّه أمر مهم وحيوي أن نتحدث ونشرب. الآن. سنذهب إلى الحانة في القرية».

نظر إلى السماء ثانية، متوترًا ومترقبًا.

صرخ آرثر: «انظر، ألا تفهم؟» أشار إلى بروسر. «ذلك الرجل يريد هدم منزلي!»

رمقه فورد حائرًا.

سأل: «حسنًا، يمكنه فعل ذلك بينما أنت الخارج، ألا يمكنه ذلك؟»

«لكن لا أريده أن يفعل!»

«آه».

قال آرثر: «انظر، ما خطبك يا فورد؟»

«لا شيء. لا شيء يهم. استمع إليَّ: على أن أخبرك بأكثر الأمور التي سمعتها أهميّة على الإطلاق. علي أن أخبرك الآن، يجب عليّ أن أخبرك في حانة الخيل والسائس».

«لكن لماذا؟»

«لأنك ستحتاج إلى شراب قوي جدًّا».

حدق فورد إلى آرثر، وكان آرثر مدهوشًا عندما وجد أن إرادته بدأت تضعف. لم يدرك أنّ هذا كان بسبب لعبة شرب قديمة تعلم فورد أن يلعبها في منافذ الفضاء الفائق التي خدمت أحزمة تعدين المادرنايت في نظام أوريون بيتا الجبار.

لم تكن اللعبة مختلفة عن لعبة الأرض المدعوة المصارعة الهنديّة، وكانت تُلعب على الشكل الآتي: يجلس متنافسان على كل جانب من جوانب الطاولة وأمام كل واحد منهما كأس.

توضع بينهما زجاجة من جانكس سبيريت (المخلد في أغنية أوريون القديمة المنجمية تلك «أوه لا تعطيني المزيد من الجانكس سبيريت ذاك / لا، لا تعطيني المزيد من جانكس سبيريت ذاك / لأن رأسي سوف يطير، سوف يكذب لساني، سوف تحمر عيناي وقد أموت/ لا تصب لي كأسًا أخرى من الجانكس سبيريت القديم الآثم ذاك»).

حينئذ سوف يركز كل واحد من المتباريين الاثنين إرادته على الزجاجة ويحاول أن يميلها ويصب الشراب في كأس منافسه الذي عليه أن يشربه عندئذٍ.

بعدها يُعاد ملء الزجاجة. وتلعب اللعبة ثانية. ثم مرة ثالثة.

ما إن تبدأ بالخسارة سوف تستمر بالخسارة على الأرجح، لأن واحد من آثار الجانكس سبيريت هو تثبيط قوة الخاطر.

وحالما تستهلك الكمية المقررة سلفًا، سيتوجب على الخاسر الأخير أن يدفع غرامة، كانت عادة بيولوجية فاحشة.

لعب فورد برفكت عادة ليخسر.

حدق فورد إلى آرثر الذي بدأ يفكر في أنه ربما أراد الذهاب إلى حانة الخيل والسائس في آخر المطاف.

سأل بحزن: «لكن ماذا عن منزلي...؟»

نظر فورد نحو السيد بروسر، وفجأة خطرت له فكرة خبيثة.

«يريد أن يهدم منزلك؟»

«نعم، هو يريد بناء...»

«ولا يمكنه لأنك تتمدد أمام الجرافة؟»

«نعم، و...»

قال فورد: «أنا واثق من أننا نستطيع الوصول إلى اتفاق ما». صرخ: «المعذرة!»

نظر اليد بروسر من حوله (وقد كان يتجادل مع متحدث باسم سائقي الجرافات إن كان آرثر دنت يشكل خطرًا على الصحة العقليّة أم لا، وكم يجب أن يدفع لهم إذا كان كذلك). كان متفاجئًا ومذعورًا بعض الشيء لرؤية أن ثمّة شخصًا آخر برفقة آرثر.

نادى: «نعم؟ مرحبًا؟ هل ثاب السيد دنت إلى رشده؟»

صاح فورد: «هل يمكننا مؤقتًا أن نحسب أنه لم يفعل؟»

تنهد اليد بروسر: «حسنًا؟»..

قال فورد: «وهل يمكننا أيضًا أن نحسب، سوف يكون مقيمًا هنا طوال اليوم؟»

«ثم؟»

«إذن، سيقف رجالك جميعًا طوال اليوم عاطلين عن العمل؟»

«يمكن... يمكن...»

«حسنًا، إذا تخليت عن فعل ذلك بأي حال، لست بحاجة إليه حقًّا كي يتمدد هنا طوال الوقت، صحيح؟»

«ماذا؟»

قال فورد بصبر: «لست بحاجة إليه هنا فعليًا».

فكر اليد بروسر في هذا.

قال: «حسنًا، لا، ليس بهذا القدر... لا حاجة إلى ذلك بالضبط...» كان السيد بروسر قلقًا. فكر أن واحدًا منهما لم يكن يمتلك الكثير من المعقولية.

قال فورد: «إذن، لو أنك فقط تعده هنا بالفعل، عندئذٍ يمكنني هو وأنا التسلل إلى الحانة نصف ساعة. كيف يبدو ذلك؟»

فكر السيد بروسر في أنه بدا أمرًا تافهًا تمامًا.

قال بنبرة صوت مطمئنة متسائلًا عمن كان يحاول أن يطمئن: «ذلك يبدو معقول تمامًا...».

قال فورد: «وإذا أردت أن تذهب لشرب كأس سريعًا لاحقًا، يمكننا دومًا أن نتولى الأمر عنك بالمقابل».

قال السيد بروسر الذي لم يعد يعرف كيف يتصرّف: «شكرًا جزيلًا لك، شكرًا جزيلًا، نعم، هذا لطف منك...» تجهم، ثم ابتسم، ثم حاول أن يفعل كلا الأمرين في وقتٍ واحد، أخفق، أمسك قبعته المصنوعة من الفراء، ولفها حول قمة رأسه لفًّا متقطعًا. استطاع فقط أن يحسب أنه كسب لتوه.

واصل فورد برفكت: «إذن، لو تأتي فقط إلى هنا وتستلقي...»

قال السيد بروسر: «ماذا؟»

قال فورد: «آه، آسف، لعلني لم أوضح مقصدي بالكامل. على أحدهم أن يستلقي أمام الجرافات، أليس كذلك؟ وإلا لن يكون هناك ما يمنعها من التقدم نحو منزل السيد دنت، أليس صحيحًا؟»

قال السَّيد بروسر ثانية: «ماذا؟»

قال فورد: «إنّه أمر بسيط جدًّا، يقول زبوني السيد دنت إنّه سيتوقف عن التمدد هنا في الوحل في حالة واحدة فقط، إذا أتيت وتوليت الأمر نيابة عنه».

قال آرثر: «عم تتحدّث؟» لكن فورد دفعه بفردة حذائه لكي يصمت.

قال بروسر وهو يتهجأ فكرته الجديدة لنفسه: «أنت تريدني، أن آتي وأتمدد هناك...»

«نعم».

«أمام الجرافة؟»

«نعم».

«بدلًا من السَّيد دنت».

«نعم».

«في الوحل».

«في الوحل كما تقول».

حالما أدرك السيد بروسر أنه الخاسر فعليًا في نهاية المطاف، كان كما لو أنّ ثقلًا انزاح عن كاهله: كان هذا أكثر شبهًا بالعالم كما عرفه. تنهد.

«بالمقابل سوف تصحب السيد دنت معك إلى الحانة؟»

قال فورد: «هذا هو، هذا هو بالضبط».

سار السيد بروسر بضع خطوات عصبية إلى الأمام.

وتوقف قال: «وعد؟»

قال فورد: «وعد». والتفت نحو آرثر.

قال له: «تعال، انهض ودع الرجل يستلقي مكانك».

وقف آرثر وهو يشعر كأنه في في حلم.

أومأ فورد إلى بروسر الذي جلس بحزن وخرق في الوحل. شعر بأن حياته كلها حلم. وتساءل - أحيانًا – حلم من كانت، وإن كانوا يستمتعون به. تجمع الوحل حول مؤخرته وذراعيه وتسرب إلى حذائه.

تطلع فورد إليه بحدة.

قال: «ولن يهدم منزل السيد دنت في أثناء غيابه هدمًا جبانًا، حسنًا؟»

هدر السيد بروسر: «حتى أن الفكرة لم تكن قد بدأت الظهور»، واصل وهو يستقر في جلسته إلى الخلف: «حتى إمكانية أن تخطر لي».

رأى مندوب اتحاد سائقي الجرافات يقترب، هوى برأسه إلى الخلف وأغمض عينيه. كان يحاول تنظيم حججه ليثبت أنه لم يشكل الآن بنفسه خطرًا على الصحة العقليّة. كان أبعد ما يكون عن اليقين بهذا الشأن، بدا عقله زاخرًا بالضوضاء والخيول والدخان وبرائحة الدم النتنة. يحدث هذا دومًا كلما شعر بالبؤس أو بالخداع ولم يكن قادرًا على تفسير الأمر لنفسه قط. في بعد مرتفع لا نعرف عنه شيئًا، رفع الخان العظيم صوته غاضبًا، لكن السيد بروسر اكتفي ببعض الارتجاف ونشج. بدأ يشعر بوخز صغير من الدموع خلف جفنيه. فساد بيروقراطي، رجال غاضبون يرقدون في الوحل، غرباء يصعب فهمهم يوزعون إهانات لا يمكن تفسيرها، وجيش مجهول الهوية من الخيالة يسخر منه في رأسه. يا له من يوم.

يا له من يوم. عرف فورد برفكت أنه لم يهم ولو قيد أنملة، سواء أهُدِم منزل آرثر أم لم يُهدم الآن.

ظل آرثر قلقًا جدًّا.

قال: «لكن هل يمكننا منحه الثقة؟»

قال فورد: «أنا عن نفسي قد أثق به حتى آخر الأرض».

قال آرثر: «أوه، نعم، وكم بعيدة هي المسافة إلى هناك؟»

قال فورد: «قرابة اثنتي عشرة دقيقة. هيا، أحتاج إلى شراب»

2

إليكم ما ورد في **موسوعة غالاكتيكا** عن الكحول: الكحول سائل متطاير، عديم اللون، تشكل من تخمير السكر، كما تلحظ أيضًا أثره السام على أشكال حياة محددة قائمة على الكربون.

يشير **دليل المسافر إلى المجرة** أيضًا إلى الكحول. يقول: إن أفضل شراب في الوجود هو ناسف الغرغرة المجرّي الشامل.

يقول إن الأثر الاجم عن شرب كأس من ناسف الغرغرة المجرّي الشامل شبيه بأن تحطم دماغك شريحة ليمون لُفَّت حول قرميدة ذهبية كبيرة.

أيضا يخبرك **الدَّليل** بالكواكب التي يمزج الشراب فيها بأفضل الطرائق، وكم يُمكنك أن تتوقع أن تدفع ثمن كأس منه، وما المنظمات التطوعية الموجودة لمساعدتك على استعادة الأهلية فيما بعد.

يخبرك الدليل أيضًا كيف يُمكنك مزج كأس بنفسك.

يقول: خذ العصير الموجود في زجاجة أولد جانكس سبيريت واحدة.

يقول: صب فيه مقدارًا واحدًا من مياه بحار كوكب **سانتراجينوس** الخامس. أوه، يا لمياه البحر السانتراجينية تلك. أوه، يا لتلك الأسماك السانتراجينية!

ذوبت ثلاثة مكعبات من شراب الميجا-جن من نجم آركتورس في المزيج (لا بد أن تكون مجمدة كما يجب وإلا سيضيع البنزين).

دع أربعة ليترات من غاز مستنقعات فاليا تغرغر عبره، إحياء لذكرى هؤلاء المسافرين السعداء جميعًا الذين ماتوا من المتعة في مستنقعات فاليا.

على ظاهر ملعقة من الفضة، عوِّم مقدارًا من مستخلص الهايبرمينت الكوالاكتيني، عبق حاذق، وحلو، وغامض من جميع الروائح المسكرة للمناطق الكواللاكتينية المعتمة.

ارمِ في المزيج سن حيوان سنتيغر الألغولي، وراقبه يتحلل، وينشر نيران الشموس الألغولية عميقًا في قلب الشراب.

أمطره بالزامفور.

أضف زيتونة.

اشرب... لكن... بحذر شديد...

دليل المسافر إلى المجرة يباع أكثر قليلًا موسوعة غالاكتيكا.

قال فورد برفكت للساقي في حانة الخيل والسائس: «من فضلك نريد ست كؤوس من البيرة المرّة بسرعة؛ فالعالم على وشك أن ينتهي».

لم يستحق الساقي في حانة الخيل والسائس معاملة من هذا النوع، كان رجل مسنًا وقورًا. رفع نظارته على أنفه وطرف نحو فورد برفكت. تجاهله فورد وتطلع من النافذة، لذا نظر الساقي بدلًا من ذلك نحو آرثر الذي هزّ كتفيه بعجز ولم يقل شيئًا.

لذا قال الساقي: «أوه، نعم، سيدي؟ طقس جميل»، وبدأ يصب البيرة.

حاول ثانية.

«هل ستشاهد المباراة هذا الأصيل إذن؟»

رمقه فورد بنظرة.

قال: «لا، لا فائدة»، والتفت ليتطلع من النافذة.

قال الساقي: «ما هذا، تفترض أن النتيجة معروفة سلفًا، سيدي؟ لا حظ **لنادي الأرسنال**؟»

قال فورد: «لا، لا، الأمر فقط أن العالم على وشك أن ينتهي».

قال الساقي وهو ينظر من فوق كؤوسه هذه المرّة نحو آرثر: «أوه، نعم، سيدي، كما قلت، لو حدث ذلك سوف يكون من حسن حظ فريق الآرسنال».

نظر فورد نحوه متفاجئًا بصدق.

قال: «لا، ليس حقًّا»، ثم قطب.

أخذ الساقي نفسًا بصعوبة وقال: «تفضل سيدي، ست كؤوس»

ابتسم آرثر له ابتسامة باهتة وهز كتفيه مرّة أخرى. التفت وابتسم بشحوب لبقية الموجودين في الحانة فقط تحسبًا في أن يكون أي منهم قد سمع ما كان يجري.

لم يفهم أحدهم شيئًا، ولا أي منهم استطاع أن يفهم سبب تبسمه لهم.

نظر رجل جالس قرب فورد إلى الضد نحو الرجلين، نظر نحو كؤوس البيرة الست، وأجرى عملية حسابية ذهنية سريعة، وصل إلى جواب أعجبه وافتر ثغره عن تكشيرة حمقاء راجيًا نحوهما.

قال فورد: «توقف، إنها كؤوسنا»، ورمقه بنظرة كان من شأنها أن تجعل حيوان سنتايغر الألغولي يواصل إنجاز عمله.

خبط فورد على النضد بورقة مالية من الخمسة جنيهات وقال: «احتفظ بالباقي».

«ماذا؟ بقيت خمسة جنيهات؟ شكرًا لك سيدي».

«بقيت لديك عشر دقائق لإنفاقها».

قرر الساقي ببساطة أن يبتعد قليلًا.

قال آرثر: «فورد، هل لك أن تخبرني من فضلك ما الذي يجري؟»

قال فورد: «اشرب، يجب عليك شرب ثلاث كؤوس».

قال آرثر: «ثلاث كؤوس؟ وقت الغداء؟»

كشر الرجل الجالس قرب فورد وأومأ بسعادة. تجاهله فورد. قال: «الوقت وهم. وقت الغداء وهم مضاعف أيضًا».

قال آرثر: «عميق جدًّا، ينبغي لك إرسال ذلك إلى **مجلة الريدرز دايجست**. لديهم صفحة أجل أشباهك من الناس».

«اشرب».

«لماذا ثلاث كؤوس؟»

«يرخي العضلات، سوف تحتاج إليه».

«يرخي العضلات؟»

«مرخٍ عضلي».

حدّق آرثر في كأسه.

قال: «هل ارتكبت أي أمر خاطى اليوم، أم أن العالم كان هكذا على الدوام، وقد كنت شديد الانطواء على نفسي فلم أنتبه؟»

قال فورد: «لا بأس، سوف أحاول أن أشرح. منذ متى يعرف بعضنا بعضًا؟»

فكر آرثر: «منذ متى؟» قال: «منذ خمس سنوات تقريبًا، ربما ست، بدا معظمها منطقي في حينه».

قال فورد: «لا بأس، كيف سيكون رد فعلك لو قلت إني لست من **غيلفورد** في نهاية الأمر، لكن من كوكب صغير يقع في مكان ما على مقربة من منكب الجوزاء؟»

هز آرثر كتفيه بطريقة تنم عن عدم قدرته على أن يقرر.

قال وهو يشرب جرعة من البيرة: «لا أعرف، عجبًا... هل تظن أنه يُمكنك أن تقول كلامًا مثل هذا؟».

استسلم فورد. لم يكن الأمر يستحق الانزعاج حقًّا هذه اللحظة، والعالم على وشك أن ينتهي. اكتفى بالقول: «اشرب». وأضاف بجديّة تامة: «العالم على وشك أن ينتهي».

ابتسم آرثر لبقية الأشخاص في الحانة ابتسامة باهتة أخرى، فتجهموا في وجهه. ولوح له أحدهم أن يكف عن الابتسام ويهتم باموره.

قال آرثر لنفسه وهو يهوي على كأسه: «لا بد أن اليوم هو الخميس، لم أستطع التعامل مع أيام الخميس قط».

3

هذا الخميس بالذات، كان شيء ما يتحرك بهدوء عبر الغلاف الأيوني على مسافة أميال عديدة فوق سطح الكوكب، في الحقيقة أشياء عدة، دزينات عدة من أشياء ضخمة، صفراء ومكتنزة ومسطحة، يساوي حجمها حجم مبان مكتبية، صامتة كالطيور. حوَّمت بيسر، تنعم بأشعة كهرومغناطيسية من النجم **سول**، تنتظر وقتها وتتجمع وتستعد.

كان الكوكب من تحتها يكاد يكون ذاهلًا تمامًا عن حضورها، وكان هذا ما أرادته تمامًا في اللحظة. مرّت الأشياء الضخمة الصفراء دون أن يتم رصدها في محطة **غونهيلي**، مرّت فوق محطة **كيب كانافيرال** الجوية دون أن ترى على شاشة الرادار، نظر كل من مرصدي ووميرا وجوردل بانك عبرها مباشرة، وكان هذا مؤسفا لأنّه بالضبط ما كانا يبحثان عنه طوال هذه السنوات.

المكان الوحيد الذي رصدت فيه كان جهازًا أسود صغيرًا يدعي **سب-إيثا سنسوماتيك** غمز بهدوء لنفسه. أوى في الظلمة داخل حقيبة جلدية حملها فورد برفكت، معلقة حول عنقه. كانت محتويات حقيبة فورد برفكت في الحقيقة مثيرة جدًّا للاهتمام، وكانت كفيلة بإخراج عيني أي فيزيائي أرضي من رأسه، وهذا ما دعاه إلى إخفائها دومًا بالاحتفاظ بعدد من مخطوطات رثة لمسرحيات تظاهر بأنه كان يتقدم إلى تجارب أداء لها محشورة في أعلاها.

فضلًا عن جهاز سب-ايثا سنسوماتيك والنصوص المسرحية، كان لديه إبهام إلكتروني؛ قضيب أسود قصير أملس وكامد، وعدد من المفاتيح المسطحة والأقراص عند أحد طرفيه، أيضًا امتلك جهازًا بدا مثل حاسبة إلكترونية ضخمة قليلًا. تحتوي - تقريبًا على مئة زر مسطح صغير وشاشة تبلغ مساحتها تقريبًا أربع بوصات يمكن من خلالها استحضار أي صفحة من «الصفحات» المليون في لحظة واحدة. بدا معقدًا بجنون، وهذا كان أحد الأسباب التي دعت إلى طبع عبارة «**لا تجزع**» على الغلاف البلاستيكي الصغير المحيط به بأحرف كبيرة ودودة. السبب الآخر أنّ هذا الجهاز كان في الحقيقة لافتًا للأنظار أكثر من الكتب الصادرة جميعها على الإطلاق عن مؤسسة **الدُّب الأصغر** العظيمة للنشر، **دليل المسافر إلى المجرة**. السبب الذي دعا إلى نشره في شكل مكون إلكتروني ميكرو سب-ميزون أنه لو طبع كتابًا عاديًا قد

يلزم مسافرًا بين النجوم مبان كبيرة عدة بشكل غير مناسب لحمله هنا وهناك.

كان تحت ذلك في حقيبة فورد برفكت- عدد من أقلام الحبر الجاف ومفكّرة ومنشفة حمام عريضة قليلًا ابتيعت من أحد متاجر ماركس & سبنسر.

كان لدى **دليل المسافر إلى المجرة** أشياء عدة يقولها في ما يخص المناشف.

«تكاد تكون المنشفة إلى حد كبير أكثر الأشياء نفعًا، التي يمكن للمسافر بين الكواكب حملها معه. فمن ناحية تمتلك قيمة عملية عظيمة؛ يُمكنك أن تلف نفسك بها طلبًا للدفء وأنت تقفز عبر أقمار كوكب جاغلان بيتا الباردة، يُمكنك الاستلقاء عليها في شواطئ المرمر الرملية الرائعة في كوكب سانتراجينوس الخامس. بينما تتنشق أبخرة البحر المسكرة، يُمكنك أن تتغطى بها وتنام تحت النجوم التي تشع بحمرة شديدة على العالم الصحراوي لكوكب كاكرافون، استعملها لتقلع بطوف صغير على نهر موث الثقيل والبطيء، بللها لاستعمالها في شجار بالأيدي، لف رأسك بها كي تجابه أدخنة ذميمة أو لتفادي غاز يطلقه وحش بوغبلاتر المفترس من كوكب ترال (حيوان أحمق مدهشًا، إن كنت لا تستطيع رؤيته يفترض أنه لا يستطيع رؤيتك. شديد الغباء، لكنه مفترس جدًّا)، يُمكنك أن تلوح بمنشفتك في الحالات الطارئة كإشارة استغاثة، وبالطبع جفف نفسك بها إذا كانت لا تزال تبدو نظيفة بما يكفي.

الأهم، أن للمنشفة قيمة نفسية هائلة. لسبب ما، لو يكتشف مشرد (والمشرد: ليس مسافرًا مجانًا) إن مسافرًا يحمل منشفته معه، سوف يفترض تلقائيًا أنه أيضًا يحمل فرشاة أسنان ومنشفة للوجه وصابونة، وعلبة بسكويت من الصفيح، وقارورة، ومشطًا، وخريطة، وكرة من الخيطان، وبخاخًا مبيدًا للناموس، وملابس للطقس الماطر، وبدلة فضاء، إلخ. أضف إلى ذلك، سوف يعير المشرد عندئذٍ بسرور المسافر أيًّا من هذه الأشياء أو دزينة من أي شيء قد يكون المسافر قد «ضيعه» صدفة. وما سيفكر فيه المشرد هو أن أي رجل يمكنه أن يسافر في طول المجرة وعرضها، بوعرها وبؤسها، ويناضل ضدّ الصعاب الرهيبة، ويتجاوزها، ولا يزال يعرف أين منشفته، فهو بوضوح رجل يعتد به».

من هنا جاءت العبارة التي دخلت في اللغة العامية المستخدمة بين المسافرين مجانًا، كما في «مرحبًا، هل تساس هذا الهوبي فورد برفكت؟ إن فرود يعلم تمامًا أين منشفته».

(تساس: تعرف، مدرك لـ، تعرَّف إلى، مارس الجنس مع. الهوبي: شخص هادئ حقًّا، فرود: شخص هادئ هدوءًا مذهلًا حقًّا).

***

بدأ جهاز السب-إيثا سنسوماتيك يغمز بسرعة أكبر: في مكمنه الهادئ فوق المنشفة في حقيبة فورد برفكت. على مسافة أميال فوق سطح الكوكب، بدأت الأشياء الضخمة الصفراء الانتشار. قرر شخص ما في مرصد جوردل بانك أن الوقت قد حان لشرب كوب شاي لذيذ وممتع.

قال فورد - فجأة - لآرثر: «هل جلبت منشفة معك؟»

تطلع فيه آرثر وهو يكافح في أثناء شرب الكأس الثالثة من البيرة.

«لماذا؟ ماذا، لا... هل علي أن أفعل؟» كان قد توقف عن إبداء دهشته، لم يبد أنّ هناك أي فائدة بعد الآن.

طقطق فورد بلسانه حانقًا.

ألح عليه: «اشرب».

تلك اللحظة رشح الصوت الرتيب لتحطم هادر من الخارج عبر خرخرة الحانة المنخفضة، عبر صوت **صندوق الموسيقى**، عبر صوت الرجل الجالس بجوار فورد وكان يحزق فوق كأس الويسكي التي قدمها إليه فورد أخيرًا.

اختنق آرثر بالبيرة، وقفز على قدميه.

ولول: «ما ذلك؟»

قال فورد: «لا تقلق، لم يبدؤوا بعد».

قال آرثر: «حمدًا لله على ذلك». واسترخى.

قال فورد وهو يجرع كأس البيرة الأخيرة: «إن منزلك يهدم على الأرجح».

صرخ آرثر: «ماذا؟» فجأة، انكسر سحر فورد. نظر آرثر من حوله بغضب وهرع إلى النافذة.

«يا إلهي، إنهم يفعلون؟ إنهم يهدمون منزلي. ما الذي أفعله في الحانة يا فورد بحق الجحيم؟»

قال فورد: «لا تأثير للهدم في هذه المرحلة، دعهم يمرحون».

ولول آرثر: «مرح؟ مرح!» تحقق سريعًا - نظر من النافذة ثانية - من أنهما يتحدثان عن الأمر نفسه.

«اللعنة على مرحهم!» صرخ وركض خارج الحانة مهتاجًا يلوح بكأس بيرة شبه فارغة. لم يصادق أحدًا قط في الحانة وقت الغداء ذاك.

زعق آرثر: «توقفوا، أيها المخربون! أنتم يا هادمي المباني! أنتم أيها القوط الغربيون المجانين، توقفوا، هلا توقفتم!»

كان يجب على فورد اللحاق به. طلب ملتفتًا بسرعة نحو الساقي أربع عبوات من الفستق.

قال الساقي وهو يُلقي بالعبوات على النضد: «تفضل سيدي، ثمانية وعشرون بنسًا من فضلك».

كان فورد في منتهى اللطف، أعطى الساقي ورقة مالية أخرى بقيمة خمسة جنيهات وأخبره بأن يحتفظ بالباقي. نظر الساقي إليها ثم نظر نحو فورد. ارتجف فجأة: اختبر إحساسًا لحظيًا لم يفهمه، لأن أحدًا على الأرض لم يختبره من قبل قط. في لحظات الضغط الشديد، كل شكل من أشكال الحياة الموجودة تصدر إشارة لا واعية صغيرة. هذه الإشارة تتواصل ببساطة مع إحساس دقيق ومحزن تقريبًا بالمسافة التي تفصل ذلك الكائن عن مسقط رأسه. على كوكب الأرض، ليس ممكنًا أبدًا أن تكون بعيدًا عن مسقط رأسك مسافة تزيد على 16 ألف ميل، وهذه ليست مسافة كبيرة جدًّا حقًّا، لذا مثل هذه الإشارات دقيقة جدًّا فلا يمكن ملاحظتها. كان فورد برفكت في هذه اللحظة خاضعًا لضغط شديد، وكان قد ولد على بعد 600 سنة ضوئية في الجوار القريب لمنكب الجوزاء.

ترنَّح الساقي لحظة، انتابه إحساس صادم مبهم بالمسافة. لم يعرف كنهه، لكنه نظر نحو فورد برفكت بإحساس جديد بالاحترام وبالهيبة تقريبًا.

قال بهمس خفيض كان جديرًا بإسكات الحانة: «هل أنت جاد سيدي؟ هل تظن أن العالم سوف ينتهي؟»

قال فورد: «نعم».

«لكن، هذا الأصيل؟»

كان فورد قد ثاب إلى رشده. كان شديد اللا مبالاة.

قال بمرح: «نعم، خلال أقل من دقيقتين، يمكنني» قال «أن أخمِّن».

لم يستطع الساقي تصديق هذه المحادثة التي كان يجريها، لكنه لم يستطع تصديق الإحساس الذي انتابه للتو أيضًا.

قال: «إذن، ليس هناك ما يمكننا فعله بهذا الشأن؟»

قال فورد وهو يدسّ الفستق في جيبه: «لا، لا شيء».

فجأة، ضحك شخص ما بخشونة في البار الصامت لما رأى كيف أصبح الجميع حمقى.

أصبح الرجل الجالس قرب فورد ثملًا جدًّا. شقت عيناه طريقهما نحو فورد.

قال: «ظننت أنه إذا كان العالم سينتهي، فعلينا أن نستلقي أو نضع كيسًا ورقيًا على رؤوسنا أو شيئًا ما».

قال فورد: «نعم، إن أحببت».

قال الرجل: «هذا ما قالوه لنا في الجيش»، وبدأت عيناه طريق رحلة العودة الطويلة إلى كأس الويسكي.

سأل الساقي: «هل يساعد ذلك؟»

قال فورد: «لا»، وابتسم له ابتسامة ودودة. قال: «اعذرني، على الذهاب». غادر ملوحًا.

كانت الحانة صامتة لحظة أخرى، وبعد ذلك، على نحو مربك، ضحك الرجل صاحب الضحكة الخشنة مرّة أخرى. اشمأزت منه الفتاة - التي كان قد جرها معه إلى الحانة - كثيرًا خلال الساعة الأخيرة. وعلى الأرجح، كانت ستشعر بارتياح عظيم لو علمت أنه خلال دقيقة ونصف تقريبًا سيتبخر - فجأة - إلى نفحة من الهيدروجين والأوزون وأول أكسيد الكربون. مع ذلك، عندما تجيء اللحظة سوف تكون مشغولة جدًّا وهي تتبخر مثله، فلن تلاحظ ذلك.

لمس السَّاقي حنجرته. وسمع نفسه يقول:

«آخر الطلبات، من فضلكم».

بدأت الآلات الضخمة الصفراء تغوص نحو الأسفل وتتحرك بسرعة أكبر.

عرف فورد أنها كانت هناك. هو لم يرد أن يحدث الأمر بهذه الطريقة.

كاد آرثر يصل إلى منزله وهو يركض صاعدًا الدرب. لم يلاحظ برودة الطقس المفاجئة، لم يلاحظ الريح، لم يلاحظ هبَّة المطر المفاجئة اللا

معقولة. لم يلاحظ أي شيء سوى الجرافات الجرارة تزحف على الحطام الذي كان بيته.

صاح: «أيها الهمج. سوف أقاضي المجلس على كل بنس! سوف أنال منكم شنقًا وغرقًا وممزقين إربًا. وسوف أحرص على أن تضربوا بالسوط؟ وتسلقوا... حتى... حتى... حتى تنالوا ما تستحقون».

كان فورد يجري خلفه بسرعة كبيرة. سرعة كبيرة جدًّا.

صاح آرثر: «ثم سوف أفعلها ثانية! وعندما أنتهي سوف آخذ جميع القطع الصغيرة، وسوف أطؤها بقدمي!»

لم يلاحظ آرثر أن الرجال كانوا يركضون تاركين الجرافات، لم يلاحظ أن السيد بروسر كان يحدّق إلى السماء محمومًا. كان ما لاحظه السيد بروسر أن تلك الأشياء الصفراء الضخمة كانت تصرخ مخترقة السحب. أشياء ضخمة وصفراء ومستحيلة.

صاح آرثر وهو لا يزال يجري: «وسوف أواصل وطأها حتى تظهر البثور فيها، أو يمكنني أن أفكر في أي شيء حتى أكثر بغضًا لأفعله، من ثم...»

تعثر آرثر وانطرح أرضًا، تدحرج وحطَّ مستلقيًا على ظهره. لاحظ أخيرًا أن شيئًا ما كان يجري. أشار بإصبعه نحو الأعلى.

صرخ: «ما هذا بحق الجحيم؟»

كائنًا كان يعدو في عرض السماء بلونه الأصفر الوحشي، مزّق السماء مصدرًا ضجة مذهلة، وقفز بعيدًا تاركًا الهواء الفاصل ينغلق خلفه بضربة كانت جديرة بإدخال أذنيك مسافة ستة أقدام داخل جمجمتك.

تبعت واحدة أخرى وفعلت بالضبط الأمر نفسه لكن بصوت أعلى.

من الصعب أن تعرف يقينًا ما الذي كان الناس يفعلونه على سطح الكوكب الآن، لأنّهم هم أنفسهم لم يعرفوا حقًّا ماذا كانوا يفعلون. لم يكن شيئًا منطقيًا كثيرًا، الجري داخل المنازل، الجري من المنازل، الولولة بصمت عند سماع الضجة. في أرجاء العالم كافة انفجرت شوارع المدن بالناس، اصطدمت السيارات بعنف بعضها ببعض عندما حلت الضجة، ثم تدحرجت الضجة مثل موجة مدِّية على التلال والوديان، الصحاري والمحيطات، تبدو أنها تدك كل ما تضربه.

فقط رجل واحد وقف وراقب الماء، وقف وفي عينيه حزن رهيب، وسدادتان مطاطيتان في أذنيه. عرف بالضبط ما كان يحدث، وكان قد عرف منذ أن بدأ **سب-إيثا سنسوماتيك** يغمز في منتصف الليل إلى جانب وسادته وأيقظه مجفلًا. كان ما انتظره طوال هذه السنوات، لكن عندما فك رموز الإشارة، جالسًا بمفرده في غرفته الصغيرة المظلمة، استولت عليه برودة وعصرت قلبه. من بين جميع الأجناس في أنحاء المجرة كلها الذين كان بإمكانهم القدوم لإلقاء التحية الكبيرة على كوكب الأرض.. فكَّر، لم يكن يكن عليه أن يكون جنس الفوغون.

مع ذلك عرف ما كان عليه فعله. عندما صرخت طائرة الفوغون عبر الهواء عاليًا فوقه فتح حقيبته. رمى نص العرض الموسيقي «جوزيف ومعطف الحلم الملوَّن المذهل»، رمى مسرحيّة «سحر الآلهة»: لن يكون بحاجة إليهما حيث كان ذاهبًا. كان كل شيء جاهزًا، كان كل شيء مهيئًا.

عرف مكان منشفته.

ضرب صمت مباغت الأرض. كان أسوأ من الضجة. إلى حين لم يحدث شيء.

كانت السفن الكبيرة معلقة بلا حراك في السماء، فوق كل أمة على وجه الأرض. بلا حراك تعلقت، ضخمة، ثقيلة، ثابتة في السماء، تجديف ضدّ الطبيعة. صعق الكثير من الناس مباشرة عندما حاولت عقولهم استيعاب ما كانوا ينظرون إليه. تعلقت السفن بالسماء بشدة بنفس الطريقة التي لا يتعلق بها القرميد.

ومع ذلك لم يحدث شيء.

ثم كان هناك همس خفيف، همس مفاجئ رحيب من صوت شامل صريح. كل مجموعة معدات هاي فاي في العالم، كل راديو، كل تلفزيون، كل مسجلة كاسيت، اشتغل كل مكبر صوت، سواء أكان ذا تردد منخفض أم تردد عالي، كل مشغل مكبرات الصوت متوسط المدى في العالم، أصدر الصوت من تلقاء نفسه بهدوء.

كل علبة صغيرة من الصفيح، كل صندوق قمامة، كل نافذة، كل سيارة، كل كأس نبيذ، كل صفيحة معدنية صدئة أصبحت نشطة مثل لوح سبر صوتي مثالي.

قبل رحيل الأرض كانت ستجرى محادثة معها عبر أقصى درجات إعادة إنتاج الصوت، وهو أعظم نظام مخاطبة عام معتمد على الإطلاق. لكن لم

يكن هناك حفل موسيقي، ولا موسيقى، ما من نفخ في الأبواق، مجرد رسالة بسيطة.

قال صوت رائع: «انتباه من فضلكم يا أهل الأرض». صوت رباعي مثالي رائع بمستويات تشويه منخفضة جدًّا يستدر دموع الشجاع.

واصل الصوت: «معكم بروستيتنيك فوغون جلتز من مجلس تخطيط الفضاء الفائق المجري، بما أنكم - بلا شك- على علم، تتطلب خطط تطوير مناطق المجرة النائية بناء طريق سريع فائق فضائي عبر نظامكم النجمي، وللأسف كوكبكم واحد من تلك الكواكب المزمع تدميرها. سوف تستغرق العملية أقل قليلًا من دقيقتين من دقائقكم الأرضية. شكرًا لكم».

تناهى صوت النداء العام إلى الصمت.

استقر هلع جاهل على شعب الأرض المراقب. انتقل الهلع ببطء عبر الحشود المتجمعة كما لو أنهم كانوا برادة حديد على لوح رقيق وكان مغنطيس يتحرك تحتهم. انبثق الذعر ثانية، ذعر منفلت يائس، لكن لم يكن هناك مكان للهروب.

شغل الفوغون بعد أن لاحظوا هذا نظام النداء العام الخاص بهم ثانية. قالوا:

«لا فائدة من التصرف باستغراب بشأن ما سيحدث. كانت جميع الرسومات التخطيطية وأوامر الهدم معروضة في قسم التخطيط المحلي خاصتكم في ألفا سنتوري طوال خمسين سنة من سنواتكم الأرضية، لذا كان لديكم الكثير من الوقت لتقديم شكوى رسمية، لقد فات الأوان للبدء بإثارة ضجة، حول ما سيحدث الآن».

تناهي النداء العام إلى الصمت ثانية وانجرف صداه عبر اليابسة. التفتت السفن الضخمة ببطء في الماء بحركة يسيرة. انفتح على الجانب السفلي لكل واحدة باب أرضي مربع أسود وفارغ.

لا بد أن شخصًا ما في مكان ما امتلك جهاز إرسال بحلول هذا الوقت، وحدد الطول الموجي، وبث رسالة إلى السفن الفوغونية للدفاع نيابة عن الكوكب. لم يسمع أحد قط ما قاله، سمعوا فقط الجواب. دبت الحياة في نظام النداء العام ثانية. كان الصوت ساخطًا. قال:

«ماذا تعني بقولك إنِّه لم يسبق لك أن كنت على نجم ألفا سنتوري؟ بحق السماء، أيها البشر، إنِّه؟ يبعد فقط أربع سنوات ضوئية، كما تعلم. آسف، لكن

إذا كنتم لا تستطيعون أن تتكلفوا عناء الاهتمام بشؤون محلّيّة فتلك مسؤوليتكم».

«أمد حزم الهدم بالطاقة»

تدفق الضوء من الأبواب الأرضية.

قال صوت الداء العام: «لا أعرف، كوكب لعين فاتر، لا أملك ذرة تعاطف تجاهه على الإطلاق». تقطع.

ساد صمت رهيب مروع.

حدثت ضوضاء رهيبة مروعة.

ساد صمت رهيب مروع.

مضي أسطول الإنشاء الفوغوني بيسر نحو الفضاء المتوهج المرصَّع بالنجوم.

4

بعيدًا جدًّا، على الذراع الحلزونية المقابلة للمجرة، على مسافة خمسمئة ألف سنة ضوئية عن النجم **سول**، أسرع زيفود بيبلبروكس، رئيس حكومة المجرة الإمبراطورية، عبر بحار كوكب **داموغران**، قارب الدفع الأيوني دلتا خاصته يغمز ويومض في شمس الداموغران.

داموغران الحار، داموغران النائي، داموغران لم يسمع به أحد إلا بالكاد.

داموغران، الموئل السري لسفينة قلب الذهب.

أسرع القارب عبر المياه. قد يستغرق الأمر بعض الوقت قبل الوصول إلى وجهته، لأن داموغران كوكب منظم تنظيمًا غير مناسب. لا يتألف إلا من جزر نائية غير مأهولة، من متوسطة إلى كبيرة الحجم، تفصل فيما بينها امتدادات من المحيط جميلة جدًّا، لكنّها مترامية الأطراف بشكل مزعج.

أسرع القارب.

ظل داموغران كوكبًا مهجورًا على الدوام جراء هذه الصعوبة الطوبوغرافية. هذا ما دعا حكومة المجرة الإمبراطورية إلى اختيار داموغران لمشروع سفينة قلب الذهب، لأنّه كان قفرًا جدًّا، وكان مشروع قلب الذهب فائق السِّرية.

اندفع القارب بسرعة وتنقل في عرض البحر، البحر الممتد بين الجزر الرئيسة للأرخبيل الوحيد من أي حجم مفيد على الكوكب برمته. كان زيفود بيبلبروكس في طريقه من الميناء الفضائي الصغير على جزيرة ايستر (كان الاسم مصادفة عديمة المعنى تمامًا. في منطوق المجرة **الغالاكتيكسبيك**، تعني كلمة ايستر: صغير ومسطح وبني فاتح) إلى جزيرة قلب الذهب التي كانت تدعى فرنسا بمصادفة أخرى عديمة المعنى.

كان أحد الآثار الجانبية للعمل على قلب الذهب، سلسلة كاملة من المصادفات العديمة المعنى تمامًا.

لكن لم تكن مصادفة على أي حال من الأحوال أن ذلك اليوم، يوم تتويج المشروع، يوم الكشف العظيم، اليوم الذي سيتم فيه أخيرًا تقديم **قلب الذهب** إلى مجرة بديعة، كان أيضًا يومًا عظيمًا لتتويج زيفود بيبلبروكس. من

أجل هذا اليوم كان قد قرر أول مرة الترشح للرئاسة، قرار أرسل موجات صادمة من الدهشة عبر المجرة الإمبراطورية - زيفود بيبلبروكس؟ رئيس؟ ليس الزيفود بيبلبروكس؟ ليس الرئيس؟ رأى الكثيرون في ذلك دليلًا حاسمًا على أن كامل الخليقة المعروفة فقدت صوابها أخيرًا.

كشر زيفود ومنح القارب دفعة إضافية من السرعة.

زيفود بيبلبروكس؛ مغامر، هيبي سابق، مؤقِّت جيد، (محتال؟ من الجائز كثيرًا)، مهووس بالدعاية الذاتية، سيئ جدًّا في العلاقات الشخصية، كثيرًا ما يعتقد أنه مختل العقل تمامًا.

رئيس؟

لم يسبق لأحد أن فقد صوابه، على الأقل ليس بتلك الطريقة.

ستة أشخاص فقط في المجرة بكاملها فهموا المبدأ الذي كانت تحكم المجرة على أساسه. وعرفوا أنه ما إن يعلن زيفود بيبلبروكس عن نيته في الترشح للرئاسة كان الأمر تحصيل حاصل إلى حدٍ ما: كان علفًا مثاليًا للرئاسة[1].

ما لم يتمكّن أحد من معرفته مطلقًا كان السبب الذي دعا زيفود للقيام بذلك.

مال القارب بحدة وأطلق جدارًا جامحًا من المياه نحو الشمس.

كان اليوم هو اليوم المنشود، كان اليوم هو اليوم الذي سيدركون فيه ما كان ينوي زيفود فعله. كان اليوم كل ما تدور حوله رئاسة زيفود بيبليروكس. كان اليوم أيضًا عيد ميلاده المئتين، لكن تلك كانت مصادفة أخرى جوفاء.

بينما كان يتنقل بقاربه عبر بحار داموغران ابتسم لنفسه بهدوء مفكرًا في أنه سيكون يومًا رائعًا ومثيرًا. استرخى وأراح ذراعًا بكسل على امتداد ظهر المقعد. قاد بذراع إضافية كان قد ركّبها مؤخرًا تحت ذراعه اليمنى تمامًا لتساعد على تحسين ملاكمة التزلج.

هدر لنفسه قائلًا: «أنت فتى ظريف حقيقي، أنت». لكن أعصابه غنت أغنية أكثر حدة من صفير كلب.

كان طول جزيرة فرنسا يبلغ عشرين ميلًا تقريبًا، وعرضها خمسة أميال عند الشكل الهلالي الرملي الأوسط. لم تبد في الحقيقة أنها موجودة كثيرًا كجزيرة في حد ذاتها، بقدر ما كانت مجرد وسيلة لتحديد مدى وانحناء خليج

ضخم. كان هذا الانطباع مضاعفًا بحقيقة أن خط الساحل الداخلي للهلال تكون كليًا تقريبًا من جروف صخرية شديدة التحدُّر. تحدرت اليابسة من أعلى الجرف ببطء مسافة خمسة أميال نحو الشاطى المقابل.

على قمة المنحدرات وقفت لجنة استقبال.

شكل المهندسون والباحثون الذين بنوا سفينة **قلب الذهب** جزءًا كبيرًا منها لمعظمهم مواصفات البشر، لكن كان هنا وهناك عدد قليل من أشباه الزواحف البشريّة، اثنتان أو ثلاث من شبيهات الحوريات الخضراء الضخمة بحجم حجر المغليث، فيزيائي أخطبوطي الشكل أو اثنان، وواحد هولوفو (الهولوفو درجة فائقة الذكاء من اللون الأزرق). كانوا كلهم ما عدا الهولوفو متألقين في معاطفهم المخبرية الاحتفالية المتعددة الألوان، كان الهولوفو منكسرين مؤقتًا إلى موشور قائم بذاته من أجل المناسبة.

سرى مزاج من الإثارة الهائلة والتشويق فيهم جميعًا. ذهبوا معًا وفيما بينهم وتجاوزوا أبعد حدود القوانين الفيزيائية، أعادوا هيكلة النسيج الأساسي للمادة، ضغطوا، وثنوا، وكسروا قوانين الإمكان والاستحالة، لكن مع ذلك بدا أن أعظم إثارة على الإطلاق هي أن تلتقي رجلًا يلف عنقه بوشاح برتقالي. (كان رئيس المجرة يرتدي وشاحًا برتقاليًا تقليديًا) لن يكون هناك فرق كبير بالنسبة إليهم لو عرفوا بالضبط مقدار السلطة الذي يستخدمه رئيس المجرة فعلًا: لا شيء على الإطلاق. عرف فقط ستة أشخاص في المجرة أن عمل رئيس المجرة لم يكن ممارسة السلطة، بل تشتيت الانتباه بعيدًا عنها.

كان زيفود بيبلبروكس يجيد عمله إجادة مذهلة.

لهثت الجماهير التي بهرتها الشمس وفن الملاحة، بينما كان القارب الرئاسي البخاري السريع ينطلق حول الرأس البحري ويدخل الخليج. كان يومض ويشع في أثناء انزلاقه على البحر في منعطفات عريضة.

في الواقع لم يكن هناك حاجة إلى لمس المياه على الإطلاق، لأنّه كان مدعومًا على وسادة سديمية من الذرات المتأينة، لكنه من أجل أن يبهر فقط كان مزودًا بشفرات رقيقة يمكن إنزالها في المياه. ساطت صفحات الماء وهسهست في الهواء، نحتت شقوقًا بليغة في البحر، تمايلت بجنون، وغرقت في إثر الزورق المزبد في أثناء سيره في عرض الخليج.

أحب زيفود الأثر: كان أفضل ما يجيده.

فتل عجلة التوجيه بحدة، التف الزورق في انزلاقة منجلية جامحة تحت وجه الجرف، وانخفض ليستقر برفق على الأمواج المتمايلة.

هرع إلى السطح في غضون ثواني، ولوح، وكشر لما يزيد على ثلاثة مليارات شخص. لم يكن ثلاثة المليارات شخص فعليًا ثلاثة، لكن شاهدوا كل إيماءة من إيماءاته عبر أعين روبوت صغير بكاميرا ثلاثية الأبعاد حامت بخنوع في الهواء القريب. لطالما كانت تصرفات الرئيس المضحكة تصنع صورًا ثلاثية الأبعاد ذات شعبيّة مدهشة: وهذا كان الهدف منها.

كشر مرّة أخرى. ثلاثة مليارات وستة أشخاص لم يعرفوا ذلك، لكن اليوم قد يكون أكثر غرابة مما راهن أحد عليه.

توجهت كاميرا الروبوت لالتقاط لقطة مقربة على الأكثر شهرة من بين رأسيه الاثنين، ولوح ثانية. كان لمظهره مواصفات بشريّة تقريبًا، باستثناء الرأس الإضافي والذراع الثالثة. خرج شعره المشعث الأشقر في اتجاهات عشوائية، ومضت عيناه الزرقاوان بشيء لا يمكن التعرف إليه بالكامل، وكان ذقناه غير حليقين على الدوام تقريبًا.

عامت كرة شفافة بارتفاع عشرين قدمًا بالقرب من زورقه. تدور وترتفع وتنخفض، تلمع في الشمس الساطعة. في داخلها عامت أريكة نصف دائرية منجدة بالجلد الأحمر البهي: كلما دارت الكرة وارتفعت وانخفضت ظلت الأريكة ثابتة على نحو مثالي، ثابتة مثل صخرة منجدة. مرّة أخرى، أنجز كل شيء من أجل الإبهار أكثر من أي شيء آخر.

درج زيفود عبر جدار الكرة واستراح على الأريكة. فرد ذراعيه على طول الظهر وبالذراع الثالثة نفض بعض الغبار عن ركبته. نظر رأساه من حوله مبتسمين، رفع قدميه عاليًا. في أي لحظة، فكر، قد يصرخ.

كانت المياه تفور تحت الفقاعة وتثور وتتدفق. اندفعت الفقاعة في الهواء، ترتفع وتنخفض وتتدحرج على عمود الماء. صعدت أعلى وأعلى ترمي ركائز الضوء عند الجرف. اندفعت عاليًا على النافورة، تتساقط المياه من تحتها، وتتكسر عائدة إلى البحر نحو الأسفل مسافة مئات الأقدام.

ابتسم زيفود راسمًا لنفسه صورة ذهنية.

وسيلة نقل سخيفة كليًا، لكن جميلة الشكل تمامًا.

عند أعلى الجرف تذبذبت الكرة لحظة، مالت إلى منحدر مسيج، تدحرجت إلى الأسفل نحو منصة صغيرة مجوفة وتوقفت.

مع تصفيق هائل خرج زيفود بيبلبروكس من الفقاعة وكان شاحه البرتقالي يتوهج في الضوء.

وصل رئيس المجرة.

انتظر حتى يخفت التهليل ثم رفع يده محييًا.

قال: «مرحبًا».

اقترب منه عنكبوت حكومي يسير جانبيًا، وحاول أن يضع نسخة خطابه المعد بين يديه. كانت الصفحات ذات الأرقام من ثلاثة إلى سبعة من النسخة الأصلية في هذه اللحظة تطفو مبللة بالماء على بحر داموغران على مسافة خمسة أميال من الخليج. أنقذت الصفحتان ذات الأرقام واحد واثنين بواسطة نسر متوج بسعفة داموغران، وقد اندمجت فعلًا بشكل جديد استثنائي لتصبح عشًا ابتكره النسر. كان جزءًا كبيرًا من العش مبنيًا من عجينة الورق، وكان يستحيل عمليًا على طائر صغير فقست بيضته حديثًا الخروج منه. سمع النسر الداموغراني المتوج بسعفة عن مفهوم بقاء الأنواع، لكن لم يرغب في الانخراط فيه.

لم يكن زيفود بيبلبروكس بحاجة إلى خطابه المعد سلفًا، وأعاد للعنكبوت بلطف الخطاب الذي قدمه له.

قال ثانية: «مرحبًا».

ابتسم له الجميع، إذ كان جميعهم مبتهجين. ميز تريليان من بين الجماهير. كانت تريليان فتاة حملها زيفود مؤخرًا في أثناء زيارته لكوكب، فقط من أجل التسلية، باسم مستعار. كانت نحيلة، داكنة البشرة، بشريّة الصفات، مع شعر أسود مموج طويل وفم كبير وأنف بارز صغير غريب وعينين بنيتين سخيفتين. بدت عربية بوشاح رأسها الأحمر المعقود بتلك الطريقة الخاصّة وفستانها البني الحريري الطويل المناسب. بالطبع هذا لا يعني أن أحدًا هناك سمع بعربي. كف العرب عن الوجود مؤخرًا، وحتى عندما وجدوا، كانوا يبعدون مسافة خمسمئة ألف سنة ضوئية عن داموغران. لم تكن تريليان شخصًا بعينه، أو هذا ما ادعاه زيفود. هي فقط طافت معه كثيرًا إلى حدٍ ما، وأخبرته بما تظن به.

قال لها: «مرحبًا حبيبتي»

وجهت له ابتسامة سريعة متوترة وأشاحت ببصرها. ثم عادت ونظرت لحظة وابتسمت بحرارة أكبر، لكن هذه المرّة كان ينظر إلى شيء آخر.

«مرحبًا»، قال لجمع صغير من المخلوقات الصحفية كانوا واقفين بالجوار يتمنون لو أنه يكف عن قول «مرحبًا» ويبدأ بقول الاقتباسات. كشر لهم

خصوصًا لأنّه كان يعلم أنه في غضون لحظات قليلة سوف يمنحهم اقتباسًا من جحيم.

ولو أن الأمر التالي الذي قاله لم يكن مفيدًا كثيرًا لهم. قرر واحد من مسؤولي الحفلة بعصبية أن الرئيس - بوضوح - ليس في حالة مزاجية تسمح له بقراءة الخطاب المطوي المكتوب من أجله بنكهة رائعة، وقد ضغط على مفتاح جهاز التحكم في جيبه. بعيدًا أمامهم تصدعت القبة البيضاء الضخمة من المنتصف، المنتفخة قبالة السماء وانثنت متجهة نحو الأرض. لهث الجميع على الرغم من أنهم عرفوا تمامًا أنها سوف تفعل ذلك لأنّهم بنوها لتفعل ذلك.

كُشفت مركبة فضائيّة ضخمة بطول مئة وخمسين مترًا، على شكل حذاء رياضي أملس، ناصعة البياض وجميلة ومدهشة. وضع في قلبها صندوقًا ذهبيًا صغيرًا غير مرئي حمل في جنباته أكثر الأجهزة إثارة للدماغ على الإطلاق، جهاز جعل هذه المركبة الفضائية فريدة من نوعها في تاريخ المجرة، جهاز سميت السفينة باسمه: قلب الذهب.

صاح زيفود بيبلروكس مدهوشًا بسبب قلب الذهب، لم يكن هناك الكثير يمكن أن يُقال.

ردّد صيحته مرّة أخرى لأنّه عرف أنها ستزعج الصحافة.

التفت الجمهور إليه بترقب. غمز تريليان فرفعت حاجبيها ووسعت عينيها نحوه. عرفت ما كان على وشك أن يقوله وفكرت في أنه متفاخر مريع.

قال: «هذا مدهش حقًّا، أظن أني أود سرقته».

قطعا، إنّه اقتباس رئاسي بديع حقيقي. ضحك الجمهور بامتنان، ضرب الصحفيون بابتهاج على أزرار جهاز **الساب-ايثا نيوزماتيك** وكشر الرئيس.

عندما كشر صرخ قلبه صرخة لا تطاق، وأشار إلى قنبلة بارالايسوماتيك صغيرة استكانت بهدوء في جيبه.

أخيرًا، لم يعد يستطيع التحمل. رفع رأسيه إلى السماء، وأطلق صيحة وحشية بالبعد الكبير، رمى القنبلة على الأرض وهرع إلى الأمام عبر بحر من الابتسامات المشرقة المتجمدة فجأة.

5

لم يكن منظر بروستيتنيك فوغون جلتز مبهجًا حتى بالنسبة إلى بقية الفوغون. ارتفع أنفه المقبب فوق جبهة صغيرة. كان جلده المطاطي الأخضر الداكن سميكًا بما يكفيه ليلعب لعبة سياسة الخدمة المدنية الفوغونية، ويلعبها جيدًا، وغير منفذ للماء بما يكفيه للنجاة إلى أجل غير مسمى، حتى إن وصل إلى عمق ألف قدم في البحر دون عواقب سيئة.

هذا لا يعني بالطبع أنه ذهب للسباحة من قبل قط. لم يكن جدول مواعيده المزدحم يسمح له بذلك. كان على الشكل الذي كان عليه لأنّه منذ مليارات السنين، عندما خرج الفوغون أول مرة زاحفين من بحار كوكب فوغسفير البدائيّة الراكدة، وتمددوا مقطوعي الأنفاس، مائجين على شواطئ الكوكب العذراء... عندما تلألأت أشعة شمس فوغسول الساطعة والفتية والبكر فوقهم ذلك الصباح، كان كما لو أنّ قوى التطور تخلت عنهم ببساطة هناك، ثم التفتت جانبًا مشمئزة وقللت من قدرهم باعتبارهم خطأً قبيحًا ومشؤومًا. لم يتطوروا ثانية قط: لم يكن عليهم البقاء على قيد الحياة على الإطلاق.

إن حقيقة بقائهم على قيد الحياة هي من قبيل الإشادة بعناد هذه المخلوقات ذات الإرادة البليدة والعقول البطيئة. تطور؟ قالوا أنفسهم، من يحتاج إليه؟، وما رفضت الطبيعة فعله من أجلهم استغنوا عنه ببساطة إلى أن يجيء الوقت الذي يمكنهم فيه تصحيح المضايقات التشريحية الجسيمة بعملية جراحية.

في غضون ذلك كانت القوى الطبيعية على كوكب فوغسفير تعمل ساعات إضافية لتعوض خطأها السابق. أحضرت سرطانات متلألئة مرصعة بالجواهر أكلها الفوغون، بعد أن هشموا أصدافها بمطارق حديدية، قطع الفوغون أشجار طويلة سامقة نحيلة أخاذة اللون وحرقوا بها لحم السرطانات، مخلوقات رشيقة شبيهة بالغزلان، معاطفها ناعمة كالحرير، وأعينها ندية، يقبض الفوغون عليها، ويمتطونها. لم تكن صالحة للتنقل لأن ظهورها قد تنقصف في الحال، لكن امتطاها الفوغون رغم ذلك.

لذا قضى كوكب فوغسفير الألفية التعيسة إلى أن اكتشف الفوغون فجأة أساسيات السفر بين الأفلاك. هاجر الفوغون جميعًا في غضون بضع سنوات

فوغونية قصيرة إلى المجموعة النجمية الميغا برانتيس، مركز المجرة السياسي، وقد شكل الآن المحور القوي للخدمة المدنية للمجرة. كانوا قد حاولوا تحصيل العلم، حاولوا اكتساب الأسلوب والشرف الاجتماعي، لكن في معظم النواحي لا يختلف الفوغون المعاصرون إلا قليلًا عن أسلافهم البدائيين. يستوردون كل عام سبعة وعشرين سرطان متألق مرصع بالجواهر من كوكبهم الأصلي، ويمضون ليلة ثملة سعيدة محطمين إياها إلى قطع صغيرة بالمطارق الحديدية.

كان بروستيتنيك فوغون جلتز فوغونًا نموذجيًا إلى حدٍ ما، من ناحية أنه كان وضيعًا تمامًا. وهو أيضًا لم يحبّ المسافرين مجانًا.

اتقد عود ثقاب صغير بعصبية في مكان ما في حجرة صغيرة ومعتمة ومدفونة عميقًا في أحشاء سفينة القائد بروستيتنيك فوغون جلتز. لم يكن صاحب عود الثقاب من الفوغون، لكنه عرف عنهم كل شيء، وكان محقًا في توتره. كان يدعى فورد برفكت[2].

نظر إلى أرجاء الحجرة لكنه لم ير إلا قدرًا ضئيلًا، لاحت ظلال غريبة وحشية وطفرت مع اللهب الغير الوامض، لكن كل شيء كان هادئًا. همس بصمت قائلًا شكرًا للدنتراسيين. والدنتراسيون قبيلة عنيدة من الذواقة، مجموعة جامحة لكن مستحبة، استخدمهم الفوغون كثيرًا مؤخرًا كادرًا لتقديم الطعام على أساطيلهم البعيدة المدى، على أساس أنهم يفضلون البقاء بمفردهم معظم الوقت ولا يتحدثون معهم كثيرًا.

كان هذا مناسبًا للدنتراسييون على نحو ممتاز، لأنّهم أحبوا عملة الفوغون، وهي واحدة من أقسى العملات في الفضاء، لكن كرهوا الفوغون أنفسهم. كان التنوع الوحيد من الفوغون الذي أحب الدنتراسي رؤيته، الفوغون المنزعج.

بسبب هذه المعلومة الصغيرة، لم يكن فورد برفكت قد تحول الآن إلى نفحة هيدروجين وأوزون وأول أكسيد الكربون.

سمع أنة خفيفة. رأى بواسطة ضوء عود الثقاب شكلًا ثقيلًا يتحرك بخفة على الأرض. أطفأ سريعًا عود الثقاب ومد يده إلى جيبه، وجد ما كان يبحث عنه وأخرجه. فتحه وهزّه. جثم على الأرض. تحرك الشكل ثانية.

قال فورد برفكت: «لقد اشتريت قليلًا من الفستق».

تحرك آرثر دنت وتأوه ثانية، يتمتم بكلام غير مفهوم

ألح فورد وهو يهز العلبة ثانية: «هاك، تناول قليلًا، إذا لم تكن قد مررت بشعاع تحويل المادة من قبل ربما تكون خسرت على الأرجح بعض الملح والبروتين. لا بد أن البيرة التي شربتها أخمدت جسمك قليلًا»..

أصدر آرثر دنت طنينًا. فتح عينيه وقال: «المكان مظلم».

قال فورد برفكت: «نعم، إنّه مظلم».

قال آرثر دنت: «ما من ضوء، عتمة، ما من ضوء».

واحد من الأمور المتعلقة بالبشر التي لطالما وجدها فورد برفكت مستعصية على الفهم، كانت عادتهم في التعبير المستمر عما هو شديد الوضوح وتكرار ذلك كما في، **إنّه يوم لطيف، أو أنت طويل جدًّا، أو يا إلهي أنت تبدو كما لو أنك سقطت عن جدار يبلغ ارتفاعه ثلاثين قدمًا، هل أنت بخير؟** في البداية صاغ فورد نظرية تحمل مسؤولية هذا السلوك الغريب. فكر: إذا لم يمرن البشر شفاههم باستمرار، فإن أفواههم قد تنغلق إلى الأبد. بعد بضعة أشهر من التفكير والمراقبة هجر هذه النظرية لصالح نظرية جديدة. فكر: إذا لم يحافظوا على تمرين شفاههم، فإن عقولهم ستبدأ بالعمل بعد حين. هذه النظرية أيضًا على أنها ساخرة بشكل مُعوِّق، وقرر أنه أحب البشر تمامًا في النهاية، لكنه ظل دومًا قلقًا يائسًا بشأن العدد الرهيب من الأمور التي لا يعرفوننها.

وافق آرثر: «نعم، ما من ضوء». قدم لآرثر كمية من الفستق سأله: «كيف تشعر؟»

قال آرثر: «مثل أكاديمية عسكرية، أجزاء مني تستمر بالإغماء».

حدق فورد إليه في العتمة مدهوشًا.

قال آرثر بضعف: «إذا سألتك أين نحن، هل سأندم على ذلك؟»

نهض فورد وقال: «نحن بأمان».

قال آرثر: «أوه جيد».

قال فورد: «نحن في حجرة مطبخ صغيرة في إحدى السفن الفضائية لأسطول الفوغون للإنشاء».

قال آرثر: «آه، من الواضح أنّ هذا استعمال غريب لكلمة «أمان» لم أكن أعرفه سابقًا».

أشعل فورد عود ثقاب آخر ليستطيع البحث عن مفتاح الضوء. طفرت ظلال وحشية ولاحت مرّة أخرى. كافح آرثر للوقوف على قدميه وعانق نفسه بقلق. بدت أشكال غريبة شنيعة تتجمع حوله، كان الهواء كثيفًا بروائح عفنة تغلغلت في رئتيه دون أن أننا تكشف هويتها وهمهمة خفيضة مزعجة منعت دماغه من التركيز.

سال وهو يرتعش قليلًا: «كيف وصلنا إلى هنا؟»

قال فورد: «حصلنا على توصيلة مجانية».

قال آرثر: «المعذرة؟ هل تحاول أن تقول لي رفعنا إبهامينا فقط، وثمّة وحش أخضر جاحظ العينين مد رأسه وقال: مرحبًا يا رفاق، اقفزوا على الفور، يمكنني أخذكما حتى دوار بيسينغستوك؟»

قال فورد: «حسنًا، يعد الإبهام جهاز إشارة سب-ايثا إلكتروني، والدوار عند نجم برنارد على بعد ست سنوات ضوئية، لكن بخلاف ذلك، هذا صحيح تقريبًا».

«والوحش جاحظ العينين؟»

«أخضر، نعم».

قال آرثر: «ممتاز، متى يمكنني الذهاب إلى البيت؟»

قال فورد برفكت: «لا تستطيع». وعثر على مفتاح الضوء.

قال: «استر عينيك...». وأضاءه.

حتى فورد كان متفاجئًا.

قال آرثر: «يا إلهي، هل نحن حقًّا داخل طبق طائر؟»

طرح بروستيتنيك فوغون جلتز جسده الأخضر غير المستحب حول مقصورة القيادة. لطالما شعر بضيق شديد ومبهم بعد تدمير الكواكب المأهولة. تمني أن يأتي أحدهم ويقول له إن هذا كله خطأ، فيمكنه الصراخ في وجهه فيشعر بتحسن. تخبط بأقصى ثقله على مقعد الحكم الخاص به، على أمل أن ينكسر فيصبح لديه سبب صادق للغضب، لكن لم يصدر عنه سوى صرير متذمر.

«اغرب عني!» صرخ في وجه فوغون شاب دخل المقصورة في تلك اللحظة. اختفى الحارس في الحال وهو يشعر بالارتياح إلى حدٍ ما. شعر

بالسرور لأنّه لم يكن من أرسل التقرير الذي تلقوه في الحال. كان التقرير بيانًا رسميًا يقول إنّه يتم كشف النقاب عن شكل جديد ورائع من الطرق المخصصة للمركبات الفضائية في هذه اللحظة في قاعدة أبحاث حكومية على سطح كوكب داموغران؛ ما سيغني عن الحاجة إلى جميع الطرق السريعة الفائقة المساحة من الآن فصاعدًا.

انفتح باب آخر، لكن هذه المرّة لم يصرخ قبطان الفوغون لأنّه كان باب حجرة مطبخ السفينة حيث يحضر الدنتراسيون له وجبات الطعام. قد تكون الوجبة موضع ترحيب كبير.

قفز مخلوق ضخم مكسو بالفراء عبر الباب حاملًا صينية الغداء. كان يكشر كالمخبول.

كان بروستيتنيك فوغون جلتز مبتهجًا. عرف أنه عندما يبدو دنتراسي مستمتعًا بنفسه، فإن هناك شيئًا يجري في مكان ما على متن السفينة يمكنه أن يغضب بشأنه جدًّا حقًّا.

حق فورد وآرثر حولهما.

قال فورد: «حسنًا، ماذا تظن؟»

«إنها قذرة قليلًا، أليست كذلك؟»

تجهم فورد لرؤية المراتب القذرة، الفناجين غير المغسولة، والقطع التي لا يمكن التعرف إليها من الملابس الداخلية كريهة الرائحة والغريبة المنتشرة في أرجاء الحجرة الضيقة.

قال فورد: «حسنًا، هذه سفينة في الخدمة كما ترى، تلك مرابع نوم الدنتراسيين».

«اعتقدت أنك قلت إنهم يدعون فوغون أو شيئًا من هذا القبيل».

قال فورد: «نعم، يدير الفوغون السفينة، الدنتراسييون هم الطهاة وقد سمحوا لنا بالصعود على متن المركبة».

قال آرثر: «أنا متحير».

قال فورد: «هاك، انظر إلى هذا»، جلس على أحد المراتب وبحث في حقيبته. نخس آرثر الفراش بعصبية ثم جلس عليه بنفسه: كان لديه في الحقيقة القليل جدًّا ليتوتر بشأنه، لأن جميع المراتب النامية في مستنقعات

كوكب سكورنشيليس زيتا قتلت بشكل كامل وجففت قبل أن توضع في الخدمة. عاد عدد قليل جدًّا منها إلى الحياة مرّة أخرى.

ناول فورد الكتاب لأرثر.

سال آرثر: «ما هذا؟»

«دليل المسافر إلى المجرة. إنّه نوع من كتاب إلكتروني، يخبرك بكل ما تحتاج إلى معرفته عن أي شيء. هذه وظيفته».

قلبه آرثر بعصبية بين يديه.

قال: «يعجبني الغلاف، لا تجزع. إنّه أول أمر مفيد أو مفهوم قاله لي أي شخص طوال اليوم».

قال فورد: «سوف أريك كيف يعمل»، اختطفه من آرثر الذي كان لا يزال ممسكًا إياه كما لو أنه قبرة ميتة منذ أسبوعين وسحبه من غلافه.

«اضغط على هذا الزر هنا، كما ترى، والشاشة بالأخضر ستضيئ مانحة إياك الفهرس».

أضاءت شاشة أبعادها قرابة ثلاثة إنشات في أربعة، وبدأت الحروف تومض على السطح.

«تريد أن تعرف ما الفوغون، إذن أدخل ذلك الاسم هكذا». قرعت أصابعه على المزيد من المفاتيح. «وها نحن ذا».

توجت كلمات «أساطيل فوغون للإنشاء» الشاشة.

ضغط فورد على زر أحمر كبير أسفل الشاشة وبدأت الكلمات تتموج عبرها. في الوقت نفسه بدأ الكتاب يقرأ المدخل أيضًا بصوت موزون وهادئ. هذا ما قاله الكتاب.

«أساطيل فوغونية للإنشاء. إليك ما عليك فعله إذا كنت تريد الحصول على توصيلة من فوغون: انس الأمر. إنهم واحد من أكثر الأجناس غير المستحبة على الإطلاق في المجرة، ليسوا حقًّا أشرارًا، لكنهم **ذوو خلق سيئ**، بيروقراطيون وفضوليون وقساة القلوب. لن يرفعوا حتى إصبع لينقذوا جداتهم من **وحش بغبالاتر المفترس من كوكب ترال** دون أوامر موقعة في ثلاث نسخ مرسلة ومعادة ومستعلم عنها، مفقودة، معثور عليها، خاضعة للاستجواب العام، ضائعة ثانية، وأخيرًا، مدفونة في طبقة من الخث الأملس لثلاثة أشهر، ومعاد تصنيعها لتكون مادة تساعد على إشعال النار».

«أفضل طريقة للحصول على شراب من فوغون هو أن تقحم إصبعك في حلقه، وأفضل طريقة لتزعجه أن تطعم **الوحش بغبالاتر المفترس من كوكب هي ترال جدته**».

«لا تسمح لواحد من الفوغون أن يقرأ عليك الشعر مهما كلف الأمر».

طرف آرثر بعينيه نحوه.

«يا له من كتاب غريب. كيف حصلنا على توصيلة إذن؟»

«تلك هي الفكرة، إنها قديمة الآن»، قال فورد وهو يزلق الكتاب في غلافه. «أنا أنجز البحث الميداني من أجل الطبعة الجديدة المنقحة، وواحد من الأمور التي سيجب عليَّ فعلها هو تضمين القليل عن كيف يوظف الفوغون الطهاة الدنتراسيين الآن، ما يمنحنا مخرجًا صغيرًا مفيدًا».

سري تعبير مؤلم على وجه آرثر. قال: «لكن من هم الدنتراسيون؟»

قال فورد: «رجال عظماء، إنهم أفضل طهاة وأفضل على من يمزج المشاريب ولا يهتمون لأي شيء آخر على الإطلاق. وسوف يساعدون دومًا المسافرين على الصعود إلى متن المركبات، من ناحية لأنّهم يحبون الصحبة، لكن غالبًا لأن هذا يزعج الفوغون. وهذا النوع - بالضبط - من الأمور التي تحتاج إلى معرفتها إذا كنت مسافرًا معوزًا تحاول أن ترى بدائع الكون مقابل أقل من ثلاثين دولارًا نسريًا في اليوم، وهذا هو عملي. ممتع، أليس كذلك؟»

بدا آرثر مذهول.

بل من قال: «إنِّه مدهش»، وقطب نحو إحدى المراتب الأخرى.

قال فورد: «للأسف علقت على الأرض مدة أطول مما كنت أنوي البقاء، جئت لأسبوع وبقيت مدة خمسة عشر عامًا».

«لكن كيف وصلت إلى هناك في المقام الأول إذن؟»

«بسهولة، حصلت على توصيلة مع شخص مزعج».

«شخص مزعج؟»

«نعم».

«ما هذا...»

«شخص مزعج؟ الأشخاص المزعجون عادة أبناء الأغنياء الذين ليس لديهم ما يفعلونه. إنهم يجوبون بحثًا عن الكواكب التي لم تجر اتصال بين الأفلاك بعد ويثيرونها».

«يثيرونها؟» بدأ آرثر يشعر بأن فورد يستمتع بجعل الحياة عسيرة عليه.

قال فورد: «نعم، إنهم يثيرونها. يجدون بقعة معزولة لا يوجد حولها سوى عدد قليل من الناس، ثم يهبطون إلى جانب شخص مسكين غير مرتاب، لن يصدقه أحد يومًا، ثم يتبخترون صعودًا ونزولًا أمامه وفي رؤوسهم يضعون هوائيات سخيفة ويطلقون صفيرًا صاخبًا. طفوليون حقًّا». استند فورد إلى الفراش ويداه خلف رأسه، ونظر - مستمتعًا بنفسه - نظرة مثيرة للغضب.

ألح آرثر: «فورد، لا أعرف إذا كان هذا يبدو سؤالًا سخيفًا، لكن ماذا أفعل هنا؟»

قال فورد: «حسنًا، أنت تعرف ذلك، أنا أنقذك من الأرض».

«وماذا حدث للأرض؟»

«آه. لقد دُمرت».

قال آرثر بصوت منخفض: «حقًّا؟»

«نعم. لقد تبخرت في الفضاء».

قال آرثر: «انظر، أنا منزعج قليلًا بشأن ذلك».

قطب فورد وبدا أنه يدور الفكرة في عقله.

قال أخيرًا: «نعم، يمكنني تفهم ذلك».

صرخ آرثر: «تفهم ذلك! تفهم ذلك!»

وثب فورد.

«واصل النظر إلى الكتاب!» هسهس بإلحاح

«ماذا؟»

«لا تجزع».

«أنا لست جزعًا!»

«بلى أنت كذلكِ».

«لا بأس، إذن أنا جزع، ماذا يمكنني فعله سوى ذلك؟»

«تعال معي فقط واستمتع بوقتك. المجرة مكان مسل. سيجب عليك أن تضع هذه السمكة في أذنك».

سال آرثر: «أستميحك عذرًا؟» فكر بتهذيب إلى حدٍ ما.

كان فورد يمسك إبريقًا زجاجيًا صغيرًا في داخله سمكة صفراء صغيرة تتلوى فيه. طرف آرثر نحوه. تمنى لو كان هناك شيء بسيط ومنظور يمكنه أن يتمسك به. لو كان بوسعه أن يشعر بالأمان على امتداد ملابس الدنتراسيين الداخلية، أكوام المفارش السكرونشيلوسية، والرجل من منكب الجوزاء يمسك سمكة صغيرة صفراء ويطلب منه أن يضعها في أذنه، لكان في مقدوره أن يرى عبوة صغيرة من الكورن فليكس فحسب. لكنه لم يشعر بالأمان.

سمعا فجأة ضجة عنيفة دون أن يستطيعا تحديد مصدرها. لهث في رعب على ما بدا مثل رجل يحاول أن يغرغر وهو يقاتل قطيعًا من الذئاب.

قال فورد: «صه! اسمع، قد يكون مهمًا».

«مهمًا...؟»

«إنّه قبطان الفوغون يذيع إعلانًا على جهاز المخاطبة العامة التانوي».

«تقصد أنها الطريقة التي يتحدث بها الفوغون؟»

«اسمع!»

«لكن لا يمكنني التحدّث بلغة الفوغون!»

«لست بحاجة إلى ذلك. فقط ضع هذه السمكة أذنك».

صفَّق فورد بحركة خاطفة عند أذن آرثر، وانتابه إحساس مفاجئ بالغثيان لانزلاق السمكة عميقًا في جهازه السمعي. وهو يلهث مرعوبًا خربش عند أذنه لثانية واحدة تقريبًا، لكن آنذاك جحظت عيناه من شدّة العجب. كان يختبر المعادل الشمعي للنظر إلى صورة وجهين أسودين ظليليين، وفجأة يراها كصورة شمعدان أبيض. أو النظر إلى كثير من النقاط الملونة على قصاصة ورقية تظهر فجأة أنها الرقم ستة أنك ستضطر إلى دفع مبلغ كبير من النقود لصانع النظارات الخاص بك ثمنًا لزوج جديد من النظارات.

كان لا يزال يصغي إلى الغرغرات المولولة، عرف ذلك، لكنّها اتخذت الآن بشكل ما مظهر لغة إنكليزية صحيحة تمامًا.

هذا ما سمعه...

6

عواء عواء غرغرة عواء غرغرة عواء عواء عواء غرغرة عواء غرغرة عواء عواء غرغرة غرغرة عواء غرغرة غرغرة غرغرة عواء كرع قرقرة يجب أن تحظى بوقت ممتع. الرسالة تتكرر. هذا قبطانكم يتحدث إليكم لذا توقفوا عن أي شيء تفعلونه وانتبهوا. بادئ ذي بدء، أرى من خلال آلاتنا أن لدينا على متن السفينة اثنين من المسافرين. مرحبًا، كائنًا من تكونا. فقط أريد أن أوضح أنه ليس مرحبًا بكما على الإطلاق. عملت بجد للوصول إلى المكان الذي أنا فيه اليوم، ولم أصبح قبطان سفينة فوغون للإنشاء ببساطة حتى يكون بمستطاعي تحويلها إلى سيارة أجرة لخدمة مجموعة من المتطفلين المنحرفين. لقد أرسلت فرقة بحث وحالما تعثر عليكما سوف ألقي بكما خارج السفينة. قد أقرأ عليكما بعض الشعر أو إذا كنتما محظوظين كثيرًا.

ثانيًا، نحن على وشك القفز في الفضاء الفائق في رحلتنا إلى نجم برنارد. عند الوصول سوف نقيم في مرسى لإعادة التجهيز اثنتين وسبعين ساعة، وعلى الجميع البقاء على متن السفينة خلال ذلك الوقت. أكرر، ألغيت كل مغادرة للكوكب. لقد أنهيت للتو علاقة غرامية تعيسة، لذا لا أرى سببًا قد يدعو أي لا شخص لأن يستمتع بوقته. انتهت الرسالة».

توقفت الضوضاء.

شعر آرثر بالإحراج عندما اكتشف أنه كان يستلقي متكورًا على نفسه على الأرض ويلف رأسه بذراعيه. ابتسم على نحو باهت.

قال: «رجل جذاب، أتمنى لو أنّ لديَّ ابنة، لكان بوسعي أن أمنعها من الزواج...»

قال فورد: «ما كنت ستحتاج إلى ذلك، لديهم من الجاذبية الجنسيّة ما لدى حادث سير. لا، لا تتحرك»، أضاف عندما بدأ آرثر يقيم نفسه، «من الأفضل أن تكون مستعدًا للقفزة في الفضاء الفائق. إنها كما لو أنك كنت ثملًا على نحو كريه».

«ما الأمر المكروه بخصوص أن يكون المرء ثملًا؟»

«أن تطلب كأس ماء».

فكر آرثر في هذا.

قال: «فورد».

«نعم؟»

«ماذا تفعل هذه السمكة في أذني؟»

«إنها تترجم لك. إنها سمكة بابل. ابحث عنها في الكتاب لو تحب».

قذف نفسه على دليل المسافر إلى المجرة ثم التف على نفسه مثل كرة جنينية ليستعد للقفزة.

في تلك اللحظة انهار عقل آرثر.

انقلبت عيناه إلى الداخل. بدأت قدماه تتسربان من قمة رأسه.

انطوت الغرفة من حوله، ودومت، وخرجت من، الوجود، وتركته ينزلق في سرته.

كانوا يمرون عبر الفضاء الفائق.

قال دليل المسافر إلى المجرة بهدوء: «سمكة بابل: صغيرة، صفراء، وشبيهة بالعلقة، وعلى الأرجح أغرب الأمور في الكون. إنها تتغذى على طاقة الموجات الدماغية التي لا تتلقاها حاملها، بل من هؤلاء المحيطين به. إنها تمتص جميع الترددات العقليّة اللا واعية من طاقة الموجة الدماغية هذه لتتغذى بها. ثم تطرح في عقل حاملها مصفوفة تخاطرية مكونة من ترددات الفكر الواعي جميعها مع إشارات عصبية ملتقطة من مراكز الكلام في الدماغ الذي زودها بها. النتيجة العملية لكل هذا أنك إذا دسست سمكة بابل في أذنك يُمكنك على الفور أن تفهم كل ما يُقال لك بأي شكل من أشكال اللغة. تفك أشكال الكلام التي تسمعها بالفعل شيفرة مصفوفة الموجة الدماغية التي كانت سمكة بابل تغذي بها عقلك.

من قبيل الصدفة المستبعدة والغريبة، أن أي شيء مفيد بهذا الشكل المدهش جدًّا يمكن أن يكون قد تطور بمحض الصدفة، حتى أنّ بعض المفكرين اختاروا أن يعدونها إثباتًا نهائيًا وحاسمًا على عدم وجود الإله.

يمضي النقاش نحو شيء من هذا القبيل: «أرفض إثبات أني موجود لأن الإثبات ينفي الإيمان، ودون إيمان أنا لست بشيء».

يقول الإنسان: «لكن، سمكة بابل هبة ميتة، أليس كذلك؟ لا يمكن أن تتطور بالصدفة. إنها تثبت أنك موجود، وهكذا بالتالي، بحججك الخاصّة، أنت لست موجودًا. وهو المطلوب إثباته».

«أوه، لم أفكر في ذلك»، ويتلاشى على الفور في نفخة المنطق.

«أوه، كان ذلك سهلًا»، ولمرّة أخرى حبًّا في الظهور يستمر في إثبات أن الأسود أبيض ويقتل عند معبر المشاة التالي المخطط بالأبيض.

يدعي أكثر علماء اللاهوت الرائدين أنّ هذا الجدال ليس سوى هراء، لكن ذلك لم يمنع **أولون كولوفيد** من تكوين ثروة صغيرة عندما استعمله كتيمة رئيسة لكتابه الأكثر مبيعًا «حسنًا ذلك على وشك أن الأمر بالنسبة إلى الإله».

في غضون ذلك، تسببت سمكة بابل المسكينة بالمزيد من حروب أكثر دموية من أي شيء آخر في تاريخ الخليقة، عندما أزالت بفعالية جميع العوائق التي تحول دون الاتصال بين الأعراق المختلفة والثقافات».

أطلق آرثر أنة خفيضة. كان مذعورًا لاكتشافه أن الدفعة عبر الفضاء الفائق لم تقتله. كانت تفصله الآن مسافة ست سنوات ضوئية عن المكان الذي كانت الأرض ستكون فيه لو أنها لا تزال موجودة.

الأرض.

سبحت رؤي سقيمة للأرض في عقله المتقزز. لم يكن هناك سبيل كي يشعر خياله بأثر رحيل الأرض برمتها، كان أمرًا كبيرًا جدًّا. حث مشاعره على التفكير في رحيل والديه وأخته. ما من رد فعل. فكر في جميع الناس الذين كان قريبًا منهم. لا رد فعل. ثم فكر بشخص غريب تمامًا كان يقف خلفه الطابور في السوبر ماركت قبل يومين في وشعر بطعنة مفاجئة؛ انتهى السوبرماركت، انتهى جميع من فيه. عمود نلسون انتهى! عمود نلسون انتهى ولن يكون هناك اعتراض، لأن أحدًا لم يبق ليعترض. منذ الآن فصاعدًا وجد عمود نلسون فقط في عقله. إنكلترا موجودة فقط في عقله، عقله عالق هنا في سفينة الفضاء الرطبة الفولاذية النتنة هذه. أطبقت موجة من رهاب الاحتجاز عليه.

لم تعد إنكلترا موجودة. لقد فهم ذلك، بطريقة ما فهم الأمر. حاول ثانية. أمريكا، فكر، انتهت. لم يستطع استيعاب الأمر. قرر أن يبدأ مع شيء أصغر مرّة أخرى. نيويورك انتهت. ما من استجابة. لم يصدّق بجديّة قط أنها وجدت بأي حال. الدولار، فكر، انتهى إلى الأبد. رجفة خفيفة هناك. كل فيلم **للممثل**

بوجارت قد انتهى، قال لنفسه، وذلك كان له أثر خبطة قوية. ماكدونالدز، فكر. لم يعد هناك شيء يدعي هامبرغر ماكدونالدز.

فقد وعيه. وعندما عاد بعد ثانية وجد أنه كان يبكي طالبًا أمّه. هزّ نفسه بعنف ونهض على قدميه.

«فورد!»

نظر فورد إلى الأعلى حيث كان جالسًا في زاوية يهمهم بينه وبين نفسه. لقد وجد دومًا السفر الفعلي عبر الفضاء، كجزء من السفر في الكون، مزعج إلى حدٍ ما.

قال: «نعم؟»

«إذا كنت قد درست هذا الكتاب عندما كنت على الأرض، فلا بد أنك قد جمعت معلومات لتضاف إليه».

«حسنًا، تمكنت من توسيع المدخل الأصلي قليلًا، نعم».

«دعني أرى ماذا يقول في هذا الإصدار إذن. يجب عليَّ أن أراه».

«نعم، حسنًا. أعطني إياه».

تلقفه آرثر بقوّة وحاول أن يمنع يديه من الاهتزاز. ضغط المدخل الخاص بالصفحة وثيقة الصلة. ومضت الشاشة ودومت وتحولت إلى صفحة جاهزة للطباعة. حدق آرثر إليها.

انفجر: «ليس لها مدخل مدون».

نظر فورد من فوق كتفه.

قال: «نعم، لها مدخل، هناك في الأسفل، انظر إلى أسفل الشاشة، تمامًا تحت إكسنتريكا غالومبيتس غريبة الأطوار، المومس ثلاثية الأثداء من كوكب إيروتيكُن ستة».

تبع آرثر إصبع فورد، ورأى أين كان يشير. مرّت لحظة دون أن يشتكي، ثم كاد عقله ينفجر.

«ماذا؟ غير مؤذٍ! هل ذلك كل ما لديه لقوله؟ غير مؤذٍ؟ كلمة واحدة!»؛

هزَّ فورد كتفيه.

قال: «حسنًا، هناك مئة مليار نجم في المجرة، وقدر محدود من المساحة فقط في معالجات الكتاب الدقيقة، ولم يعرف أحد الكثير عن الأرض، بالطبع».

«حسنًا، حبًّا بالله آمل أنك تمكنت من تعديل ذلك قليلًا».

«أوه… نعم، حسنًا تمكنت من إرسال مدخل جديد إلى المحرر. كان عليه أن يشذبه قليلًا، لكنه يظل تقدمًا».

سأل آرثر: «وماذا يقول الآن؟»

اعترف فورد بسعلة محرجة قليلًا: «غالبًا غير مؤذٍ».

صرخ آرثر: «غالبًا غير مؤذٍ».

همس فورد: «ما هذه الضوضاء؟»

صرخ آرثر: «أنا كنت أصرخ».

قال فورد: «لا! اسكت! أظن أننا في ورطة».

«تظن أننا في ورطة!»

خارج الباب سمعت أصوات واضحة لخطوات.

همس آرثر: «الدنتراسيون؟»

قال فورد: «لا، تلك أحذية ذات رؤوس فولاذية».

سُمع قرع رنَّان حاد على الباب.

قال آرثر: «من هذا؟»

قال فورد: «حسنًا، لو كنا محظوظين سيأتي الفوغون فقط لقذفنا في الفضاء».

«وإذا كنا قليلي الحظ؟»

قال فورد متجهمًا: «إن لم نكن محظوظين، قد يكون القبطان جادًا في تهديده بأنه سوف يقرأ علينا بعضًا من شعره أولًا…»

7

يأتي شعر الفوغون بالطبع في المرتبة الثالثة كأسوأ شعر في الكون. ثاني أسوأ شعر هو شعر ازغوس كيرا. لقي أربعة من الجمهور حتفهم في أثناء تلاوة لشاعرهم السيد غرونتوس المبدع من قصيدته «نشيد لكتلة صغيرة من المعجون الأخضر وجدتها تحت إبطي ذات صباح في منتصف الصيف» جراء نزيف داخلي، ونجا رئيس مجلس منتصف المجرة لفنون الغش بقضم إحدى ساقيه. أبلغ أن غرونتوس أصيب بخيبة أمل من تلقي القصيدة، وكان على وشك الشروع بقراءة ملحمته المؤلفة من اثني عشر كتابًا، التي تحمل اسم **غرغراتي المفضلة عند الاستحمام** عندما قفزت أمعاؤه الغليظة مباشرة من خلال عنقه، في محاولة يائسة لإنقاذ الحياة والحضارة، وخنقت دماغه.

فنيَ أسوأ شعر من بينها جميعًا، مع مؤلفته باولا نانسي مايلستون جينينغز من غرينبريدج الواقعة في إسيكس بإنكلترا، مع دمار كوكب الأرض.

ابتسم بروستيتنيك فوغون جلتز ببطء شديد. هذا لم يكن بداعي الانبهار بما صنع لأنّه كان يحاول تذكر تسلسل حركات العضلات. كان قد صاح صيحة علاجية على نحو رهيب في وجه سجينيه، وكان يشعر الآن باسترخاء تام ومستعد من أجل بعض القسوة.

جلس السجينان على كراسي تذوق الشعر، مقيدين بها. لم يكن لدى الفوغون أي أوهام فيما يتعلق بأعمالهم عمومًا. كانت محاولاتهم المبكرة للنظم جزء من إصرار قوي على قبولهم بصفتهم جنسًا متطورًا ومثقفًا كما يجب، لكن الآن الأمر الوحيد الذي جعلهم مستمرين في نظم الشعر كان مجرد نزعة دموية.

نضح العرق من جبهة فورد برفكت، وانزلق حول الأقطاب الكهربائية المثبتة إلى صدغيه. تلك كانت مرفقة ببطارية معدات إلكترونية؛ مكثفات الصور، معدلات إيقاعية، بقايا متجانسة، ونواقل التشبيه، مصممة جميعها لتعزيز تجربة القصيدة وضمان عدم فقدان ولو جزء صغير من فكرة الشاعر.

جلس آرثر دنت وارتجف. لم يملك حتى فكرة واحدة عن سبب وجوده، لكنه عرف أنه لم يعجب بأي شيء مما حدث حتى الآن، ولم يفكر أن الأشياء

كان يحتمل أن تتغير.

بدأ الفوغون يقرأ فقرة صغيرة كريهة من تأليفه.

بدأ: «أوه، يا له من أمر غريب...» عذَّبت التشنجات جسد فورد، هذا كان أسوأ حتى مما كان مستعدًا له. «....تبولاتك بالنسبة إليَّ/ كثرثرات، بقع على نحلة جافة».

«آه!» صرخ فورد برفكت وهو يدفع رأسه إلى الوراء عندما ضربته كتل الألم. استطاع أن يرى آرثر على نحو باهت يهبط ويتقلب في مقعده إلى جانبه. صر على أسنانه.

واصل فوغون عديم الرحمة: «جرووب، أتضرع إليك أيها الغبي».

كان صوته يرتفع إلى درجة رهيبة من الحدة المشوبة بالعاطفة. «وابتعد عني عن طيب خاطر بعقبات مجعدة، وإلا سوف أمزقك، وأتحداك إني سأفعل!»

صرخ فورد برفكت وتشنج مرة أخيرة عندما جعله التعزيز الإلكتروني للسطر الأخير ينفجر بالكامل عبر الصدغين. تراخي.

تدلى آرثر.

«الآن يا أبناء الأرض...» أزَّ الفوغون (هو لم يعرف أن فورد برفكت في الحقيقة من كوكب صغير في مكان ما بجوار منكب الجوزاء، وحتّى لو عرف ما كان ليهتم)، «أقدم لكما خيارًا بسيطًا؛ إما أن تموتا في الفضاء الخالي، أو...» توقف من أجل إحداث الأثر الميلودرامي، «أخبراني إلى أي درجة اعتقدتما أن قصيدتي جيدة!».

رمى نفسه إلى الوراء في مقعد جلدي ضخم يشبه الخفاش وراقبهما. ابتسم ثانية.

كان فورد مقطوع الأنفاس. أدار لسانه المغبر حول فمه الجاف وتأوه.

قال آرثر بابتهاج: «في الحقيقة لقد أعجبتني جدًّا».

التفت فورد وفغر فاه. هنا كانت مقاربة ببساطة شديدة لم تخطر له.

رفع الفوغون حاجبًا متفاجئًا، ضبب أنفه تمامًا، وبالتالي لم يكن يرى أن الأمر سيئ.

أزَّ مدهوشًا: «أوه جيد...»

قال آرثر: «أوه نعم، فكرت أن شيئًا من التصوير الماورائي خصوصًا كان موفَّقًا جدًّا».

واصل فورد التحديق إليه ببطء، ينظم أفكاره حول هذا المفهوم الجديد كليًا. هل سيتمكنان حقًّا من اكتشاف مخرج من هذا؟

دعاه فوغون: «نعم، استمر...»

واصل آرثر: «أوه.... و... أدوات إيقاعية مثيرة للاهتمام أيضًا، ما بدا لي أنه طباق الـ...» تخبَّط.

هب فورد لإنقاذه مجازقًا: «طباق سريالية المجاز الضمني للـ...» تخبَّط أيضًا لكن آرثر كان مستعدًا ثانية.. «إنسانية الـ...»

هسهس له فورد: «فوغونية».

«آه نعم، فوغونية (آسف) روح الشاعر الشفوقة»، شعر آرثر أنه على مقربة من البيت الآن، «ما يستنبط عبر وسيط النظم بنية ليتسامي عن هذا، ويتجاوز ذاك، ويتعامل مع انقسامات الآخر الأساسية»، (كان يقترب من كريشندو موسيقي منتصرًا...) «وواحد بقي مع رؤية عميقة وحية في... في...» (... لم يعد قادرًا على المتابعة). قفز فورد في ضربة قاضية وصاح: «في كائن ما، كانت القصيدة تدور حوله!». وقال، بطرف فمه: «أحسنت آرثر، ذلك كان جيدًا جدًّا».

حدَّق الفوغون إليهما. للحظة تأثرت روحه العنصرية المكدرة، لكنه فكر: لا، قليل جدًّا، متأخر جدًّا. وتحول صوته إلى ما يشبه صوتًا تصدره قطة تمزق النايلون المصقول.

قال: «إذن ما تقوله هو أني أكتب الشعر لأن تحت ظاهري القاسي الوضيع أنا حقًّا أريد أن أكون محبوبًا» توقف. «هل هذا صحيح؟»

ضحك فورد بعصبية وقال: «حسنًا، أعني نعم، ألسنا جميعًا في أعماقنا، تعرف...»

وقف الفوغون.

قال: «لا، حسنًا، أنت مخطئ تمامًا، أنا فقط أكتب الشعر لأعلن عن ظاهري القاسي الوضيع بارتياح تام. سوف أرميكما خارج السفينة بأي حال. أيها الحارس! خذ السجينين إلى حجرة الضغط رقم ثلاثة وارمهما خارجًا!»

صاح فورد: «ماذا؟»

تقدم حارس فوغوني شاب ضخم وجذبهما من حزاميهما بذراعيه الضخمتين المترهلتين.

صاح فورد: «لا يُمكنك رمينا في الفضاء، نحن نحاول تأليف كتاب».

«المقاومة عديمة النفع» صرخ حارس الفوغون في وجهه. كانت أول عبارة تعلمها عندما انضم إلى فصائل حراسة الفوغون.

راقب القبطان باستمتاع غير منحاز، ثم استدار ومضى بعيدًا.

حدَّق آرثر حوله بوحشية.

صاح: «لا أريد أن أموت الآن لا يزال رأسي يؤلمني! لا أريد الذهاب إلى السماء برأس مصدوع، سأكون غاضبًا تمامًا ولن أستمتع!»

أمسك الحارس رقبة كل منهما بحزم، وانحنى مبجلًا لظهر قبطانه، خرج بهما من مقصورة القيادة بينما كانا يحتجان. أغلق بابًا فولاذيًا وصار القبطان بمفرده ثانية. دمدم بهدوء وتفكر مع نفسه، يقلب مفكرته الشعرية قليلًا.

قال: «هممم، طباق سريالية المجاز الضمني...» فكر في هذا للحظة ثم أغلق الكتاب وعلى وجهه ابتسامة كالحة.

قال: «الموت جيد أكثر من اللازم من أجلهما».

أرجع الممر الطويل المبطن بالفولاذ صدى النضالات الواهنة للبشريين الاثنين المثبتين بحزم تحت إبطي الفوغون المطاطيين.

دمدم آرثر: «هذا عظيم، هذا رائع حقًّا. دعني أيها الحيوان!»

جرهما حارس الفوغون قدمًا.

قال فورد: «لا تقلق، سوف أفكر في شيء ما». لكنه لم يبد آملًا.

جأر الحارس: «المقاومة عديمة النفع!»

تلعثم فورد: «فقط لا تقل أشياء مثل ذلك، كيف، يمكن لأي شخص أن يحافظ على حالة عقليّة إيجابية إذا كنت تقول أشياء مثل ذلك؟»

اشتكى آرثر: «يا إلهي، أنت تتحدّث عن حالة عقليّة إيجابية، وكوكبك لم يدمّر اليوم.. استيقظت هذا الصباح وفكرت في أني سوف أحظى بيوم لطيف مريح، أقرأ قليلًا، أحمم الكلب... إنها الآن فقط بعد الرابعة في الأصيل وأنا

مستعد أن أرمى من سفينة فضائيّة على مسافة ست سنوات ضوئية من البقايا المدخنة للأرض!» دمدم وغرغر عندما شد الفوغون قبضته.

قال فورد: «لا بأس، فقط توقف عن الذعر!»

قال آرثر فجأة: «من قال أي شيء عن الذعر؟ هذه لا تزال صدمة حضارية فحسب، انتظر حتى أستقر وأحدد اتجاهاتي، حينها سوف أبدأ بالذعر!»

«آرثر، أنت أصبحت هستيريًا. اخرس!» حاول فورد بيأس أن يفكر، لكن قاطعه صراخ الحارس ثانية.

«المقاومة عديمة الفع!»

قال فورد فجأة: «ويمكنك أن تخرس أيضًا!».

«المقاومة عديمة النفع!»

قال فورد: «اوه، اهدأ»، لوى رأسه حتى صار ينظر مباشرة إلى وجه معتقله. خطرت له فكرة.

سأل فجأة: «هل تستمتع حقًّا بهذا النوع من الأمور؟»

توقف الفوغون تمامًا ورشحت نظرة حمقاء هائلة ببطء على وجهه.

أزَّ: «استمتع؟ ماذا تعني؟»

قال فورد: «ماذا أعني، هل تعيش حياة كاملة مرضية؟ وأنت تدبدب في أرجاء المكان، تصرخ، تدفع الناس خارج السفن الفضائية...»

حدَّق الفوغون إلى السقف الفولاذي المنخفض وانعقد حاجباه تقريبًا. تراخى فمه. قال أخيرًا: «حسنًا الساعات جيدة...»

وافق فورد: «لا بد أن تكون كذلك».

فتل آرثر رأسه لينظر نحو فورد.

بهمس مدهوشًا: «فورد، ماذا تفعل؟»

قال: «أوه، فقط أحاول أن أهتم بالعالم من حولي، حسنًا؟». استأنف: «الساعات جيدة بالفعل، إذن؟»

حدق الفوغون إليه بينما نشطت أفكار خاملة في الأعماق المظلمة.

قال: «نعم، لكن بما أنك ذكرت ذلك، معظم الدقائق سيىء كثيرًا. فيما عدا...» فكر ثانية، ما تطلب النظر إلى السقف، «ما عدا القليل من الصراخ أحبه حقًّا». ملأ رئتيه وجأر: «المقاومة...»

قاطعه فورد بسرعة: «بالتأكيد، نعم، أنت تجيد ذلك، أستطيع القول. لكن إذا كان معظم الدقائق سيء كثيرًا»، قال ببطء مانحًا الكلمات وقتًا لتبلغ مداها، «إذن لماذا تفعل ذلك؟ ما السبب؟ الفتيات؟ الجلد؟ الرجولة؟ أم أنك فقط تجد أن التعامل مع الملل الطائش يمثل تحديًا مثيرًا للاهتمام؟»

نظر آرثر إلى الأمام والخلف بينهما في حيرة.

قال الحارس: «لا أعرف. أظن أني فقط نوع من.. أفعل شيئًا ما حقًّا. قالت عمتي إن حراسة السفينة الفضائية مهنة جيدة لفوغون شاب، كما تعلم، اللباس الرسمي، غمد مسدس الأشعة الصاعقة، الملل الطائش...»

قال فورد بروح شخص يصل إلى خلاصة نقاشه: «ها أنت ذا يا آرثر، أنت تظن أن لديك مشكلات».

فكر آرثر أن لديه مشكلات. بمعزل عن الشأن غير الممتع بخصوص كوكبه، كاد حارس الفوغون أن يخنقه بالفعل، وهو لم يحبّ كثيرًا فكرة كونه مرميًا في الفضاء.

أصر فورد: «حاول أن تفهم مشكلته، ها هو هنا، شاب مسكين، كل عمل حياته هو ضرب الأرض برجليه، ورمي الناس من السفن الفضائية...»

أضاف الحارس: «والصُّراخ».

«والصراخ بالتأكيد»، قال فورد وهو يربّت على الذراع السمينة المثبتة حول عنقه وهو لا يعرف حتى لماذا يفعل ذلك!»

وافق آرثر أنّ هذا كان حزينًا جدًّا. فعل هذا بايماءة صغيرة واهنة لأنّه كان مختنقًا ولم يستطع التحدّث.

صدرت عن الحارس قرقرات عميقة من الارتباك.

«حسنًا. الآن، الأمر كالتالي، أفترض...».

شجعه فورد: «شاب صالح».

واصل الهدير: «لكن لا بأس، إذن ما البديل؟»

قال فورد بابتهاج لكن ببطء: «حسنًا، توقف عن فعل ذلك بالطبع! أخبرهم»، وواصل: «أنت لن تفعل ذلك الآن». شعر بأنه يجب عليه أن يضيف شيئًا إلى ما قال، لكن للحظة بدا أن عقل الحارس مشغول بالتأمل.

قال الحارس: «حسنًا، لا يبدو ذلك عظيمًا إلى تلك الدرجة بالنسبة إليَّ».

شعر فورد فجأة بأن اللحظة تنفلت مبتعدة.

قال: «الآن انتظر دقيقة، تلك فقط البداية، كما ترى، هناك أكثر من ذلك كما ترى...»

لكن في تلك اللحظة شدد الحارس قبضته وواصل هدفه الأصلي المتمثّل في سحب سجينيه إلى غرفة الضغط. كان من الواضح أنه متأثر تمامًا.

قال: «لا، أظن إن كان كل شيء سيانًا عندك، من الأفضل أن أقحمكما أنتما الاثنان في هذه الحجرة أذهب وأواصل المزيد من الصراخ الذي علي ثم فعله».

لم يكن كل شيء سيانًا بالنسبة إلى فورد برفكت على الإطلاق.

«هيا الآن... لكن انظر!» قال ببطء وابتهاج أقل.

صرخ آرثر دون أي تغير واضح في نبرة الصوت.

واصل فورد: «لكن توقف، هناك موسيقى وفن وأشياء أخبرك بها أيضًا!»

جأر الحارس: «المقاومة عديمة النفع»، ثم أضاف: «أنت تعرف لو تابعت ما أفعله لأمكنني أخيرًا أن أترقى إلى رتبة ضابط صراخ أعلى مقامًا، ولا يوجد هناك عادة الكثير من الأماكن الشاغرة لضباط لا يصرخون ولا يدفعون الناس، لذا أظن أنه من الأفضل أن أتشبث بما أعرفه».

كانوا قد وصلوا الآن إلى حجرة الضغط؛ فتحة كبيرة، دائرية، فولاذية، ذات قوة ووزن هائلين في القشرة الداخلية للمركبة. أدار الحارس زر تحكم وانفتح الباب الأرضي بسلاسة.

قال حارس الفوغون: «لكن شكرًا للاهتمام. وداعًا الآن». دفع فورد وآرثر عبر الباب الأرضي إلى الحجرة الصغيرة. تمدد آرثر مقطوع الأنفاس. زحف فورد وعبثًا دفع بكتفه الباب الأرضي الذي أغلقه الحارس.

صرخ للحارس: «لكن اسمع، هناك عالم كامل لا تعرف عنه شيئًا هنا، ما رأيك بهذا؟» تمسك بيأس بالقليل من الثقافة التي عرفها ارتجالًا، ودندن

المقطع الأول من سيمفونية بيتهوفن الخامسة.

«دا دا دا دوم؟ ألا يثير ذلك فيك أي شيء؟»

قال الحارس: «لا، ليس حقًّا. لكن سوف أذكرها لعمتي».

إذا ما قال أي شيء إضافي بعد ذلك فقد فُقد. انغلق الباب الأرضي بإحكام وفقد كل صوت ما عدا صوت الطنين البعيد الخافت لمحركات السفينة.

كانا في حجرة أسطوانية مصقولة على نحو لامع، يبلغ قطرها قرابة ستة أقدام وطولها عشرة أقدام.

نظر فورد في أرجائها لاهثًا.

قال: «ظننت أنه من المحتمل أن يكون شابًا ذكيًا»، وهبط تجاه الجدار المقوس.

كان آرثر لا يزال مستلقيًا في انحناءة الأرض حيث سقط. لم يرفع بصره. فقط استلقى لاهثًا.

«نحن الآن محاصران، ألسنا كذلك؟»

قال فورد: «بلي، نحن محاصران».

«حسنًا، أما فكرت في أي شيء؟ اعتقدت أنك قلت إنك كنت ستفكر في شيء ما. ربما فكرت في شيء ما ولم تلاحظ».

لهث فورد: «أوه نعم، فكرت في شيء ما»، رفع آرثر بصره مترقبا.

واصل فورد: «لكن للأسف الأمر معقد أننا على الجانب الآخر من هذا الباب الأرضي المحكم الإغلاق». ركل الباب الذي رُميا للتو من خلاله.

«لكن كانت فكرة جيدة، ألم تكن كذلك؟»

«أوه بلى، متقنة جدًّا».

«ماذا كانت؟»

«حسنًا لم أعمل على التفاصيل بعد. لا يوجد الكثير من المعنى الآن، صحيح؟»

سأل آرثر: «إذن... ما الذي سيحدث لاحقًا؟»

«أوه، حسنًا سوف ينفتح الباب الأرضي أمامنا تلقائيًا خلال بضع لحظات وأتوقع أننا سوف نندفع الفضاء العميق ونختنق. لو ملأت رئتيك بالهواء يُمكنك أن تبقى لما يصل إلى ثلاثين ثانية...» قال فورد. ألصق يديه خلف ظهره، رفع حاجبيه، وراح يدندن أنشودة معركة قديمة من منكب الجوزاء. بدا لعيني آرثر فجأة مخلوقًا فضائيًا جدًّا.

قال آرثر: «إذن هذا هو ما سيحدث، سوف في نموت».

قال فورد: «نعم، فيما عدا... لا! انتظر دقيقة!» اندفع فجأة عبر الحجرة نحو شيء ما خلف خط نظر آرثر. صرخ: «ما هذا المفتاح؟»

صرخ آرثر وهو يلتفت: «ماذا؟ أين؟»

قال فورد: «لا، كنت فقط أتحامق، نحن سوف نموت في النهاية».

هبط تجاه الجدار ثانية وواصل اللحن من حيث توقف.

قال آرثر: «كما تعلم، أحيانًا أفعل ذلك، عندما أكون عالقًا في غرفة ضغط فوغونية مع رجل من منكب الجوزاء وعلى وشك أن أموت اختناقًا في الفضاء العميق، لدرجة أني أتمنى حقًّا لو أني أصغيت إلى ما قالته لي أمي عندما كنت صغيرًا».

«ما الذي قالته لك؟»

«لا أعرف، لم أصغ».

«أوه»، واصل فورد الدندنة.

فكر آرثر بينه وبين نفسه: «هذا مريع، عمود نلسن انتهى، ماكدونالدز انتهى، كل ما بقي هو أنا والكلمات: **غالبًا غير مؤذٍ**. في أي لحظة الآن كل ما سوف يبقى **غالبًا غير مؤذٍ**. والبارحة بدا الكوكب يبلي بلاءً حسنًا».

طن محرك.

اندمجت هسهسة خفيفة في هدير هواء مندفع يصم الآذان عندما انفتح الباب الأرضي الخارجي على سواد خاوٍ مرصَّع بنقاط صغيرة من الضوء ساطعة، على نحو مستحيل. غادر فورد وآرثر نحو الفضاء فجأة مثل فلينتي مسدس مزيف.

8

دليل المسافر إلى المجرة كتاب جديرٌ بالملاحظة قلبًا وقالبًا. لقد أُلِّف وأعيد تأليفه مرات عدة على مدى سنوات عديدة وتحت إشراف عدد كبير من رؤساء التحرير المختلفين. إنَّه يحتوي على مساهمات عدد لا يحصى من المسافرين والباحثين.

تبدأ المقدمة بالشكل الآتي:

«الفضاء كبير. كبير حقًّا. حسبك أنك لن تصدق كم هو كبير وهائل ومدهش. أقصد أنك ربما تظن أن الطريق إلى الصيدلي طويل، لكن ذلك مجرد مقدار تافه بالنسبة إلى الفضاء. اسمع....» وهلمَّ جرا.

(بعد حين يستقر الأسلوب قليلًا وتبدأ بإخبارك بأشياء تحتاج إلى معرفتها حقًّا، مثل ما حدث للكوكب الرائع الجمال بيتسيلامن الآن، هناك قلق بالغ بشأن التآكل التراكمي لعشرة مليارات سائح يزورون الكوكب كل السنة؛ إذ تتم إزالة أي فرق بين كمية ما تأكل وكمية ما تخرج في أثناء وجودك على سطح الكوكب، تزال الفرق جراحيًا من جسدك قبل مغادرتك، لذا في كلّ مرّة تذهب فيها إلى المرحاض يجب عليك أن تحصل على إيصال).

مع ذلك، كي أكون منصفًا، تعثرت عقول أفضل من تلك المسؤولة عن مقدمة الدليل عند مواجهة المقادير الهائلة للمسافات بين النجوم. يدعوك البعض للتفكير في حبة فول سوداني في ريدينغ، وجوزة صغيرة في جوهانسبرغ، ومفاهيم مدوخة أخرى من هذا القبيل.

الحقيقة البسيطة هي أن المسافات بين الأفلاك لن يستوعبها الخيال البشري.

حتى الضوء الذي ينتقل سريعًا جدًّا بحيث يستغرق معظم الأجناس آلاف السنوات كي تدرك أنه ينتقل على الإطلاق، يستغرق وقتًا في رحلته بين النجوم. تستغرق الرحلة من النجم سول إلى حيث كان يقع كوكب الأرض ثماني دقائق، وأربع سنوات إضافية للوصول إلى أقرب جار نجمي لسول، ألفا بروكسيما.

كي يصل الضوء إلى الجانب الآخر من المجرة، على سبيل المثال، كي يصل إلى كوكب داموغران، يستغرق مدة أطول إلى حدٍ ما: خمسمئة ألف سنة.

الرقم القياسي لقطع هذه المسافة أقل من خمس سنوات تمامًا، لكنك لا تحظى برؤية الكثير على الطريق.

يقول دليل المسافر إلى المجرة إنك لو حبست الهواء في رئتيك فيمكنك البقاء على قيد الحياة في الفراغ الكلي للفضاء مدة تصل إلى ثلاثين ثانية، مع ذلك، يذهب في القول إلى أنه مع ما للفضاء من حجم مدهش فإن احتمالات أن تقلك سفينة أخرى على متنها خلال تلك الثواني الثلاثين يساوي: اثنان مرفوع للقوة مئتين وستة وسبعين ألفًا وسبعمئة وتسعة إلى واحد.

بمصادفة مذهلة تمامًا، هذا أيضًا هو رقم هاتف الشقة في ايسلنغتون حيث حضر آرثر ذات مرة حفلة ممتازة، والتقى فتاة لطيفة جدًّا أخفق كليًا في كسب ودها؛ لقد انسجمت مع متطفل.

على الرغم من أن كوكب الأرض، والشقة في ايسلنغتون، والهاتف دُمروا جميعًا، من المعزي أن تتفكر أن ذكراهم جميعًا مخلدة على نحو طفيف بحقيقة أن فورد وآرثر أُنقذا بعد تسع وعشرين ثانية.

9

ثرثر كمبيوتر مع نفسه مذعورًا عندما لاحظ حجرة ضغط تنفتح وتنغلق دون سبب ظاهر.

كان هذا في الحقيقة لأن السبب كان خارجًا لتناول وجبة الغداء.

ظهر ثقب في المجرة للتو. كان طوله بالثواني يكاد يكون صفرًا، وعرضه بالبوصات يكاد يكون صفرًا، والكثير جدًّا من ملايين السنين الضوئية من أوله إلى آخره.

عندما انغلق سقط منه عدد كبير من القبعات الورقية وبالونات الحفلات واندفعت في الكون.

خرج منها فريق مؤلف من سبعة من محللي السوق بطول ثلاثة أقدام ولقوا حتفهم، إما اختناقًا، أو من هول المفاجأة.

سقطت منه مئتان وتسعة وثلاثون ألف بيضة نصف مقلية أيضًا، متجسدة في كومة مترجرجة كبيرة على أرض كوكب بوغريل الذي ضربته المجاعة في نظام البانسيل.

مات جميع أفراد قبيلة البوغريل جوعًا ما عدا رجلًا واحدًا، مات متسممًا بالكوليسترول بعد عدة أسابيع.

الجزء من الثانية المتناهي في الصغر الذي من أجله وجدت الفجوة تردد إلى الأمام والخلف عبر الزمن بطريقة متوقعة. في مكان ما عميقًا في الماضي البعيد، أصيبت مجموعة صغيرة عشوائية من الذرات بصدمة خطيرة فانجرفت عبر جدب الفضاء الفارغ؛ ما جعلها يتشبث بعضها ببعض بأكثر الأشكال المستبعدة على نحو استثنائي. سرعان ما تعلّمت هذه الأشكال نسخ نفسها (كان هذا جزءًا مما هو استثنائي جدًّا بخصوص الأشكال) وراحت تتسبب بمشكلة ضخمة على كل كوكب انجرفت إليه. وهكذا بدأت الحياة في الكون.

دومت خمس دوامات مهمّة وهائلة في عواصف شرسة غير منطقية وتقيأت رصيفًا.

استلقى فورد برفكت وآرثر دنت على الرصيف مثل سمكة نصف ملتهمة.

«ها أنت ذا»، لهث فورد وهو يحاول التشبث بالرصيف ولو بإصبع واحد، وهو يندفع عبر **الامتداد الثالث للمجهول**، «أخبرتك بأني سأفكر في شيء ما».

قال آرثر: «أوه بالتأكيد، بالتأكيد».

قال فورد: «واحدة من أفكاري الفطنة، أن تجد سفينة فضائيّة عابرة وتنجو عن طريق الصعود على متنها».

تقوس الكون الحقيقي تحتهما تقوسًا مغثيًا. رفرف العديد من المدعين بصمت بالقرب منهما، مثل ماعز الجبل. انفجر ضوء بدائي ناثرًا الزمكان كما لو بكتل من اللبن المختر. ازدهر الزمن، وانكمشت المادة. التأم الرقم الأعلى الأولي بهدوء في زاوية واختفي بعيدًا إلى الأبد.

قال آرثر: «أوه، كفاك، كانت احتمالات الفشل هائلة».

قال فورد: «لا تقلل من شأن ما حدث، لقد نجحت».

في سال آرثر عندما فغرت الحفرة الأبدية فوهتها تحتهما: «في أي نوع من السفن نحن؟»

قال فورد: «لا أعرف، لم أفتح عيني بعد».

قال آرثر: «أنا لم أفعل أيضًا».

قفز الكون، وتجمد، وارتجف، وانبسط في عدة اتجاهات مباغتة.

فتح آرثر وفورد أعينهما ونظرا بدهشة كبيرة.

قال آرثر: «يا إلهي، إنّه يبدو تمامًا شبيهًا بالواجهة البحرية عند منطقة ساوث إند».

قال فورد: «اللعنة، لقد ارتاح بالي لسماعك تقول ذلك».

«لماذا؟»

«لأني ظننت أني لا بد سأجن».

«ربما أنت مجنون. ربما أنت فقط ظننت أني قلت ذلك».

فكر فورد في هذا.

سأل: «حسنًا، هل قلت ذلك أم لم تفعل؟»

قال آرثر: «أظن ذلك».

«حسنًا، ربما كلانا يفقد عقله».

قال آرثر: «نعم، قد نكون مجانين. عمومًا، لأنك فكرت أنّ هذه ساوث إند».

«حسنًا، هل تظن أنّ هذه ساوث إند؟»

«أوه، نعم».

«وأنا أيضًا».

«بناء على ذلك، لا بد أن نكون مجانين».

«يوم جميل لأن تجن فيه».

قال ممسوس عابر: «نعم».

سال آرثر: «من كان ذلك؟»

«من الرجل ذي الرؤوس الخمسة وشجيرة البلسان المملوءة بالسمك المملح؟»

«نعم».

«لا أعرف. مجرد شخص».

«آه».

جلسا على الرصيف وراقبا بانزعاج عندما قفز أطفال ضخام بثقل على الرمل الممتد، وخيول جامحة هدرت عبر السماء وهي تأخذ مؤنًا طازجة من الأسوار المعززة إلى المناطق الملتبسة.

قال آرثر وهو يسعل سعالًا خفيفًا: «كما تعلم، إذا كانت هذه ساوث إند، فإن هناك أمرًا شديد الغرابة حولها...»

قال فورد: «تقصد طريقة البحر في البقاء ثابتًا مثل صخرة، والمباني تواصل الانجراف صعودًا ونزولًا؟ نعم، في الحقيقة ظننت أن ذلك غريب أيضًا»، واصل عندما انقسمت ساوث إند بضربة ضخمة إلى ستة أجزاء متساوية، رقصت ودومت حول بعضها بعيدًا في تشكيلات فاسقة وبذيئة، «يجري شيء، غريب جدًّا».

جعجعة مواء جامحة من الأنابيب وأسلاك تحترق في الريح، برزت كعكات دونت ساخنة من الطريق، ثمن الواحدة منها عشرة بنسات، عصفت سمكة مروعة من الماء وقرر آرثر وفورد التوجه نحوها.

انغمسا عبر جدران جسيمة من الصوت، جبال من فكر مهجور، وديان من الموسيقى المزاجية، جلسات أحذية سيئة، وخفافيش بالغة الصغر. وفجأة، سُمع صوت فتاة.

لقد بدا صوتًا متعقلًا تمامًا لكن اكتفى بالقول: «اثنان مرفوع للأس مئة ألف إلى واحد، وأقل»، وكان ذلك كل شيء.

تزحلق فورد على شعاع ضوء ودوم محاولًا العثور على مصدر الصوت، لكن لم يستطع أن يرى شيئًا يستطيع الإيمان به بجديّة.

صرخ آرثر: «ما كان ذلك الصوت؟»

صاح فورد: «لا أعرف، لا أعرف. بدا مثل مقياس للأرجحية».

«الأرجحية؟ ماذا تعني؟»

«الاحتمال. كما تعلم، مثل: اثنان إلى واحد، ثلاثة إلى واحد، خمسة إلى أربعة. قال اثنان مرفوع للقوة مئة ألف إلى واحد. ذلك احتمال صغير جدًّا، كما تعلم».

انقلب وعاء كاسترد يتسع لمليون غالون عليهما دون سابق إنذار.

صرخ آرثر: «لكن ماذا يعني؟»

«ماذا، الكاسترد؟»

«لا، مقياس اللا احتمالية!»

«لا أعرف. لا أعرف على الإطلاق. أظن أننا على سفينة فضائيّة من نوع ما».

قال آرثر: «يمكنني فقط أن أقدر أنّ هذه المقصورة ليست في الدرجة الأولى».

ظهرت انتفاخات في نسيج الزمكان. انتفاخات عظيمة وقبيحة.

«هووووووورغ...» قال آرثر عندما شعر بجسده يلين وينحني في اتجاهات عجيبة. «يبدو أن ساوث إند تذوب... النجوم تدوِّم... طبق غبار... ساقاي

تنجرفان في غروب الشمس... ذراعي اليسرى تخرج أيضًا». داهمته فكرة مخيفة قال: «اللعنة، كيف سأشغل ساعتي الرقمية الآن؟» نقل بصره بيأس نحو فورد.

قال: «فورد، أنت تتحول إلى بطريق. توقف».

جاء الصوت ثانية.

«اثنان مرفوع للقوة خمسة وسبعين ألفًا إلى واحد، وأقل».

تهادى فورد حول بركته في حلقة غاضبة.

قرقر قائلًا: «هيه، كيف حالك؟ أين أنت؟ ماذا يجري؟ وهل هناك أي طريقة لإيقافه؟»

«استرخ من فضلك»، قال الصوت بلطف مثل مضيفة في طائرة بجناح واحد فقط ومحركين أحدهما يحترق، «أنت في أمان تام».

ثار فورد: «لكن ليس ذلك هو القصد! القصد هو الآن بطريق آمن تمامًا، وزميلي هنا يفقد أطرافه بسرعة!»

قال آرثر: «لا بأس، لقد استرجعتها الآن».

قال الصوت: «اثنان مرفوع للقوة خمسين ألفًا إلى واحد، وأقل».

قال آرثر: «على نحو لا يمكن إنكاره، إنها أطول مما اعتدت الإعجاب بها لكن...»

زعق فورد في غيظ طيري: «هل لديك شيء تشعر بأن عليك أن تخبرنا به؟»

نظف الصوت حنجرته. وثبت قطعة بسكويت عملاقة بعيدًا.

قال الصوت: «مرحبًا بكما في سفينة **قلب الذهب** الفضائية».

واصل الصوت: «من فضلكما، لا تقلقا من أي شيء تريانه أو تسمعانه. أنتما مرغمان على الشعور ببعض الآثار السيئة الأولية بما أنكما قد أنقذتما من موت مؤكد على مستوى لا احتمالية اثنين مرفوع للقوة مئتين وستة وسبعين ألفًا إلى واحد، وربما أكثر ارتفاعًا. نحن الآن نطوف على مستوى اثنين مرفوع للقوة خمسة وعشرين ألفًا إلى واحد، وأقل، وسوف نستعيد حالة الاستواء تمامًا حالما نستطيع التأكد من حالة الاستواء شكرًا لكما. اثنان مرفوع للقوة عشرين ألفًا إلى واحد، وأقل».

انقطع الصوت.

كان كل من فورد وآرثر في حجرة صغيرة وردية مضيئة.

كان فورد مستثارًا تمامًا.

قال: «آرثر! هذا عجيب! لقد حملتنا سفينة مدارة بمحرك اللا احتمالية المطلَق! هذا لا يصدّق! سمعت عنه شائعات من قبل! كانت كلها منفية رسميًا، لكن لا بد أنهم فعلوها! لقد بنوا محرك اللا احتمالية؛ آرثر، إن هذا... آرثر؟ ماذا يحدث؟»

كان آرثر قد حشر نفسه إزاء باب المقصورة، محاولًا إبقاءه مغلقًا، لكن الباب لم ينغلق. فقد برزت أيد صغيرة مكسوة بالفراء تنعصر عبر فتحة الباب، أصابعها ملطخة بالحبر، ثرثرت بجنون أصوات خفيضة.

رفع آرثر بصره.

قال: «فورد، هناك عدد لا نهائي من القردة في الخارج يريدون التحدّث معنا عن مخطوط مسرحيّة هاملت الذي ألفوه».

10

يعد محرك اللا احتمالية المطلَق طريقة جديدة رائعة لقطع مسافات شاسعة بين الجوم في ثوان معدودة، دون كل ذلك التسكع الممل في الفضاء الفائق.

كان قد أُكتشف بمصادفة سعيدة، ثم طوره فريق بحثي تابع لحكومة المجرة الموجودة على كوكب داموغران إلى هيئة محرك يمكن التحكم فيه.

هذه قصة اكتشافه باختصار.

كان مبدأ توليد كميات صغيرة من اللا احتمالية المحدودة عن طريق ربط الدوائر المنطقية لدماغ بامبلويني 57 سيميزون إلى ناقل ذري متجهي معلق في منتج حركة براونية قوي (لنقل فنجان لطيف من الشاي) بالطبع أمرًا مفهومًا، واستعملت مثل هذه المولدات غالبًا لكسر الثلج في الحفلات، بجعل جميع الجزيئات في الملابس الداخلية للمضيفة تقفز في الوقت نفسه مسافة قدم واحد إلى اليسار وفقًا لنظرية اللا حتمية.

قال العديد من علماء الفيزياء المحترمين أنهم لن يؤيدوا هذا، من ناحية لأنّه كان بمثابة حطٍّ من قدر العلم، لكن غالبًا لأنّهم لم يُدعوا إلى مثل هذا النوع من من الحفلات.

كان الأمر الآخر الذي لم يتمكنوا من تحمله هو الفشل الدائم الذي واجهوه بعد محاولة إنشاء آلة تستطيع توليد مجال اللا احتمالية المطلَق اللازم لقذف سفينة فضائيّة عبر المسافات الصاعقة للعقل بين أبعد النجوم، وفي النهاية أعلنوا بتذمر شديد أن صنع مثل هذه الآلة مستحيل عمليًا.

في يوم من الأيام، وجد طالب كان قد تُرك لتنظيف المختبر بعد حفلة فاشلة نفسه يفكر بهذا الشكل: فكر بينه وبين نفسه، إذا كانت مثل هذه الآلة استحالة افتراضية، إذن فمن المنطقي أن تكون لا احتمالية محدودة. لذا كل ما عليَّ فعله لكي أصنع واحدة هو معرفة مقدار عدم احتماليتها بالضبط، وإدخال ذلك الرقم في مولد اللا احتمالية المحدودة، وأقدم له فنجانًا جديدًا من الشاي الساخن... شُغّل!

فعل هذا وكان مدهوشًا إلى حدٍ ما عندما اكتشف أنه استطاع إنشاء مولد اللا احتمالية المطلَق الذهبي الذي طال انتظاره من لا شيء.

وزادت دهشته أكثر عندما تعرض للهجوم بعد منحه جائزة معهد المجرة للذكاء الحاد من قبل حشد هائج من علماء الفيزياء المحترمين، الذين أدركوا أخيرًا أن الشيء الوحيد الذي لا يمكنهم تحمله حقًا هو شخص متذاكٍ.

11

بدت حجرة الحكم الخاصّة باختبار اللا احتمالية في سفينة قلب الذهب كأنها حجرة تقليدية في سفينة فضاء تقليدية تمامًا، باستثناء أنها كانت نظيفة جدًّا لأنهّا جديدة. بعض مقاعد التحكم لم يكن قد أزيل عنه التغليف البلاستيكي بعد. كانت الحجرة بيضاء، مستطيلة الشكل، ويساوي حجمها تقريبًا حجم مطعم صغير. في الحقيقة لم تكن مستطيلة تمامًا: حُني الجداران الطويلان في منحنى خفيف متواز، وكانت جميع زوايا وأركان الحجرة محددة بأشكال سميكة مثيرة. حقيقة الأمر هي كان ليكون أبسط وعمليًا أكثر بكثير بناء الحجرة مثل غرفة عادية مستطيلة الشكل بثلاثة أبعاد، لكن إن حدث ذلك كان المصممون ليكتئبوا.

بدت الحجرة بشكلها الحالي محددة الغرض على نحو مثير، انبسطت فيها شاشات عريضة فوق لوحات نظام التحكم والقيادة على الجدار المجوف، وقواعد طويلة لأجهزة الكمبيوتر في الجدار المحدَّب. جلس روبوت محدبًا في ركن من الأركان، يتدلى رأسه الفولاذي اللامع بإهمال بين ركبتيه الفولاذيتين اللامعتين. كان جديدًا أيضًا إلى حدٍّ ما، لكن مع أنه كان مصنوعًا ومصقولًا على نحو جميل، إلا أنه بدا بطريقة ما كما لو أن أجزاء عديدة من جسده شبه البشري غير متجانسة بالكامل بعضها مع البعض. في الحقيقة، كانت متجانسة جيدًا، لكن شيئًا ما في مشيته أشار إلى أنها كان يمكن أن تتجانس أفضل من ذلك.

ذرع زيفود بيبلبروكس الحجرة جيئة وذهابًا بعصبية، مارًّا بيديه على قطع من عدة صقيلة، يقهقه بانفعال.

جلست تريليان متحدبة على مجموعة من الآلات تقرأ الأرقام. كان صوتها محمولًا عبر نظام **تانوي** إلى أرجاء السفينة كافة.

قالت: «خمسة إلى واحد، وأقل... أربعة إلى واحد، وأقل... ثلاثة إلى واحد... اثنان... واحد.... عامل الاحتمالية واحد إلى واحد... لدينا حالة استواء، أكرر، لدينا حالة استواء». أطفأت الميكروفون ثم شغلته ثانية بابتسامة خفيفة وواصلت: «أي شيء لا تزال لا تستطيع التغلب عليه هو بالتالي مشكلتك الشخصية. من فضلك استرخ. سوف تُرسل على الفور».

انفجر زيفود بامتعاض: «من هما يا تريليان؟»

أدارت تريليان مقعدها لتواجهه وهزت كتفيها.

قالت: «فقط اثنان من الرجال، يبدو أننا التقطناهما في الفضاء المفتوح القطاع زز9 جمع ز ألفا».

تبرم زيفود: «نعم، حسنًا، تلك فكرة جميلة جدًّا تريليان، لكن هل تظنين حقًّا أنه من الحكمة القيام بذلك في ظل هذه الظروف؟ أعني، ها نحن هنا هاربين، لا بد أن نصف شرطة المجرة تلاحقنا الآن، ذلك نتوقف لحمل المسافرين بالمجان. حسنًا، عشرة من عشرة على الأسلوب، لكن ناقص عدة ملايين على حسن التفكير، أليس كذلك؟»

دق بعصبية على لوحة التحكم. أزاحت تريليان يده بهدوء قبل أن يدق أي شيء مهم. أيًا كان ما تتألّف منه خصائص زيفود العقليّة من تفاخر، وتبجح، وغطرسة، كان أخرق آليّ، ويمكنه بسهولة تفجير السفينة بإيماءة متهورة. توصلت تريليان لتتوقع أن السبب الرئيس الذي دعاه إلى امتلاك مثل هذه الحياة الجامحة والناجحة كان أنه لم يفهم قط أهميّة أي شيء يقدم على فعله.

قالت بصبر: «زيفود، كانا يعومان مكشوفين في الفضاء المفتوح... ما كنت لتتمنى أن يموتا، أليس كذلك؟».

«حسنًا، كما تعلمين... لا. ليس إلى هذه الدرجة، لكن...»

«ليس إلى هذه الدرجة؟ لا يموتان بهذا القدر. لكن؟» أمالت تريليان رأسها إلى أحد الجانبين.

«حسنًا، ربما التقطهما شخص آخر لاحقًا».

«كانا سيموتان بعد ثانية».

«نعم، إذا تكبدت عناء التفكير في المشكلة وقتًا أطول قليلًا لانتهت».

«هل كنت تشعر بالسعادة لو تركتهما يموتان؟»

«حسنًا، كما تعلمين، لم أكن لأكون سعيدًا إلى هذه الدرجة، لكن...»

قالت تريليان وهي تستدير نحو لوحات التحكم: «على أي حال، لم أساعدهما على الصعود».

«ماذا تعنين؟ من حملهما إذن؟»

«السفينة».

«هاه؟».

«السفينة فعلت كل شيء بنفسها».

«هاه؟»

«عندما كنا في محرك اللا احتمالية».

«لكن ذلك لا يصدّق».

«لا يا زيفود. إنّه مستبعد جدًّا».

«نعم».

قالت وهي تربت على ذراعه: «انظر يا زيفود، لا تقلق بشأن المخلوقات الفضائية. أتوقع أنهما مجرد اثنين من الرجال. سوف أرسل الروبوت ليحضرهما إلى هنا. هيه، مارفن!»

في الزاوية تأرجح رأس الروبوت بحدة نحو الأعلى وتذبذب بشكل غير محسوس. جر نفسه ووقف على قدميه، كما لو أنّ وزنه أثقل بخمسة باوندات مما هو فعلًا، وبذل ما كان سيظن مراقب خارجي أنه جهد بطولي لاجتياز الغرفة. توقف أمام تريليان، وبدا أنه يحدّق من فوق كتفها اليسرى.

قال: «أظن أنه يجب عليك أن تعرف أني أشعر باكتئاب شديد». كان صوته منخفضًا وقانطًا.

تمتم زيفود وجلس على مقعد: «أوه يا إلهي».

قالت تريليان بنبرة شفوقة مشرقة: «حسنًا، إليك ما يشغلك ويلهي عقلك عن التفكير في الأمور».

تحدث مارفن بنبرة رتيبة: «لن تنجحي، لديَّ عقل كبير استثنائي».

حذرت تريليان: «مارفن!».

قال مارفن: «لا بأس، ما المطلوب مني فعله؟»

«انزل إلى حجيرة الدخول ذات الرقم «اثنان» واجلب المخلوقين الفضائيين إلى هنا تحت المراقبة».

بوقفة طولها ميكرو ثانية، وتعديل ميكروي محسوب على نحو ممتاز من حدة الصوت والجرس، لا شيء يمكن أن يثير الامتعاض فعلًا؛ تمكّن مارفن من إبلاغ احتقاره التام ورعبه من كل ما هو بشري.

قال: «فقط ذلك؟»

قالت تريليان بحزم: «نعم».

قال مارفن: «لن أستمتع به».

قفز زيفود من مقعده. صرخ: «هي لا تطلب منك أن تستمتع بذلك، فقط قم به، هلا فعلت؟».

قال مارفن بصوت يشبه قرع جرس عظيم مصدوع: «لا بأس، سوف أقوم بذلك».

قال زيفود: «جيد... عظيم... شكرًا لك...».

التفت مارفن ورفع نحوه عينيه اللتين على شكل مثلثين حمراوين مقلوبين.

قال بشكل يدعو للشفقة: «أنا لا أحبطك على الإطلاق، أليس كذلك؟».

قالت تريليان: «لا، لا يا مارفن، لا بأس، حقًّا».

«لا أحب أن أفكر في أني كنت أحبطك».

واصلت: «لا، لا تقلق بهذا الشأن، فقط تصرف بشكل طبيعي وكل شيء سوف يكون على خير ما يرام».

تساءل مارفن: «أنت واثقة من أنك لا تمانعين؟»

تحدّثت تريليان بنشاط: «لا، لا يا مارفن، لا بأس، حقًّا.... إن ذلك جزء من الحياة فحسب».

أضاء مارفن لها بنظرة إلكترونية.

قال مارفن: «حياة! لا تحدثيني عن الحياة».

التفت بيأس على عقبيه وجرجر نفسه خارج الحجرة. انغلق الباب خلفه مصدرًا دندنة راضية وطقطقة.

تذمرت تريليان: «لا أظن أني أستطيع تحمل ذلك الروبوت مزيدًا من الوقت يا زيفود».

تعرف الموسوعة المجرية الروبوت على أنه جهاز ميكانيكي مصمم للقيام بالعمل بدلًا من الإنسان. يعرف قسم التسويق التابع لشركة سيريوس السبرانية الروبوت على أنه: «صديقك البلاستيكي الذي من الممتع أن تكون بصحبته».

يعرف **دليل المسافر إلى المجرة** قسم التسويق التابع لشركة سيريوس السبرانية على أنه: «مجموعة من الحمقى الأغبياء الذين سوف يكونون أول من يتم التخلص منهم عند اندلاع الثورة» مع هامش يعني أن المحررين سوف يتلقون الطلبات من أي شخص مهتم بتولي مسؤولية بريد المراسلات الروبوتية.

عرَّف إصدار من الموسوعة المجرية الذي كان له حظ جيد أن يقع في زمن منحرف من ألف سنة في المستقبل، بصورة غريبة بما فيه الكفاية، قسم التسويق التابع لشركة سيروس السبرانية على أنه «مجموعة من الحمقى التافهين الذين كانوا أول من تم التخلص منهم عند اندلاع الثورة».

اختفت الحجرة الوردية من الوجود، غرقت القردة نحو بعد أفضل. وجد فورد وآرثر نفسيهما في منطقة الصعود إلى السفينة. كانت جميلة إلى حد كبير.

قال فورد: «أظن أنّ هذه السفينة جديدة».

سأل آرثر: «كيف يُمكنك أن تعرف؟ هل حصلت على جهاز غريب لقياس عمر المعدن؟»

«لا، فقط وجدت كراس المبيعات هذا ملقى على الأرض. فيه كلام كثير من قبيل: «يمكن للكون أن يكون ملكًا لك». آه! انظر، كنت محقًا».

ضرب فورد إحدى الصفحات بيده وأراها لآرثر.

يقول: «فتح جديد باهر في الفيزياء اللا احتمالية. حالما يبلغ محرك السفينة اللا احتمالية المطلقة يمرّ عبر كل نقطة في الكون. كن مصدر حسد لحكومات خطيرة أخرى. هذا أمر مهم».

بحث فورد بحماس في المواصفات الفنية للسفينة، وكان يلهث من حين لآخر مدهوشًا مما قرأه. من الواضح أن التكنولوجيا الفلكية المجرية قد تقدمت خلال سنين منفاه.

أصغى آرثر فترة قصيرة، لكن كونه غير قادر على فهم الأغلبية العظمى مما كان يقوله فورد بدأ العقلة بالشرود. مجرجرًا أصابعه على طول حافة

مفاتيح كمبيوتر غير مفهومة، مد يده وضغط زرًّا أحمر كبيرًا على لوحة قريبة. أضاءت اللوحة بكلمات «من فضلك لا تضغط هذا الزر ثانية». انتفض.

قال فورد وكان لا يزال مستغرقًا في كراس المبيعات: «اسمع، إنهم يضخمون كثيرًا موضوع سبرانية السفينة. جيل جديد من روبوتات شركة سيريوس السبرانية وأجهزة كمبيوتر مع ميزة ش أأ الجديدة».

قال آرثر: «ميزة الـ ش أ أ»؟ ما ذلك؟»

«أوه، تعني: شخصيات أناس أصليين».

قال آرثر: «أوه، يبدو ذلك فظيعًا».

قال صوت من خلفهما: «إنّه كذلك». كان الصوت منخفضًا وبائسًا ومصحوبًا بصوت خشخشة خفيف. دوموا ورأوا رجل فولاذيًا ذليلًا واقفًا محدبًّا في الباب.

قال: «ماذا؟»

واصل مارفن: «كل كذلك مروع. مروع قطعًا. فقط لا تتحدثا عنه. انظرا إلى هذا الباب»، قال وهو يخطو عبره. تخللت دوائر السخرية صوته عندما قلد أسلوب كراس المبيعات.«لجميع الأبواب في هذه السفينة الفضائية ترتيب بهيج ومشمس. تتمتع عندما تفتح لك، وترضى عندما تنغلق مرّة أخرى، لأنّها تدرك أنها أنجزت عملًا ببراعة».

عندما أغلق الباب خلفهما اتضح أن لديه فعلًا خاصية راضية تشبه التنهد.

قال: «هومممممممممميوممم آه!»

نظر مارفن إليه ببغض بارد بينما ثرثرت دوائره المنطقية بقرف وعبثت بمفهوم توجيه عنف فيزيائي ضده. تدخلت دوائر أخرى قائلة: «لم الإزعاج؟ ما الغرض من ذلك؟ لا شيء يستحق أن تتورط». تمتعت دوائر أخرى بتحليل المكونات الذرية للباب، ولخلايا الدماغ البشريّة. في استعادة سريعة قاست مستوى الإرسالات الهيدروجينية في الفرسخ الفلكي المكعب المحيط من الفضاء، ثم توقفت مرّة أخرى بسأم. هزّت نوبة يأس جسد الروبوت عندما التفت.

تحدث بنبرة رتيبة: «هيا، كنت قد أمرت أن آخذكما إلى مقصورة القيادة. وها أنا ذا دماغ بحجم كوكب ويطلبون مني أن آخذكما إلى المقصورة. هل تصف ذلك العمل بـ «المُرضي»؟ لأني لا أفعل».

التفت ومشيِ عائدًا إلى الباب المكروه.

قال فورد مقبلًا بعده: «المعذرة، أي حكومة تملك هذه السفينة؟»

تجاهله مارفن.

تمتم: «راقب هذا الباب، إنِّه على وشك أن يفتح ثانية. يمكنني أن أعرف من جو من الاعتداد بالنفس الذي يولده فجأة، والذي لا يطاق».

انفتح الباب ثانية مصدرًا أنة صغيرة متأففة، وخطا مارفن عبره.

قال: «هيا».

تبع الآخران بسرعة وانزلق الباب عائدًا إلى مكانه مصدرًا طقطقات صغيرة مبتهجة وطنينًا.

قال مارفن: «يعود الفضل إلى قسم التسويق في شركة سيريوس السبرانية»، وصعد مجهدًا بصورة موحشة الممر المقوس والنير الذي امتد أمامهم. «قالوا: «لنبن روبوتات لها شخصيات أناس أصليين». وهكذا حاولوا ذلك معي. أنا النموذج الأصلي. يمكنكما أن تلاحظا، أليس كذلك؟»

تمتم فورد وآرثر بأكاذيب قليلة محرجة

واصل مارفن: «أكره ذلك الباب، أنا لا أحبطكما على الإطلاق، صحيح؟»

بدأ فورد ثانية: «أي حكومة...؟»

نتر الروبوت: «لا تملكها حكومة، لقد سُرقت».

«سرقت؟»

قلده مارفن: «سرقت».

سال فورد: «من سرقها؟»

«زيفود بيبلبروكس».

حدث شيء استثنائي لوجه فورد. تكومت عليه خمسة تعابير على الأقل منفصلة ومتميزة تمامًا من الصدمة والهول في فوضى مشوشة. بدت ساقه اليسرى التي كانت في خطوة متوسطة تعاني صعوبة في العثور على الأرض ثانية. حدَّق إلى الروبوت وحاول أن يعقد بعض العضلات السَّلخية.

قال بوهن: «زيفود بيبلبروكس...؟»

قال مارفن وهو يجرجر نفسه لا مباليًا: «آسف، هل قلت أمرًا خاطئًا؟ أعذرني على التنفس الذي لم أقم به قط بأي حال. لذا لا أعرف لماذا أتجشم عناء القول، أوه يا إلهي، أنا مكتئب جدًا. ها هنا واحد آخر من تلك الأبواب المغرورة بنفسها. حياة! لا تتحدث معي عن الحياة».

تمتم آرثر بعصبية: «حتى أن أحدًا لم يأت على ذكرها، فورد، هل أنت بخير؟»

حدّق فورد إليه وقال: «هل قال ذلك الروبوت زيفود بيبلبروكس؟»

12

تدفقت جلبة مرتفعة من الموسيقى الصاخبة عبر مقصورة قلب الذهب في أثناء بحث زيفود في نطاق موجات راديو جهاز الاتصال السب-إيثا عن أخبار عنه. كان يصعب تشغيل الالة إلى حدٍ ما. لسنوات كانت أجهزة الراديو تشغل بواسطة الضغط على الأزرار وتدوير الأقراص، ثم عندما أصبحت التكنولوجيا أكثر تطورًا أصبحت عناصر التحكم بحاسة اللمس، كل ما عليك فعله هو لمس اللوحات؛ بأصابعك. الآن، كان كل ما عليك فعله أن تلوح بيدك في اتجاه المكونات العامة للأجهزة وتتأمل.

لقد وفر ذلك الكثير من الجهد العضلي بالطبع، لكن كان يجب عليك الجلوس بثبات يثير الغضب إذا أردت مواصلة الاستماع إلى البرنامج نفسه.

لوح زيفود بيده فتبدلت القناة مرّة أخرى. المزيد من الموسيقى المربعة لكن هذه المرّة كانت خلفيّة الإعلان إخباري. كانت الأخبار محررة دومًا بشدة لتتناسب مع إيقاعات الموسيقى.

«... والتقارير الإخبارية جلبت لك هنا على نطاق جهاز السب-إيثا الموجي، تبث في أرجاء المجرة على مدار الساعة»، صاح صوت، «وسوف نرحِّب أجمل ترحيب بجميع أشكال الحياة الذكية في كل مكان... وبكل شخص آخر هناك، السر هو أن نضرب الصخور معًا يا رفاق. وبالطبع قصة الأخبار الكبيرة الليلة هي السرقة المثيرة للسفينة الأصل لمحرك اللا احتمالية، وليس سارقها سوى رئيس المجرة زيفود بيبلروكس. والسؤال الذي يطرحه الجميع هو... هل انقلب (ز) الكبير أخيرًا؟ بيبلروكس، الرجل الذي ابتكر ناسف الغرغرة المجري الشامل، المحتال الموثوق به سابقًا الذي أن وصفته مرة إكسنتريكا غالومبيتس غريبة الأطوار بأنه أفضل انفجار منذ الانفجار العظيم، ومؤخرًا صُوِّت له للمرة السابعة باعتباره صاحب أسوأ مظهر لكائن واعٍ في الكون المعروف... هل حصل على جواب هذه المرّة؟ سألنا **غاغ هالفرونت** الاختصاصي المسؤول عن العناية بدماغه...»

دوَّمت الموسيقى وغاصت للحظة. اندلع صوت آخر، على ما يبدو صوت هالفرونت قائلًا بطريقة كلامه المميزة: «حسنًا، إن زيفود هذا الفتى وحسب، أتفهم ما أعني؟» لكن لم يواصل لأن قلمًا إلكترونيًا طار عبر الحجرة وعبر

المجال الجوي لحساس تشغيل وإيقاف تشغيل الراديو. التفت زيفود وحملق في تريليان، كانت قد رمت القلم.

قال: «مه، لماذا تفعلين ذلك؟»

كانت تريليان تنقر بإصبعها على شاشة زاخرة بالأرقام.

قالت: «لقد فكرت للتو في شيء ما».

«نعم؟ هل يستحق مقاطعتي عن متابعة نشرة الأخبار؟»

«أنت تسمع ما يكفي عن نفسك».

«مزعزع جدًّا. جميعنا يعلم ذلك».

«هل يُمكنك أن تضع أناك جانبًا للحظة؟ هذا مهم».

«إن كان يوجد أي شيء أكثر أهميّة من أناي هنا، أريد إلقاء القبض عليه وقتله الآن».

حملق زيفود إليها ثانية ثم ضحك.

قالت: «اسمع، لقد حملنا هذا الزوج من الرجال...».

«أي زوج من الرجال؟»

«الرجلان اللذان التقطناهما».

قال زيفود: «أوه نعم، ذلك الزوج من الرجال»..

«التقطناهما في القطاع زز 9 جمع ز ألفا».

قال زيفود: «نعم؟» وطرف بعينه.

قالت تريليان بهدوء: «هل يعني ذلك لك أي شيء؟»

قال زيفود: «زز 9 جمع ز ألفا. زز 9 جمع ز ألفا؟»

قالت تريليان: «حسنًا؟»

قال زيفود: «ماذا يعني حرف الزاي؟»

«أي واحد؟»

«أي واحد منهما».

كانت إحدى الصعوبات الرئيسة التي اختبرتها تريليان في علاقتها بزيفود تعلم التمييز بين تظاهره بالحماقة لمفاجأة الناس، وتظاهره بالحماقة لأنّه لم يتمكّن من تجشم عناء التفكير، وأراد أن يفعل ذلك شخص آخر بدلًا منه، وهو يتظاهر بالحماقة تظاهرًا معيبًا لإخفاء حقيقة أنه في الواقع لم يفهم ما يحدث، وأنه أحمق حقًّا. كان معروفًا بذكائه المدهش، وكان ذكيًا بوضوح تام، ولكن ليس طوال الوقت، وهذا أقلقه كما يبدو، ومن هنا جاء الفعل. فضَّل أن يدهش الناس على أن يحتقروه. بدا هذا لتريليان قبل كل شيء حماقة أصيلة، لكنّها لم تعد تكلف نفسها عناء الجدال حول الموضوع.

تنهدت ولكمت خريطة نجمية على الشاشة المرئية كي تتمكّن من تبسيط الأمر له، أيًا كانت أسباب رغبته في أن تكون بتلك الطريقة.

أشارت: «هناك، هناك تمامًا».

قال زيفود: «هيه... نعم؟»

قالت: «حسنًا؟»

«حسنًا، ماذا؟»

في داخل رأسها صرخت أجزاء على أجزاء أخرى. قالت بهدوء شديد: «إنِّه نفس القطاع الذي حملتني فيه في الأصل».

نظر نحوها ثم عاد لينظر إلى الشاشة.

قال: «هيه، نعم، هذا أمر لا يصدّق. كان علينا أن ننطلق مباشرة في منتصف سديم رأس الحصان. كيف وصل بنا الأمر إلى هناك؟ أعني أنّ هذا ليس مكانًا على الإطلاق».

تجاهلت ما قال.

قالت بصبر: «محرك اللا احتمالية، أنت بنفسك شرحته لي. نمر عبر كل نقطة في الكون، أنت تعلم ذلك».

«نعم، لكن تلك مصادفة واحدة شاذة، صحيح؟»

«نعم».

«التقاط شخص ما عند تلك النقطة؟ نقطة معينة مختارة من الكون برمته؟ إنِّه فقط... أريد أن أفهم ما حدث. أيها الكمبيوتر!»

تحول كمبيوتر متن سفينة سيريوس السبرانية - الذي نقل كل ذرة من السفينة - إلى وضع الاتصال.

«مرحبًا!» قال بابتهاج، وفي الوقت نفسه فك رباطًا صغيرًا من شريط تلغراف فقط من أجل التسجيل. قال شريط التلغراف: «مرحبًا!»

قال زيفود: «أوه يا إلهي». لم يكن قد عمل هذا الكمبيوتر وقتًا طويلًا لكن تعلم سلفًا أنه يبغضه.

واصل الكمبيوتر، متهور ومرح كما لو أنه كان يبيع مسحوق تنظيف: «أريد أن تعرف أنه مهما كانت مشكلتك، أنا هنا لمساعدتك على حلّها».

قال زيفود: «نعم، نعم، انظر، أظن أني سأستعمل ورقة».

قال الكمبيوتر: «بالتأكيد»، وهو يرمي رسالته في، سلّة مهملات في الوقت نفسه، «أفهم. لو أردت يومًا...»

قال زيفود: «اخرس!» وجلس قرب تريليان إلى وحدة التحكم منتزعًا قلم رصاص.

قال الكمبيوتر: «حسنًا، حسنًا...» بنبرة صوت جريحة وأغلق قناته الخاطبية ثانية.

أمعن زيفود وتريليان في النظر إلى الأرقام التي ومض بها الماسح الضوئي لمسار الرحلة اللا احتمالية بصمت أمامهما.

قال زيفود: «هل يمكننا أن نحسب ما كانت لا احتمالية إنقاذهما من وجهة نظرهم؟»

قالت تريليان: «نعم، ذلك أمر معروف، اثنان مرفوع إلى القوة مئتين وستة وسبعين ألفًا وسبعمئة وتسعة إلى واحد».

«هذه نسبة مرتفعة، إنهما اثنان من الرجال المحظوظين جدًّا».

«نعم».

«لكن نسبة إلى ما كنا نفعله عندما أقلتهما السفينة...»

ضربت تريليان الأرقام. أظهرت اثنين مرفوع إلى الأس لا نهاية ناقص واحد إلى واحد (رقم غير معقول امتلك معنى عاديًا في فيزياء اللا احتمالية). «إنّه منخفض جدًّا»، واصل زيفود مطلقًا صفيرًا خفيفًا.

وافقت تريليان: «نعم»، ونظرت نحوه بسخرية.

«تلك ضربة كبيرة من اللا احتمالية يجب تفسيرها، شيء مستبعد جدًّا كان يجب أن يظهر في بيان الميزانية، إن جمع كل ذلك سيصير رقمًا كبيرًا».

خربش زيفود بعض المعادلات، وشطبها، ثم رمي قلم الرصاص بعيدًا.

«مجنون، لا أستطيع أن أحله».

«حسنًا؟»

طرق زيفود رأسيه معًا منزعجًا وجر على أسنانه.

قال: «حسنًا، أيها الكمبيوتر!»

نبضت دوائر الصوت بالحياة ثانية.

قالت: «مرحبًا يا رفاق! (شريط التلغراف، شريط التلغراف). «كل ما أريد أن أفعله هو أن أجعل يومك ألطف وألطف وألطف...»

«نعم، حسنًا، اخرس واعمل شيئًا من أجلي»

ثرثر الكمبيوتر: «بالتأكيد، أنت تريد التنبؤ بالاحتمالية بالاعتماد على...»

«بيانات اللا احتمالية، نعم».

واصل الكمبيوتر: «حسنًا، هنا نظرية صغيرة مثيرة للاهتمام. هل أدركت أن معظم حيوات الناس محكومة بأرقام الهواتف؟»

زحفت نظرة متألمة على أحد وجهي زيفود متوجهًا نحو الوجه الآخر.

قال: «هل انقلبت؟»

«لا، لكنك سوف تنقلب عندما أقول لك أن...»

تنهدت تريليان. ضغطت على أزرار شاشة مسار رحلة اللا احتمالية.

قالت: «أرقام الهواتف؟ هل قال هذا الشيء أرقام الهواتف؟»

ومضت أرقام على الشاشة.

توقف الكمبيوتر بتهذيب، ثم واصل: «كنت على وشك أن أقول إن...»

قالت تريليان: «لا تنزعج، من فضلك».

قال زيفود: «انظري، ما هذا؟»

قالت تريليان: «لا أعرف، لكن هذين المخلوقين الفضائيين... إنهما في الطريق إلى مقصورة القيادة ذلك الروبوت البائس. هل يمكننا أن نلتقطهما على أي واحدة من كاميرات المراقبة؟»

13

مشي مارفن متثاقلًا في الممر وهو لا يزال يئن.

«.. من ثم، بالطبع انتابني هذا الألم الرهيب في جميع الصمامات الثنائية في جانب يدي اليسرى...»

«لا؟» قال آرثر بتجهم عندما مشى إلى جانبه. «حقًا؟»

قال مارفن: «أوه نعم، أعني.. لقد طلبت أن أستبدل لكن لا أحد يصغي على الإطلاق».

كان صفير مبهم وضوضاء دندنة صادرة عن فورد الذي ظل يقول لنفسه: «حسنًا حسنًا حسنًا، زيفود بيبلروكس...»

توقف مارفن فجأة ورفع يدًا.

«هل تعلم ما الذي حدث الآن؟»

«لا، ماذا؟» قال آرثر الذي لم يرغب في أن يعرف.

«لقد وصلنا إلى باب آخر من تلك الأبواب».

كان هناك باب منزلق يقود إلى جانب الممر. عاينه مارفن بارتياب.

قال فورد بفارغ الصبر: «حسنًا؟ هل ندخل؟»

قلده مارفن: «هل ندخل؟ نعم. هذا المدخل يؤدي إلى مقصورة القيادة. طلب مني أن آخذكما إلى المقصورة. ليس عليَّ أن استغرب، ربما أكثر الطلبات تحديًا لقدراتي العقليّة التي يجب علي أداؤها اليوم».

خطا ببطء وببغض عظيم إلى الأمام.

انزلق الباب فجأة مثل صياد يطارد فريسته.

قال: «شكرًا لك على منح باب بسيط سعادة غامرة».

ارتطمت تروس في أعماق صدر مارفن.

رنَّم بكآبة: «مضحك، بالضبط عندما تفكر في أن الحياة لا يمكن أن تزداد سوءًا، فإنها تصبح كذلك فجأة».

اندفع عبر الباب وترك فورد وآرثر يحدّق بعضهما إلى بعض ويهزا أكتافهما. سمعا من الداخل صوت مارفن ثانية.

قال: «أفترض أنك سترغب في رؤية المخلوقين الفضائيين الآن، هل تريد أن أجلس في زاوية وأصدأ، أم فقط أتمزق في مكاني؟»

جاء صوت آخر: «نعم، فقط ادخلهما، هلا فعلت يا مارفن؟»

نظر آرثر إلى فورد وكان مدهوشًا لرؤيته يضحك.

«ماذا...؟»

قال فورد: «صه، ادخل».

دخل مقصورة القيادة.

تبعة آرثر بعصبية وكان مدهوشًا لرؤية رجل مسترخيًا في كرسي ويضع قدميه على وحدة تحكم، ينظف الأسنان في رأسه الأيمن بيسراه. بدا رأس اليد اليمنى منهمكًا كليًا في هذه المهمة، لكن رأس اليد اليسرى كان يكشر تكشيرة عريضة مرتاحة ولا مبالية. عدد الأشياء التي لم يستطع آرثر تصديق أنه كان يراها كبير جدًّا. تدلى فكه فاغرًا مدة من الوقت.

لوح الرجل الغريب تلويحة كسول لفورد وقال بتكلف لا مبال مخيف: «مرحبًا فورد، كيف حالك؟ يسعدني أنك تمكنت أنك تمكنت من القيام بهذه الزيارة».

لكن هذا لم يهدئ من روع فورد.

تشق قائلًا: «زيفود، عظيم أن أراك، تبدو بخير، الذراع الإضافية تليق بك. سفينة جميلة هذه التي سرقتها».

حملق آرثر إليه.

قال وهو يلوح بإصبع جامح نحو زيفود: «هل تريد أن تقول إنك تعرف هذا الرجل؟»

هتف فورد: «أعرفه! إنِّه...» توقف وقرر أن يعرفهما على بعض بالطريقة المعاكسة. قال: «أوه زيفود، هذا صديقي آرثر دنت. أنقذته عندما انفجر كوكبه».

قال زيفود: «أوه بالتأكيد، مرحبًا آرثر، يسرني أنك تمكنت من القدوم.» نظر رأسه الأيمن عرضًا وقال: «مرحبًا»، وعاد إلى متابعة تنظيف أسنانه.

واصل فورد فقال: «وآرثر، هذا زيفود وهو شبه ابن عم...»

قال آرثر بحدة: «لقد التقينا».

عندما تقود سيارتك في الطريق السَّريع، وتمضي بكسل بين عدد قليل من السيارات التي تمضي بسرعة، وتشعر بالرضا عن نفسك، ثم تغير بالدفة عن غير قصد من السرعة الرابعة إلى الأولى بدل الثالثة؛ ما يجعل محركك يقفز من غطاء محرك السيارة محدثًا فوضى قبيحة إلى حدٍ ما، فتتوقف عن متابعة السير، تمامًا مثلما توقف فورد برفكت عما كان يفعله بسبب هذه الملاحظة.

قال: «ماذا؟»

«قلت إننا سبق أن التقينا»..

ندت عن زيفود صيحة مفاجأة خرقاء ومضغ علكة بحدة.

«هيه... هل التقينا؟ هي...»

التفت فورد نحو آرثرِ وفي عينيه بريق غاضب. شعر الآن بأنه على أرض البيت، حتى أنه أخذ فجأة يشعر بالاستياء لأنّه مثقل بهذا البدائي الجهول الذي عرف عن شؤون المجرة بقدر ما تعرفه بعوضة مقرها **إيلفورد** عن الحياة في بكين.

سأل: «ماذا تقصد بقولك إنكما التقيتما؟ هذا زيفود بيبلروكس من منكب الجوزاء رقم خمسة، كما تعلم، ليس مارتن سميث اللعين من كرويدون».

قال آرثر ببرود: «لا أهتم، لقد التقينا، أليس كذلك يا زيفود بيبلروكس؟ أم هل علي أن أقول... فيل؟»

صرخ فورد: «ماذا!»

قال زيفود: «يجب عليك أن تذكرني، ذاكرتي سيئة في ما يتعلق بالأنواع».

تابع آرثر: «حدث ذلك في حفلة».

قال زيفود: «نعم، حسنًا أشك في ذلك».

قال فورد: «اهدأ، هلا فعلت يا آرثر!»

ما كان آرثرِ ليرتدع. «حفلة منذ ستة أشهر. على الأرض.. إنكلترا...»

هزّ زيفود رأسه مبتسمًا بشفتين مزمومتين.

أصر آرثر: «لندن، ايسلنغتون».

قال زيفود بجفلة مذنب: «أوه، تلك الحفلة».

هذا لم يكن عادلًا بالنسبة إلى فورد على الإطلاق. نظر إلى الأمام والخلف بين آرثر وزيفود.

قال لزيفود: «ماذا؟ أنت لا تقصد أن تقول إنك كنت على ذلك الكوكب الصغير البائس أيضًا، أليس كذلك؟»

وقال زيفود بمرح: «لا، بالطبع لا. حسنًا، ربما فقط مررت سريعًا على الكوكب، كما تعلم، في طريقي إلى مكان ما...»

«لكني كنت عالقًا هناك خمس عشرة سنة!»

«حسنًا، لم أكن أعرف ذلك، هل عرفت؟»

«لكن ماذا كنت تفعل هناك؟»

«أراقب، كما تعلم».

قال آرثر وهو يرتجف غضبًا: «تطفل على حفلة، حفلة بثياب تنكرية..»

قال فورد: «كانت لتكون كذلك، أليس صحيحًا؟»

استمر آرثر: «في هذه الحفلة كان هناك فتاة... أوه حسنًا، انظر، ذلك غير مهم الآن. المكان برمته اختفى في الدخان على أي حال...»

«أتمنى أن تتوقف عن الحزن بسبب ذلك الكوكب الدموي»، قال فورد. «من كانت السيدة؟»

«أوه فقط شخص ما. حسنًا لا بأس، لم أكن أبلي بلاءً حسنًا معها. كنت أحاول طوال الأمسية. اللعنة، كانت شيئًا مع ذلك. جميلة، ساحرة، ذكية ذكاءً مدمرًا، أخيرًا كنت قد استحوذت على اهتمامها بعض الشيء، وأتبادل معها بعض الحديث عندما تثاقل صديقك هذا وقال: «مرحبًا أيتها الجميلة، هل يشعرك هذا الرجل بالملل؟ لماذا لا تتحدثي معي بدلًا منه؟ أنا من كوكب مختلف». لم أرها ثانية قط».

هتف فورد: «زيفود؟»

قال آرثر محملقًا إليه وهو يحاول ألا يشعر بأنه أحمق: «نعم، كان لديه ذراعان ورأس واحد فحسب، ودعا نفسه فيل، لكن...»

«لكن، عليك أن تعترف أنه اتضح أنه ينتمي إلى كوكب آخر»، قالت تريليان وهي تظهر متجولة عند، الطرف الآخر من المقصورة. ابتسمت لآرثر ابتسامة مستحبة استقرت عليه مثل طن من القرميد ثم لفتت انتباهها نحو شاشة التحكم بالسفينة مرّة أخرى.

ساد الصمت بضع ثوان ثم نطق آرثر كلمات من الفوضى المتدافعة في دماغه.

قال: «تريشيا ماكميلن؟ ماذا تفعلين هنا؟»»

قالت: «مثلما تفعل أنت، لقد حصلت على توصيلة بالمجان. في النهاية، مع إجازة في الرياضيات وأخرى في الفيزياء الفلكية ماذا كان يمكنني أن أفعل سوى ذلك؟ كان عليَّ أن أختار، إما ما فعلت، أو الانتظار في طابور الإعانة الحكومية كل يوم الاثنين».

ثرثر الكمبيوتر: «لا نهاية ناقص واحد، اكتمل حاصل اللا احتمالية اللآن».

نظر زيفود حوله، نحو فورد، ونحو آرثر، ثم تريليان.

قال: «تريليان، هل سيحدث هذا النوع من الأمور كلما استعملنا محرك اللا احتمالية؟»

قالت: «أخشى أنه مرجح جدًّا».

14

هربت سفينة قلب الذهب بصمت عبر ليل الفضاء، الآن بواسطة محرك فوتون تقليدي. كان أفراد طاقمها، الذي يتكون من أربعة أشخاص، متضايقين لمعرفة أنهم لم يجتمعوا بإرادتهم أو بمحض المصادفة، لكن بسبب شذوذ فيزيائي عجيب، كما لو أنّ العلاقات بين الناس كانت تخضع للقوانين نفسها التي تحكم العلاقات بين الذات والجزيئات.

عندما دنا ليل السفينة المصطنع شعروا جميعًا بالامتنان حالما توجه كل واحد منهم إلى حجرته المنفصلة ليحاول عقلنة أفكاره.

جافى النوم تريليان. جلست على أريكة وحدقت إلى قفص صغير احتوى على روابطها الأخيرة والوحيدة بالأرض فأران أبيضان صغيران، ألحت على زيفود أن يسمح لها بإحضارهما. كانت قد توقعت بأنها لن ترى الكوكب ثانية قط، لكنّها كانت مشوشة إزاء رد فعلها السلبي على خبر تدمير الكوكب. بدا الأمر بعيدًا وغير حقيقي، ولم تجد أفكارًا عن الموضوع. راقبت الفأرين يتحركان داخل القفص ويجريان مهتاجين في الدولابين الصغيرين البلاستيكيين، إلا أن استحوذا على اهتمامها كاملًا. انتفضت فجأة وعادت إلى مقصورة القيادة لتراقب الأضواء الصغيرة البراقة والأرقام التي رسمت تقدم السفينة في الفراغ. تمنت لو أنها تعرف ما الذي كانت تحاول عدم التفكير فيه.

لم يواف زيفود النوم. تمنى أيضًا أنه عرف ما ذلك الأمر الذي لن يسمح لنفسه بالتفكير فيه. لأنّه بقدر ما يمكنه أن يتذكر عانى شعورًا مزعجًا غامضًا بأن هناك أمرًا ناقصًا. كان قادرًا معظم الوقت على تنحية أفكاره وعدم القلق بشأنه، لكن كان قد أُوقظ مجددًا بوصول مفاجئ لا يمكن تفسيره لفورد برفكت وآرثر دنت - بدا بطريقة ما - أنه يتطابق مع شكل لم يستطع رؤيته.

لم يستطع فورد النوم. كان متحمسًا جدًّا لعودته من جديد إلى السفر. انتهت خمس عشرة سنة من الحبس الافتراضي، تمامًا عندما أخذ يبدأ يفقد الأمل أخيرًا. لقد وعد التصادم البسيط مع زيفود بكثير من المرح، ولو أنه يبدو أنّ هناك أمرًا قليل الغرابة يتعلق بقريبه هذا، لم يستطع تحديده. كانت حقيقة أنه أصبح رئيسًا للمجرة أمرًا مدهشًا بصراحة، وأيضًا الطريقة التي ترك بها

المنصب. هل كان سبب وراء ذلك؟ قد لا يكون هناك فائدة ترجي من سؤال زيفود، لم يبد قط أنه يمتلك سببًا لأي شيء أقدم على فعله: كان قد حول عدم القدرة على الفهم إلى شكل فني. هاجم كل شيء في الحياة بمزيج من النبوغ الاستثنائي وعدم الكفاءة الساذجة وكان يصعب تحديد ذلك.

نام آرثر، لقد كان منهكا جدًّا.

سمع قرعًا على باب زيفود. انفتح ببطء.

«زيفود...؟»

«نعم؟»

وقفت تريليان محاطة بهالة ضوء بيضاوية.

«أظن أننا وجدنا للتو ما جئت تبحث عنه»

«مرحبًا، نعم؟».

يئس فورد من محاولة النوم. يوجد في زاوية حجرته شاشة كمبيوتر صغيرة ولوحة مفاتيح. جلس وحاول كتابة مدخل جديد في الدليل عن موضوع الفوغون، لكن لم يستطع أن يفكر في أي شيء لاذع كفاية، لذا تخلى عن ذلك أيضًا، تدثر بثوب وراح يتمشى نحو مقصورة القيادة.

عندما دخل فوجئ لدى رؤيته شخصين وقد انحنيا على الآلات منفعلين.

كانت تريليان تقول: «هل ترى؟ السفينة على وشك دخول المدار، يوجد كوكب هناك. إنّه عند الإحداثيات نفسها التي تنبأت بها».

سمع زيفود ضجة ورفع بصره.

هسهس: «فورد! هيه، تعال وألق نظرة على هذا».

ذهب فورد وألقى نظرة. كانت سلسلة من الأرقام تومض على الشاشة.

قال زيفود: «هل تميز تلك الإحداثيات المجرِّية؟»

«لا».

«سوف أعطيك مفتاحًا للجواب. أيها الكمبيوتر!».

تحمس الكمبيوتر: «مرحبًا يا جماعة! لدينا حفلة سمر حقيقيّة، أليس صحيحًا؟»

قال زيفود: «اخرس، شغل الشاشات».

قلت قوة الضوء على برج القيادة. تحركت نقاط ضوئية متناهية الصغر على وحدة التحكم وانعكست على أربع أزواج من العيون المحدقة إلى شاشات المراقبة الخارجية.

قطعا لم يكن يوجد شيء عليها.

همس زيفود: «هل تميز ذلك؟»

قطب د فورد.

قال: «لا».

«ماذا ترى؟»

«لا شيء».

«هل تميزها؟»

«عم تتحدّث؟»

«نحن في سديم رأس الحصان. غمامة داكنة شاسعة».

«وكان يفترض بي أن أميز ذلك أن أميز ذلك من شاشة فارغة؟»؟

«إن قلب سديم معتم هو المكان الوحيد في المجرة الذي قد تراه شاشة معتمة».

«ممتاز».

ضحك زيفود. كان جليًا أنه متحمس جدًّا بخصوص شيء ما، وطفولي تقريبًا.

«هيه، هذا مهول حقًّا، هذا كثير جدًّا!»

قال فورد: «ما وجه العظمة في أن تكون عالقًا سديم من الغبار؟»

أصر زيفود: «ماذا تفترض أنك في ستجد هنا؟»

«لا شيء»

«ما من نجوم؟ ما من كواكب؟»

«لا».

صرخ زيفود: «أيها الكمبيوتر! أدر زاوية الرؤية بمقدار إحدى وثمانين درجة، ولا تنبس بكلمة!»

بدا للحظة أن شيئًا لم يكن يحدث، ثم توهج سطوع عند حافة الشاشة الضخمة. تسلل نجم عبرها متبوعًا بسرعة بآخر؛ نظام ثنائي. ثم توجه هلال واسع إلى زاوية الصورة، وهج أحمر يتدرج إلى سواد سحيق، الجانب المظلم من الكوكب.

أحمر صغير صرخ زيفود وهو يخبط على وحدة التحكم: «لقد وجدته! لقد وجدته!»

حدق فورد إليه بدهشة.

قال: «ما هو؟»

قال زيفود: «ذلك... أكثر الكواكب غير المحتملة على الإطلاق».

15

(مقتطف من **دليل المسافر إلى المجرة**، الصفحة 634784، الفصل 5 أ. مدخل: ماغرثيا).

بعيدًا في مجاهل الماضي القديم، في الأيام العظيمة والمجيدة للإمبراطورية المجرّية السابقة، كانت الحياة جامحة وغنية وخالية من الضرائب إلى حد كبير.

شقَّت سفن فضائيّة جبارة طريقها جيئة وذهابًا بين الشموس الغريبة، بحثًا عن المغامرة والمكافأة، إلى أبعد مدى يمكن أن تصل إليه في فضاء المجرة. كانت الأرواح شجاعة والمخاطر هائلة في تلك الأيام، كان الرجال رجالًا حقيقيين، والنساء نساء حقيقيات، وكانت المخلوقات الصغيرة ذات الفراء من القنطوري ألفا مخلوقات صغيرة حقيقيّة مكسوة من القنطوري ألفا وجميعهم تجاسروا على مواجهة الرعب المجهول، على اجتراح المآثر الجبارة، بجرأة فصل صيغة المصدر عند الكتابة بالإنجليزية، كما لم يجرؤ رجل على فصلها من قبل، وهكذا تشكلت الإمبراطورية.

أصبح العديد من الرجال بالطبع بالغي الثراء، لكن هذا كان طبيعيًا تمامًا ولا شيء لتخجل منه لأنّه لم يكن هناك أحد فقير حقًّا. على الأقل لا أحد يستحق التحدّث عنه. أمّا جميع التجار الأكثر ثراء ونجاحًا، فقد أصبحت الحياة بالنسبة إليهم رتيبة وتافهة على نحو محتوم، وبدؤوا يتخيلون أنّ هذا -تبعًا لذلك - خطأ العوالم التي استقروا فيها، لم يكن واحد منها، مرضيًا تمامًا: إما أن المناخ لم يكن مناسبًا تمامًا في الجزء الأخير من الأصيل، أو أن النهار كان أطول مدة نصف ساعة، أو كان للبحر التدرج الخاطئ من اللون الوردي.

وتبعًا لذلك خلقت الظروف شكلًا جديدًا مذهلًا من الصناعة المتخصصة: بناء كوكب مترف حسب الطلب. كان موطن هذه الصناعة كوكب ماغرثيا، حيث امتص مهندسو المكان الفائق المادة من خلال ثقوب بيضاء في الفضاء لتشكيلها إلى كواكب الأحلام، الكواكب الذهبية، الكواكب المصنوعة من البلاتين، الكواكب المصنوعة من المطاط الرخو مع الكثير من الزلازل، صنعت كلها بمحبة لتلبي المعايير الصارمة التي كان من الطبيعي انتظارها من قبل أغنى رجال المجرة.

كانت هذا المغامرة ناجحة جدًّا حتى أن ماغرثيا نفسه أصبح سريعًا أغنى كوكب على مر الأزمان، وتضاءلت بقية المجرة إلى فقر مدقع. وهكذا تعطل النظام، انهارت الإمبراطورية، وحل صمت عبوس طويل على مليار عالم جائع، لم يكدره سوي خربشات الباحثين وهم يعملون ليلًا على أبحاث صغيرة متأنقة عن قيمة الاقتصاد السياسي المخطط.

اختفى ماغرثيا نفسه وسرعان ما تحولت ذكراه إلى أسطورة غامضة. بالطبع لا يصدّق أحد كلمة منها في هذه الأيام المستنيرة.

16

استيقظ آرثر على صوت نقاش وذهب إلى مقصورة القيادة. كان فورد يلوح بذراعيه.

كان يقول: «أنت مجنون يا زيفود، ماغرثيا خرافة، حكاية خياليّة، مثل ما يخبره الآباء لأولادهم ليلًا إذا كانوا يريدونهم أن يكبروا ليصبحوا اقتصاديين في المستقبل، إنّه...»

أصر زيفود: «وذلك ما ندور حوله حاليًا».

قال فورد: «انظر، لا يهمني ما قد تكون أنت بصفة شخصيّة تدور حوله، لكن هذه السفينة...»

صرخ زيفود: «أيها الكمبيوتر!»

«أوه لا...»

«مرحبًا يا جماعة! أنا إيدي، جهاز الكمبيوتر الخاص بكم على متن السفينة، وأشعر بأني على خير ما يرام يا رفاق، وأعرف أني سأنال حزمة من الركلات من أي برنامج تهتمون بتشغيله من خلالي».

نظر آرثر نحو تريليان. أومأت إليه ليدخل لكن أن يلتزم الصمت.

قال زيفود: «أيها الكمبيوتر، أخبرنا ثانية ما مسارنا الحالي».

ثرثر جهاز الكمبيوتر قائلًا: «بكل سرور حقًّا يا رفيق، نحن الآن في مدار على علو ثلاثمئة ميل حول الكوكب الأسطوري ماغرثيا».

قال فورد: «هذا لا يؤكد شيئًا. لم أكن لأثق بذلك الكمبيوتر حتى لو كان سيخبرني بوزني».

تحمس الكمبيوتر وهو يدفع إلى الخارج المزيد من شريط التلغراف: «يمكنني أن أفعل ذلك من أجلك، بالتأكيد، يمكنني أيضًا حل مشكلات شخصيتك حتى عشر مراتب عشرية إذا كان ذلك سيساعد».

قاطعت تريليانِ:

«زيفود، في أي دقيقة الآن سوف نستدير نحو الجانب النهاري لهذا الكوكب»، مضيفة: «بغضّ النظر عما يكون، هذا ما سنعرفه لاحقًا».

«مهلًا، ماذا تعني بذلك؟ الكوكب موجود في المكان الذي تنبأت أنه قد يكون فيه، أليس كذلك؟»

«نعم، أعرف أنّ هناك كوكبًا. أنا لا أجادل مع أحد بخصوص هذا، الأمر فقط أني ما كنت لأميز ماغرثيا من أي كتلة أخرى لصخرة باردة. الفجر قادم إذا كنت تريده».

تمتم زيفود: «حسنًا، حسنًا، على الأقل دعنا نمتع أعيننا قليلًا. أيها الكمبيوتر!»

«مرحبًا! ماذا يمكنني...»

«فقط اخرس وأرنا منظرًا للكوكب ثانية».

ملأت كتلة رتيبة قاتمة الشاشات مرّة أخرى، يدور الكوكب تحتها.

راقبوا لحظة في صمت، لكن زيفود كان متبرمًا من شدّة الانفعال.

قال هامسًا: «نحن نجتاز الآن الجانب الليلي...». واصل الكوكب الدوران.

واصل: «سطح الكوكب الآن على بعد ثلاثمئة ميل تحتنا». كان يحاول مرّة أخرى الإحساس بأنه يعيش لحظة عظيمة. ماغرثيا! كان مجروحًا برد فعل فورد المتشكك. ماغريثا!

واصل: «خلال بضع ثواني يجب أن نرى... هناك!»

استمرت اللحظة. حتى أكثر المتسكعين بين النجوم تمرسًا لا يستطيع إلا أنّ يرتجف لرؤية الموقف المثير لشروق شمس مرئي من الفضاء، لكن شروقًا ثنائيًا هو أحد عجائب المجرة.

اندفعت من السواد المطلَق نقطة مفاجئة من ضوء باهر. تسللت شيئًا فشيئًا وانتشرت جانبيًا على شكل شفرة هلالية رقيقة، وفي غضون ثوان شوهدت شمس أخرى، شمسان، أتونان من الضوء، تلفحان الحافة السوداء للأفق بنار بيضاء خطت خطوط شرسة من الألوان الغلاف الجوي الرقيق تحتهما.

تنفس زيفود: «نيران الفجر! الشمسان التوأمان سوليانيس ورام...!»

قال فورد بهدوء: «أو أي شيء»

أصر زيفود: «سوليانيس ورام!»

توهجت الشمسان في عتمة الفضاء، وعامت موسيقى منخفضة شبحية عبر مقصورة القيادة: كان مارفن يهمهم ساخرًا لأنّه كره البشر كثيرًا جدًّا.

بينما كان فورد يحدّق إلى مشهد الضوء أمامهم اشتعلت الإثارة في داخله، لكن فقط الإثارة لرؤية كوكب جديد غريب، كان كافيًا بالنسبة إليه أن يراه على حاله. ضايقه بعض الشيء أن زيفود اضطر إلى فرض بعض الخيال المضحك على المشهد كي يصبح لصالحه. بدا كل هذا الهراء حول ماغرثيا طفوليًا. ألا يكفي أن يرى أن الحديقة جميلة دون الحاجة إلى الاعتقاد بوجود جنيات في قاعها أيضًا؟ بدا كل هذا الأمر بخصوص ماغرثيا لآرثر غير مفهوم كليًا. اقترب من تريليان وسألها عما كان يجري.

همست: «أنا لا أعرف ما قاله لي زيفود، يبدو أن ماغرثيا أسطورة عتيقة لا أحد يؤمن بها جدًّا، مثل قارة أطلنطس على كوكب الأرض. ما عدا أن الأساطير تقول إن الماغرثيين اعتادوا صنع الكواكب».

نظر آرثر بطرف عينه نحو الشاشات وشعر أنه كان يفتقد شيئًا هامًا. أدرك فجأة ما هو.

سأل: «هل هناك أي شاي على هذه السفينة الفضائية؟»

كان جزء إضافي من الكوكب يتكشف تحتهم، بينما اندفعت قلب الذهب على طول مسارها المداري. كانت الشمسان تنتصبان الآن عاليًا في السماء السوداء، بعد أن انتهت ألعاب الفجر النارية، وظهر سطح الكوكب أجرد وكريهًا في ضوء النهار المباح، رماديًا ومغبرًا ومحددًا وباهتًا. بدا ميتًا وباردًا مثل سرداب. كانت تظهر بين الفينة والأخرى ملامح مبشرة في الأفق البعيد؛ وهاد، ربما جبال، ربما حتى مدن، لكن مع اقترابهم تضعف الخطوط وتصبح غير واضحة إلى أن تصبح بلا أهميّة تذكر. مع مرور الوقت تضبَّب سطح الكوكب بسبب الحركة البطيئة للهواء الواهي والآسن الذي تسلل عبره لقرون تلو قرون.

من الجلي أنه كان قديمًا جدًّا جدًّا.

داهمت فورد لحظة الشك عندما شاهد المنظر الرمادي يتحرك تحتهم. أقلقه امتداد الزمن، استطاع أن يشعر بحضوره. تنحنح.

«حسنًا، حتى بافتراض إنّه...»

قال زيفود: «إنّه حقًّا».

واصل فورد: «وهو ليس كذلك، ماذا تريد منه وبأي حال؟ لا شيء هناك»

قال زيفود: «ليس على السطح».

«لا بأس، فقط إذا افترضنا أنّ هناك شيئًا، أفهم أنك لست هنا من أجل علم الآثار الصناعي المحض. ماذا تنوي بعد ذلك؟»

أشاح أحد رأسي زيفود ببصره. نظر الرأس الآخر حوله ليرى ما كان الأول ينظر نحوه، لكن لم يكن ينظر إلى أي شيء.

قال زيفود باستخفاف: «حسنًا، جزئيًا يدفعني الفضول، ومن ناحية أخرى حس المغامرة، لكن غالبًا أظن أن الهدف الشهرة والمال...»

نظر فورد نحوه بحدة. حصل على انطباع قوي جدًّا عن أن زيفود لم يملك ولو أدنى فكرة عن سبب وجوده هناك على الإطلاق.

قالت تريليان وهي ترتعش: «أنت تعلم، لا أحب منظر ذلك الكوكب على الإطلاق».

قال زيفود: «آه، لم أنتبه، يمكن له أن يبدو رثًا إذا كانت نصف ثروة الإمبراطورية المجرّية السابقة مخزنة عليه في مكان ما».

فكر فورد: «هراء. حتى لو افترضنا أنّ هذا كان موطنًا لحضارة قديمة تحولت إلى غبار الآن، حتى لو افترضنا عددًا من الأمور المستبعدة إلى أقصى حد، لم يكن هناك سبيل لتخزين كنوز ضخمة من الثروة هناك بأي شكل ما زال يملك أي معنى الآن». هزّ كتفيه.

قال: «أظن أنه كوكب خامد».

قال آرثر بنزق: «التشويق يقتلني».

بعد الإجهاد والتوتر العصبي الآن من المشكلات الاجتماعية الخطيرة في أنحاء المجرة كلها، ولكيلا يُضخَّم هذا الوضع بأي شكل من الأشكال ستُكشف الآن الحقائق التالية مقدمًا.

الكوكب الذي نحن بصدده في الحقيقة هو ماغرثيا الأسطوري.

الهجوم الصاروخي المميت الذي سيطلقه قريبًا نظام دفاعي أتوماتيكي قديم لن يؤدي سوى إلى تكسير ثلاثة فناجين قهوة وقفص فأر، وإصابة في عضد شخص ما، والخلق المبكر والزوال المفاجئ لأصيص زهرة بيتونيا وحوت عنبر بريء.

من أجل الحفاظ على بعض الإحساس بالغموض، لم يكشف حتى الآن عن الشخص الذي أصيب عضده. يمكن بأمان جعل هذه الحقيقة موضوعًا للتشويق بما أنها ليست ذات أهميّة إطلاقًا.

17

بعد بداية متقلبة لليوم إلى حدٍ ما، بدأ عقل آرثر إعادة تجميع نفسه من شظايا الصدمة التي أصابته في اليوم السابق. كان قد عثر على آلة نوتريماتيك مغذية زودته بكوب بلاستيكي مملوء بسائل يكاد يكون مختلفًا كليًا عن الشاي، لكن ليس تمامًا. كانت طريقة عملها مثيرة للاهتمام جدًّا. عندما يضغط على زر الشراب تجري فحصًا فوريًا مفصلًا جدًّا لحليمات التذوق الخاصّة بالشخص المعني، وتحليلًا طيفيًا لعملية التمثيل الغذائي لديه، ثم ترسل إشارات تجريبية صغيرة عبر المسارات العصبية لمراكز التذوق في دماغه لمعرفة إن كان من المرجح أن ينزل جيدًا. مع ذلك، لم يعرف أحد تمامًا سبب قيامها بهذا لأنّها قدمت على الدوام كوبًا مملوءًا من السائل الذي يختلف كليًا عن الشاي تقريبًا لكن ليس تمامًا. صممت شركة سيريوس السبرانية الآلة وصنعتها، ويغطي قسم الشكاوى فيها الآن جميع كتل الأرض المتسعة على الكواكب الثلاثة الأولى في نظام **سيريوس تاو** النجمي.

شرب آرثر السائل ووجده منعشًا. رمق الشاشات مرّة أخرى وشاهد بضع مئات أميال إضافية من الرمادي القاحل تنزلق متدحرجة. خطر له فجأة أن يطرح سؤال كان يؤرقه.

قال: «هل الكوكب آمن؟»

قال زيفود: «ماغرثيا ميت منذ خمس ملايين سنة، بالتأكيد هو آمن. حتى الأشباح قد تكون استقرت وكونت أسرًا اللآن».

عند هذه النقطة انبعث صوت غريب وغير مفهوم فجأة عبر المقصورة، ضوضاء كما لو أنها أتت جعجعة بعيدة، صوت واه ونحيل وأجوف. سبق صوتًا كان أجوف وواهيًا ونحيلًا على حدٍ سواء. قال الصوت: «تحياتي لكم...»

كان شخص ما يتحدث إليهم من الكوكب الميت.

صرخ زيفود: «أيها الكمبيوتر!»

«مرحبًا يا جماعة!»

«ما الفوتون؟»

«أوه، إنّه فقط شريط عمره قرابة خمسة ملايين سنة ذلك الذي يبث إلينا».

«ماذا؟ تسجيل؟»

قال فورد: «صه! إنّه يواصل».

كان الصوت مسنًا، مهذبًا، ساحرًا تقريبًا، لكن كان مؤكدًا بوعيد جلي تمامًا.

قال: «هذا إعلان مسجل، بما أني أخشى أننا جميعًا في الخارج هذه اللحظة. مجلس ماغرثيا التجاري يشكر لكم زيارتكم الثمينة...»

صرخ زيفود: «صوت من ماغرثيا القديمة!»

قال فورد: «حسنًا، حسنًا».

واصل الصوت: «لكن للأسف الكوكب برمته مغلق مؤقتًا. شكرًا لكم. إذا كنتم تهتمون بترك اسمكم وعنوان كوكب حتى يمكننا الاتصال بكم، فتفضلوا بالتحدث بعد سماع النغمة».

تبع ذلك أزيز قصير ثم صمت.

قالت تريليان بعصبية: «يريدون التخلص منا، ماذا نفعل؟»

قال زيفود «إنّه مجرد تسجيل، نواصل المضي. هل فهمت أيها الكمبيوتر؟»

قال الكمبيوتر: «فهمت»، ومنح السفينة دفعة إضافية من السرعة.

انتظروا.

عادت الجلبة بعد قرابة ثانية مرّة أخرى، ثم قال الصوت: «نود أن نؤكد لكم أنه ما إن نستأنف عملنا سوف تنشر إعلانات في جميع المجلات العصرية والملحقات الملونة، عندها سيكون بإمكان عملائنا مرّة أخرى الاختيار من بين كل ما هو أفضل في الجغرافيا المعاصرة». حمل الصوت تهديدًا أكثر حدة. «في غضون ذلك نشكر عملاءنا على حسن اهتمامهم، ونود أن نطلب منهم المغادرة. الآن».

رمق آرثر وجوه رفاقه القلقة من حوله.

اقترح: «حسنًا، أفترض أنه من الأفضل أن نغادر إذن، أليس كذلك؟»

قال زيفود: «صه! قطعًا ليس هناك ما نقلق بشأنه».

«إذن، لماذا الجميع مشدودون جدًا؟»

صرخ زيفود: «إنهم مهتمون بما يحدث! أيها الكمبيوتر، ابدأ الهبوط إلى الغلاف الجوي».

كانت الجلبة هذه المرّة روتينية تمامًا، الصوت الآن واضح البرود.

قال: «إنّه ليثلج صدرنا كثيرًا أن حماسكم لكوكبنا يستمر بلا هوادة، لذا نود أن نؤكد لكم أن الصواريخ الموجّهة التي تقترب الآن من سفينتكم هي جزء من خدمة خاصة نقدمها لجميع عملائنا الأكثر حماسًا، والرؤوس النوويّة التي تحملها ليست سوى مجرد تعبير عن الترحيب بالطبع. نتطلع إلى التعامل معكم في الحيوات المستقبلية... شكرًا لكم».

توقف الصوت فجأة.

قالت تريليان: «أوه»

قال آرثر: «ار...»

قال فورد: «حسنًا؟»

قال زيفود: «انظروا، هل تفهمون؟ تلك مجرد رسالة مسجلة. عمرها ملايين السنين. إنها ليست موجهة إلينا، هل فهمتم؟»

قالت تريليان بهدوء: «ماذا... ماذا عن الصواريخ؟»

«صواريخ؟ لا تضحكيني».

نقر فورد على كتف زيفود وأشار إلى الشاشة الخلفيّة. كان سهمان فضيان اثنان واضحان يخترقان المسافة خلفهما، يصعدان عبر الغلاف الجوي نحو السفينة. صارا واضحين تمامًا بعد تقريب الصورة، صاروخان حقيقيان ضخمان يرعدان عبر السماء. صدمت المفاجأة الجميع.

قال فورد: «أظن أنهم سوف يحاولون تقديم طلب جيد لنا».

حق زيفود إليهم مدهوشًا.

قال: «هيه، هذا رائع! شخص ما هناك يحاول قتلنا!»

قال آرثر: «رائع»

«لكن ألا تفهم ما يعني هذا؟»

«نعم. سنموت».

«نعم، لكن بصرف النظر عن ذلك».

«بصرف النظر عن ذلك؟»

«إنِّه يعني أنّ علينا أن نكون على شيء ما!»

«متى يمكننا أن ننزل منها؟»

ثانية تلو ثانية كبرت صورة الصواريخ على الشاشة. صارا واضحين تمامًا، إنهما صاروخان موجهان، كل ما يمكن أن يرى منهما الآن الرأسان النوويان.

و قالت تريليان: «على سبيل اللاهتمام، ماذا سنفعل؟»

قال زيفود: «فقط حافظي على هدوئك».

صرخ آرثر: «هل هذا كل شيء؟».

قال زيفود بقدر مفاجئ من الذعر: «لا، نحن أيضًا سوف... نناور! أيها الكمبيوتر، أي مناورة يمكننا أن نقوم بها؟»

قال الكمبيوتر: «أخشى أن لا شيء يمكن فعله يا رفاق».

قال زيفود: «... أو شيء ما،....»

شرح الكمبيوتر مبتهجًا: «يبدو أنّ هناك شيئًا يشوش أنظمتي التوجيهية، سيحدث تصادم بعد خمس وأربعين ثانية. من فضلك نادني إيدي إذا كان ذلك سيساعدك على الاسترخاء».

حاول زيفود أن يقوم بعدة توجيهات حاسمة ومتساوية في الوقت نفسه. قال: «صحيح! علينا أن نتحكم يدويًا بهذه السفينة».

سأل فورد باستمتاع: «هل يُمكنك الطيران بها؟»

«لا، هل تستطيع؟»

«لا»

«تريليان، هل تستطيعين؟»

«لا».

قال زيفود مسترخيًا: «ممتاز، سوف نفعلها معًا».

قال آرثر الذي شعر بأن الوقت قد حان لكي يبدأ بإثبات نفسه: «لا أستطيع أيضًا».

قال زيفود: «خمنت ذلك، حسنًا، أيها الكمبيوتر، أريد تحكمًا يدويًا كاملًا الآن».

قال الكمبيوتر: «حصلت عليه».

انفتحت لوحات مكتبية عريضة عدة، وانبثقت منها مجموعات من وحدات الحكم، فأغرقت الطاقم بقطع من عبوات **البوليسترين** الموسعة وكرات من السلوفان الملفوف: أدوات التحكم هذه لم تستعمل من قبل قط.

حدق زيفود إليهم بوحشية.

قال: «حسنًا، فورد، دفعة شاملة ذات مفعول رجعي بمقدار عشر درجات نحو ميمنة السفينة. أو شيء ما...»

زقزق الكمبيوتر: «حظًا سعيدًا يا رفاق، سيحدث تصادم بعد ثلاثين ثانية...»

قفز فورد إلى الضوابط، فقط عدد قليل منها كان له معقولية فورية بالنسبة إليه لذا سحبهم. اهتزت السفينة وصرخت فيما حاولت طائرات التوجيه الصاروخية دفعها في كل اتجاه بشكل متزامن. أطلق نصفها ودومت السفينة في قوس محكم وتوجهت عائدة على الطريق الذي جاءت منه مباشرة نحو الصواريخ القادمة.

انتفخت الوسائد الهوائية من الجدران على الفور لحظة اصطدام الجميع بها. لبضع ثوان، أبقتهم قوى العطالة مسطحين يتلوون مقطوعي الأنفاس وعاجزين عن الحركة، ناضل زيفود بيأس جنوني. وأخيرًا ركل بعنف رافعة صغيرة شكلت جزءًا من نظام التوجيه.

طقطقت الرافعة بحركة مفاجئة. انحرفت السفينة بحدة وارتفعت إلى الأعلى. انقذف أفراد الطاقم بعنف إلى مؤخرة المقصورة. اصطدمت نسخة فورد من دليل المسافر إلى المجرة بقسم آخر من وحدة التحكم بالنتيجة المتضامنة التي بدأ الدليل يشرحها لأي مهتم بالاستماع حول أفضل الطرائق لتهريب غدد ببغاء صغير أنتاري من انتارس **قلب العقرب** (إن غدة ببغاء صغير أنتاري عالقة على عصا صغيرة هي كوكتيل مشهي مقزز لكن مرغوب فيه كثيرًا، وغالبًا ما يدفع له أغنياء جدًّا مبالغ كبيرة المال ثمنًا له يرغبون في إثارة إعجاب بُله آخرين أغنياء جدًّا) وسقطت السفينة فجأة من السماء مثل حجر.

بالطبع في هذه اللحظة تقريبًا أصيب عضد أحد أفراد الطاقم بشدة. يجب التأكيد على هذا لأنّهم كما اتضح أنهم أفلتوا من صواريخ نوويّة قاتلة دون أن يصابوا بأذى - بخلاف تلك الإصابة - ودون أن تصاب السفينة نفسها في النهاية. سلامة الطاقم مؤكدة قطعًا.

قال الكمبيوتر: «سيحدث تصادم بعد عشرين ثانية يا رفاق...»

زعق زيفود: «ثم أعاد تشغيل المحركات اللعينة!».

قال الكمبيوتر: «أوه بالتأكيد يا رفاق»، عادت المحركات إلى العمل بهدير مستقر، انبسطت السفينة بسلاسة من غطستها واتجهت نحو الصواريخ ثانية.

بدأ الكمبيوتر يغني.

أنَّ بصوت فيه غنة: «عندما تسير عبر العاصفة...، ارفع رأسك عاليًا...»

صرخ زيفود في وجهه ليخرس، لكن صوته ضاع في صخب ما افترضوا طبيعيًا تمامًا أنه يشير إلى الدمار.

ناح إيدي: «ولا... تخشي..... من الظلمة!»

في الواقع كانت السفينة في وضع مسطح ومقلوبة رأسًا على عقب، أصبح الآن من المستحيل تمامًا لأي واحد من أفراد الطاقم الوصول إلى أنظمة التوجيه.

دندن إيدي: «عند نهاية العاصفة...»

اتضح الصاروخان على الشاشات ضخمين متجهين نحو السفينة.

«...هي سماء ذهبية...»

لكن بفرصة استثنائية لم يكونوا قد صححوا بعد مسار رحلتهم بالكامل إلى مسار عشوائي، ومروا تحت الصاروخين تمامًا.

«وأغنية القبرة الفضية العذبة... سيحدث تصادم بعد خمس عشرة ثانية، يا رفاق... امضوا عبر الرياح...»

انحرف الصاروخان في قوس صارخ واندفعا عائدين إلى ملاحقة السفينة.

قال آرثر وهو يراقبهما: «هذا هو، نحن الآن سنموت بالتأكيد، أليس كذلك؟»

صرخ فورد: «أتمنى أن تتوقف عن قول ذلك»

«حسنًا، سنموت، صحيح؟»

«نعم».

فى إيدي: «امش عبر المطر...»

خطرت فكرة لآرثر. كافح للوقوف على قدميه.

قال: «لماذا لا يشغل أي شخص محرك اللا احتمالية هذا؟ يمكننا على الأرجح أن نفعل ذلك».

قال زيفود: «ماذا؟ هل أنت مجنون؟ دون برمجة مناسبة قد يحدث أي شيء»

صرخ آرثر: «هل هذا يهم في هذه المرحلة؟»

غنى إيدي: «ولو أنّ أحلامك مقذوفة ومطوحة...»

صعد آرثر نحو إحدى القطع الثخينة المثبتة حيث يلتقي انحناء الجدار السقف.

«امش، امش، والأمل في قلبك...»

صرخت تريليان: «هل يعرف أحدكم لماذا لا يستطيع آرثر تشغيل محرك اللا احتمالية؟»

«ولن تمشي وحدك مطلقًا... سيحدث تصادم بعد خمس ثوان، كان عظيمًا التعرف إليكم يا رفاق، ليبارك الله... لن... تسير... وحدك!»

صاحت تريليان: «قلت، هل يعرف أحدكم...»

ثم وقع انفجار مدهش من الصخب والضوء.

18

بعد ذلك واصلت سفينة قلب الذهب طريقها المعتاد، بعد تجديد تصميمها الداخلي ليصبح جذّابًا إلى حدٍ ما. كان أكبر بطريقة ما، ومُنفَّذ بألوان الباستيل الدقيقة المتدرجة من الأزرق والأخضر. يوجد في الوسط درج حلزوني لا يؤدي إلى مكان محدد، حوله مجموعة من النباتات السرخسية وزهور صفراء، وإلى جانبه قاعدة حجرية للقرص الشمسي تضم محطة الكمبيوتر الرئيسة. خلقت الإضاءة المنتشرة ببراعة والمرايا وهم الوقوف في مستنبت زجاجي يطل على حديقة واسعة رائعة التصميم. حول محيط المستنبت الزجاجي انتصبت طاولات رخاميّة السطح على قوائم جميلة ذات تصميم معقد من الحديد المطاوع. عندما تحدق إلى السطح المصقول للرخام تظهر الأشكال المبهمة للآلات، وعندما تمسها تتجسّد الآلات في الحال تحت يديك. بدت المرايا لدى النظر إليها من زوايا صحيحة كأنها تعكس جميع نتائج البيانات المطلوبة ولو أنه لم يكن واضحًا مكان انعكاسها. في الحقيقة كان التصميم جميلًا ومثيرًا.

قال زيفود بيبلوكس وهو مسترخ في كرسي للتشمس مصنوع من الخيزران: «ما الذي حدث بحق الجحيم؟»

قال آرثر الذي كان مستلقيًا بجوار حوض أسماك صغير: «حسنًا، كنت أقول فقط، يوجد هنا مفتاح محرك اللا احتمالية هذا...» وأشار نحو المكان الذي كان فيه. ثمّة نبات في أصيص مكانه الآن.

«لكن أين نحن؟» قال فورد الذي كان جالسًا على درج حلزوني، وفي يده كأس شراب ناسف الغرغرة المجري الشامل باردًا.

قالت تريليان: «بالضبط حيث كنا، أظن...» لما كان كل ما حولهم مرايا، شاهدوا - فجأة - صورة لمنظر ماغرثيا الفاسد الذي لا يزال يندفع تحتهم بقوّة.

قفز زيفود من مقعده.

قال: «إذن، ما الذي حدث للصواريخ؟»

ظهرت في المرايا صورة جديدة ومدهشة.

قال فورد بارتياب: «سوف يظهر أنهما تحولا إلى أصيص بيتونيا وحوت يبدو متفاجئًا جدًّا...».

قاطع إيدي الذي لم يكن قد تغير ولو قليلًا: «عند عامل اللا احتمالية ثمانية ملايين وسبعمئة وسبعة وستون ألفًا ومئة وثمانية وعشرون إلى واحد».

حق زيفود إلى آرثر.

سأل: «هل فكرت بذلك، يا ابن الأرض؟»

قال آرثر: «حسنًا، كل ما فعلته كان...»

«ذلك تفكير ممتاز كما تعلم. شغل محرك اللا احتمالية الثانية دون أن تنشط أول شاشات الصحيح. يا ولد، هل تعلم أنك أنقذت حياتنا للتو؟»

قال آرثر: «أوه، حسنًا، لم يكن شيئًا ذا بال حقًّا...»

قال زيفود: «حقًّا؟ أوه حسنًا، انس الأمر، إذن. حسنًا، أيها الكمبيوتر، خذنا إلى اليابسة».

«لكن...»

«قلت انس الأمر».

كان هناك أمر آخر منسي هو حقيقة أنه رغم جميع الاحتمالات استدعي حوت عنبر فجأة للوجود على مسافة عدة أميال فوق سطح كوكب غريب.

وبما أنّ هذا الموقف لا يمكن الدفاع عنه طبيعيًا بالنسبة إلى حوت، لم يكن لدى هذا المخلوق البريء المسكين سوى القليل من الوقت للتصالح مع هويته بوصفه حوتًا، قبل أن يتصالح مع حقيقة انه لم يعد حوتا بعد الآن.

هذا تسجيل كامل لفكرته من لحظة بدء حياته حتى لحظة إنهائها.

فكر: «آه...! ما الذي يحدث؟

المعذرة، من أنا؟

مرحبًا؟

لماذا أنا هنا؟ ما غرضي في الحياة؟

ما الذي أقصده بقولي من أنا؟

اهدأ، انتظر... أوه! هذا شعور مثير للاهتمام، ما هو؟ إنِّه نوع من... التثاؤب، إحساس بوخز في... في... حسنًا أفترض أنه من الأفضل أن أبدأ بمنح الأشياء أسماء إذا كنت راغبًا في إحراز تقدم في ما سوف أسميه - على سبيل الافتراض - جدالًا، سوف أسمي العالم، لذا أدعوه معدتي.

جيد. أوه، إنِّه يزداد قوة. مهلًا، ماذا عن صوت الهدير والصفير هذا الذي يمرّ فوق ما سوف أدعوه «رأسي» فجأة؟ ربما يمكنني أن أسمي ذلك «الرياح»! هل ذلك اسم جيد؟ إنِّه مقبول... ربما يمكنني العثور له على اسم أفضل لاحقًا عندما أكتشف الغرض منه. لا بد أن يكون شيئًا على قدر كبير من الأهميّة لأنّه يبدو بالتأكيد أنّ هناك الكثير منه. مهلًا! ما هذا الشيء؟ هذا... لندعوه «ذيلًا».. نعم، ذيل. مهلًا! يمكنني حقًّا وصفه جيدًا جدًّا، أليس كذلك؟ مدهش! مدهش! يبدو ذلك عظيمًا؛ لا يبدو أنه يحقق الكثير لكن ربما سوف أكتشف الغرض منه لاحقًا. الآن، هل بنيت أي صورة متماسكة للأشياء بعد؟

لا.

لا يهم، مهلًا، هذا مشوق حقًّا، هناك الكثير للاطلاع عليه، الكثير للتطلع إليه، أنا حائر ومترقب...

أم أنها الريح؟

يوجد حقًّا الكثير من ذلك الآن، أليس كذلك؟

مدهش! مهلًا! ما هذا الشيء القادم نحوي فجأة بسرعة كبيرة؟ بسرعة كبيرة جدًّا. ضخم جدًّا ومسطح ومدور، يحتاج إلى اسم طنان واسع وكبير مثل... م... مدو.... مدور... أرض! هذا هو! هذا اسم جيد، أرض!

أتساءل إذا كان سيصادقني؟»

وما تبقى، بعد ضربة رطبة مفاجئة، كان الصمت.

من الغريب أن الأمر الوحيد الذي دار في ذهن أصيص زهور البيتونيا عندما سقط كان: «أوه لا ليس مرّة أخرى». تكهن الكثير من الناس أنه إذا عرفنا بالضبط السبب الذي دعا أصيص البيتونيا للتفكير في ذلك، لكان بوسعنا أن نعرف أكثر بكثير عن طبيعة الكون مما نعرف الآن.

19

«هل سنأخذ هذا الروبوت معنا؟» قال فورد وهو ينظر بنفور إلى مارفن الذي كان واقفًا في الزاوية في وضعية محدبة خرقاء تحت نخلة صغيرة.

أشاح زيفود ببصره بعيدًا عن شاشات المرآة التي عرضت مشهدًا بانوراميًا للمنظر الطبيعي البائس الذي حطت عليه سفينة قلب الذهب الآن.

قال: «أوه، الأندرويد المصاب بجنون العظمة، نعم، سوف نأخذه».

«لكن ما الذي يفترض بكم أن تفعلوا بروبوت مكتئب مجنون؟»

قال مارفن كما لو أنه يخاطب نعشًا شُغل حديثًا: «أنت تعتقد أنك تواجه مشكلات، ما الذي يفترض بك فعله لو كنت روبوتًا مكتئبًا بجنون؟ لا، لا تكلف نفسك عناء الإجابة على ذلك، أنا أفوقك ذكاء بخمسين ألف مرة ولا أعرف الجواب. يصيبني الصُداع من مجرد محاولة التفكير بمستواك المتدني».

دخلت تريليان - فجأة - من الباب قادمة من مقصورتها.

قالت: «هرب فأراي الأبيضان!».

لم يظهر أي تعبير من القلق العميق والهم على أي من وجهي زيفود.

قال بازدراء: «اللعنة على فأريك الأبيضين».

حدقت تريليان إليه بانزعاج واختفت ثانية.

من المحتمل أن تكون ملاحظتها قد لفتت انتباهًا أكبر لو أنها أدركت عمومًا أن البشر من بين أشكال الحياة الموجودة على كوكب الأرض يأتون في المرتبة الثالثة فقط من حيث الذكاء، بدلًا من المرتبة الثانية (كما كان يعتقد عمومًا من قبل أكثر الملاحظين المستقلين).

«طاب وقتكم، يا فتيان».

كان الصوت مألوفًا ومختلفًا على حدٍ سواء بغرابة. كان يحمل غنَّة أموميّة. أعلن عن نفسه للطاقم عندما وصلوا إلى باب غرفة الضغط التي تسمح لهم بالخروج إلى سطح الكوكب.

نظر بعضهم إلى بعض بحيرة.

شرح زيفود: «إنِّه الكمبيوتر، اكتشفت أن لديه شخصيّة احتياطية، ظننت أنها قد تكون أفضل».

واصل صوت إيدي الجديد: «الآن سوف يكون هذا يومكم الأول على كوكب جديد غريب، لذا أريدكم جميعًا أن تتدثروا مكنونين ودافئين، ولا تعبثوا مع أي وحوش مشاغبة جاحظة العينين».

قرع زيفود بنفاد صبر على البويب.

قال: «آسف، أظن أنه قد يكون من الأفضل أن نخرج بقاعدة منزلقة»

قال الكمبيوتر فجأة: «صحيح! من قال ذلك؟»

قال زيفود محاولًا ألا يغضب: «هل ستفتح المخرج من فضلك أيها الكمبيوتر؟»

أصر الكمبيوتر وهو يختم مغلقًا بضع نقاط الاشتباك: «ليس قبل أن يعترف من قال ذلك».

تمتم فورد: «يا إلهي». تدهور على حاجز وراح يعد حتى العشرة. كان قلقًا جدًّا من أن أشكال الحياة الواعية ستنسى ذات يوم كيفيّة فعل هذا. استطاع البشر عن طريق العد فقط إظهار استقلالهم عن أجهزة الكمبيوتر.

قال إيدي بقسوة: «ها».

بدأ زيفود: «أيها الكمبيوتر».

قاطع إيدي: «أنا أنتظر، يمكنني الانتظار طول اليوم لو استلزم الأمر هذا...»

«أيها الكمبيوتر...» قال زيفود مرّة أخرى وكان يحاول التفكير في شيء من التعقل الفطن ليخضع به الكمبيوتر، وقرر ألا يتجشم عناء منافسته على أرضه، «إذا لم تفتح هذا المخرج في هذه اللحظة سوف أنتقل مباشرة إلى مخازن بياناتك الرئيسة وأعيد برمجتك بأسلوب تعسفي جدًّا، هل فهمت ذلك؟»

توقف إيدي مصدومًا وفكر في هذا.

استمر فورد في العد بهدوء. هذا من أكثر الأمور عدائية التي يمكن أن تفعلها لكمبيوتر، ما يعادل الذهاب إلى بشري والقول له: «دم... دم... دم...

دم...»

قال إيدي بهدوء أخيرًا: «أستطيع أن أرى أنّ هذه العلاقة أمر سيتعين علينا جميعًا العمل عليه» وانفتح الباب الأرضي.

هبت عليهم رياح جليدية، طوقوا أنفسهم وهبطوا السلم على تراب ماغرثيا الأجدب.

صرخ إيدي في إثرهم: «أعرف أن كل شيء سوف ينتهي بالدموع»، وأغلق الباب الأرضي مرّة أخرى.

فتح وأغلق الباب الأرضي ثانية بعد بضع دقائق ردًا على أمر فاجأه كليًا.

20

تجولت خمس شخصيات ببطء على الأرض القاحلة. كانت أجزاء منها رماديّة باهتة اللون، أجزاء أخرى بنية باهتة اللون، البقية أقل إثارة للاهتمام لتنظر إليها. كانت مثل مستنقع جاف، جرداء الآن من كل خضرة، وتغطيها طبقة من الغبار بسمك بوصة واحدة. كان باردًا جدًّا.

كان واضحًا أن زيفود مكتئب حيال ذلك. مشى بمفرده وسرعان ما اختفى خلف ربوة ذات ارتفاع طفيف.

لسعت الرياح عيني آرثر وأذنيه وأحاط الهواء الواهي البالي بحنجرته، مع ذلك فإن عقله كان الأكثر تأثيرًا.

«إنّه ساحر...»، قال، وخشخش صوته في أذنيه. انتقل الصوت برداءة في هذا الجو الواهي.

قال فورد: «حفرة مقفرة، لو أردت رأيي. كان يمكنني الحصول على المزيد من التسلية من فضلات قطة». شعر بانزعاج متزايد من جميع الكواكب في جميع الأنظمة النجمية في أنحاء المجرة كافة.. العديد منها جامحة وغريبة، زاخرة بالحياة. ألم يضطر فقط إلى الظهور عند مكب نفايات مثل هذا بعد خمس عشرة سنة من كونه طريدًا؟ لا ترى ولو بسطة لبيع السجق. انحنى والتقط كتلة من التراب البارد، لكن لم يكن هناك شيء تحتها يستحق اجتياز آلاف السنوات الضوئية للنظر إليه.

أصر آرثر: «لا، ألا تفهم؟ هذه أول مرة أقف فعلًا على سطح كوكب آخر... عالم كامل غريب...! مع ذلك مؤسف أنه مكب للنفايات».

عانقت تريليان نفسها، وارتجفت، وقطبت. كانت لتقسم أنها رأت حركة خفيفة وغير متوقعة بطرف عينها، لكن عندما رمقت بذلك الاتجاه كانت السفينة كل ما استطاعت رؤيته، ساكنة وصامتة، على بعد مئة ياردة خلفهم.

شعرت بالارتياح عندما رأوا بعد ثانية زيفود واقفًا على قمة الربوة يلوح لهم للمجيء والانضمام إليه.

بدا أنه منفعل لكن لم يتمكنوا من سماع ما يقوله بوضوح بسبب الغلاف الجوي الرقيق والرياح.

عندما اقتربوا من حافة الأرض المرتفعة أدركوا أنها بدت حفرة دائرية بعرض قرابة مئة وخمسين ياردة. كانت الأرض المنحدرة حول الجزء الخارجي للدائرة ملطخة بكتل سوداء وحمراء. توقفوا ونظروا إلى قطعة رطبة، مطاطية.

برعب أدركوا فجأة أنه لحم حوت طازج.

التقوا زيفود عند أعلى حافة الفوهة.

قال: «انظروا» مشيرًا إلى فوهة الحفرة.

في المركز تمددت جيفة متفجرة لحوت عنبر وحيد، لم يعش طويلًا بما يكفي ليصاب بخيبة أمل من حظه. كان الصمت مقطوعًا فقط بالتشنجات الخفيفة اللا إرادية لحلق تريليان.

تمتم آرثر: «أفترض أنه لا فائدة ترجى من محاولة دفنه؟» ثم تمنى لو أنه لم يقل ذلك.

قال زيفود: «تعالوا» وبدأ النزول إلى الحفرة.

قالت تريليان بنفور قاس: «إلى أين؟ هناك؟»

قال زيفود: «نعم، تعالوا، لديَّ شيء أود أن أريكم إياه».

قالت تريليان: «يمكننا رؤيته».

قال زيفود: «ليس ذلك، هناك شيء آخر. تعالي»

ترددوا جميعهم.

أصر زيفود: «تعالوا، لقد وجدت طريقًا إلى الداخل».

قال آرثر مرعوبا: «الداخل؟»

«إلى داخل الكوكب؛ ممر تحت أرضي. قوة ارتطام الحوت صدعته، وهذا هو المكان حيث يجب علينا الذهاب. حيث لم يخط رجل خلال الخمس ملايين سنة في أعماق الزمن نفسه...»

بدأ مارفن دمدمته الساخرة ثانية.

ضربه زيفود فخرس.

بقليل من قشعريرة التقزز تبعوا جميعهم زيفود على المنحدر نحو الحفرة، محاولين بشدة تجنب النظر إلى سببها التعس.

قال مارفن بحزن: «الحياة، ارغب فيها أو تجاهلها، لكنك لن تستطيع أن تحبها».

كانت الأرض قد انهارت من الداخل حيث ضربها الحوت، كاشفة شبكة من الممرات والأروقة التي أصبح معظمها الآن مسدودًا بسبب الحطام المنهار والأحشاء. كان زيفود قد بدأ يشق طريقًا في أحدها، لكن مارفن كان قادرًا على فعل ذلك سريعًا. اندفع هواء رطب من أعماقها المعتمة وعندما شغل زيفود كشافًا كان القليل مرئيًا في العتمة المغبرة.

قال: «وفقًا للأساطير، عاش الماغرثييون معظم حياتهم تحت الأرض».

قال آرثر: «لماذا؟ هل أصبح السطح شديد التلوث أو مزدحمًا؟»

قال زيفود: «لا، لا أظن ذلك. أظن أنهم لم يحبوه كثيرًا».

قالت تريليان وهي تحدق بعصبية في الظلمة: «هل أنت واثق بأنك تعرف ماذا تفعل؟ لقد هوجمنا مرة كما تعلم».

«انظري يا بنية، أعدك أن عدد السكان الأحياء في هذا الكوكب يساوي الصفر، فضلًا عنا نحن الأربعة، لذا هيا لندخل هناك. يا ابن الأرض...».

قال آرثر: «اسمي آرثر».

«نعم، هل يُمكنك فقط أن تبقي هذا الروبوت معك وتحرس هذا الطرف من الممر، حسنًا؟»

قال آرثر: «أحرس؟ مِمَّ؟ قلت للتو أنه لا يوجد أحد هنا».

قال زيفود: «نعم حسنًا، فقط من أجل الأمان، حسنًا؟»

«أمانك أم أماني؟»

«أنت فتي صالح. حسنًا، لنبدأ من هنا».

اندفع زيفود في الممر، يتبعه كل من تريليان وفورد.

اشتكى آرثر: «حسنًا، آمل أن تحظوا جميعًا بوقت بائس حقًّا».

طمأنه مارفن: «لا تقلق، سوف يفعلون».

اختفوا خلال بضع ثوان عن مرمى النظر.

ضرب آرثر الأرض برجله غضبًا، ثم قرر أن مقبرة حوت ليست مكانًا جيدًا عمومًا لتضرب الأرض برجلك حولها.

نظر إليه مارفن بحقد للحظة، ثم انطفأ.

سار زيفود بسرعة في الممر، متوترًا حد الجحيم، لكنه حاول إخفاء توتره بتوسيع خطاه عازمًا. طوح بشعاع الكشاف حول المكان. كانت الجدران مغطاة ببلاط غامق اللون، وباردة عندما تمسها، الهواء كثيف بالتعفن.

قال: «انظروا ماذا قلت لكم؟ كوكب مسكون. ماغرثيا». واتسعت خطاه عبر التراب والحطام المتناثر على الأرضيات المبلطة.

كانت تريليان مرغمة على تذكر مترو أنفاق لندن، ولو أنه كان أقل قذارة كثيرًا.

بين حين وآخر على طول الجدران، أفسح البلاط المجال لفسيفساء عريضة، أنماط بسيطة حادة الزوايا بألوان ساطعة. توقفت تريليان وتفحصت واحدة منها، لكنّها لم تستطع أن تستخلص منها أي معنى. نادت زيفود.

«هل لديك أدنى فكرة عما تكون هذه الرموز الغريبة؟»

قال زيفود وهو بالكاد ينظر إلى الخلف: «أظن أنها مجرد رموز غريبة من نوع ما».

هزَّت تريليان كتفيها وأسرعت خلفه.

من حين إلى آخر، أدى باب إما إلى اليسار أو إلى اليمين، إلى حجرات صغيرة اكتشف فورد أنها مملوءة بكمبيوترات عدة مهجورة. جرَّ زيفود إلى واحدة ليلقي بنظرة. تبعتهما تريليان.

قال فورد: «انظر، أنت تقول أنّ هذا كوكب ماغرثيا...»

قال زيفود: «نعم، لقد سمعنا الصوت، صحيح؟»

«حسنًا، إذن لقد صدقت الآن حقيقة أنه ماغرثيا. لكنك لم تقل حتى الآن شيئًا عن كيفيّة العثور عليه في المجرة. من المؤكد أنك لم تعثر عليه في أطلس للنجوم».

«البحث. أرشيفات الحكومة. التحري. بعض التخمينات المحظوظة. أمر سهل».

«ثم سرقت قلب الذهب لتأتي وتبحث عنه بواسطتها؟»

«سرقتها لأبحث عن أشياء كثيرة».

قال فورد متفاجئًا: «أشياء كثيرة؟ مثل ماذا؟»

«لا أعرف».

«ماذا؟»

«لا أعرف عما أبحث».

«لم لا؟»

«لأني... لأني... أظن أن السبب قد يكون لأني لو عرفتها لما كنت قادرًا على البحث عنها».

«أنت مجنون؟»

قال زيفود بهدوء: «إنّه احتمال لم أستبعده بعد، أنا فقط أعرف عن نفسي بقدر ما يستطيع عقلي العمل في ظل شروطه الحالية. وشروطه الحالية ليست جيدة».

الوقت طويل لم يقل أحد شيئًا عندما حدَّق فورد إلى زيفود فجأة بقلق.

قال فورد أخيرًا: «اسمع يا صديقي القديم، إذا تريد آن...»

قال زيفود: «لا، انتظر... سوف أقول لك شيئًا، أنا أنطلق بحرية كثيرًا. تخطر لي فكرة لفعل شيء ما، ولم لا أفعله؟ أفكر أني سأصبح رئيسًا للمجرة، إنّه أمر سهل. أقرر سرقة هذه السفينة. أقرر البحث عن ماغرثيا، أفعل كل ما سبق. نعم، أعرف كيف يمكن فعل ذلك على أفضل وجه، صحيح، أنجح دومًا. يشبه الأمر امتلاك بطاقة مصرفية غالاكتيكريدت تستمر بالعمل على الرغم من عدم إرسال الشيكات المصرفية مطلقًا. ثم كلما أتوقف وأفكّر لماذا أردت فعل شيء ما؟ كيف عرفت كيفيّة فعله؟ تنتابني رغبة قوية جدًّا بالتوقف عن التفكير في الأمر فحسب. كما يحدث لي الآن. إن الحدث عن ذلك يستلزم جهدًا كبيرًا».

توقف زيفود مؤقتًا. ساد الصمت إلى حين. ثم قطب وقال: «كنت ليلة الأمس قلقًا بهذا الشأن مرّة أخرى. حول حقيقة أن جزءًا من عقلي فقط لم

يبد أنه يعمل صحيحًا. ثم خطر لي أن الطريقة التي بدا لي بها كانت أن شخصًا آخر يستعمل عقلي للحصول على أفكار جيده، دون أن يخبرني بهذا. وضعت الفكرتين معًا وقررت أنه ربما أقفل أحدهم جزءًا من عقلي لذلك الغرض الذي بسببه لم أستطع استعمال عقلي. تساءلت إن كان هناك طريقة تمكنني من التحقق. ذهبت إلى حجيرة السفينة الطبية ووصلت نفسي بشاشة تخطيط الدماغ. مررت عبر كل اختبار فحص رئيس لرأسي الاثنين؛ جميع الاختبارات التي كان على القيام بها تحت إشراف موظفين طبيين تابعين للحكومة قبل أن يتم المصادقة على ترشيحي للرئاسة على نحو مناسب لم تظهر شيئًا، لا شيء غير متوقّع على الأقل، أظهرت أني ذكي، صاحب مخيلة، غير مسؤول، غير موثوق به، بسيط، لا شيء لم تكن لتخمنه، وما من انحرافات أخرى. لذا بدأت أبتكر اختبارات إضافية بشكل عشوائي تمامًا. لا شيء. ثم حاولت تركيب نتائج أحد رأسي بنتائج الرأس الآخر، مع ذلك، لا شيء. أخيرًا صرت سخيفًا لأني كنت سأتخلى عن كل شيء على أنه ليس أكثر من نوبة جنون عظمى. الأمر الأخير الذي فعلته قبل أن أتوقف هو أني التقطت صورة متراكبة ونظرت إليها من خلال مرشح أخضر. ألا تتذكر أني كنت دومًا مهووسًا باللون الأخضر عندما كنت صغيرًا؟ أني لطالما أردت أن أصبح طيارًا في إحدى الجولات الكشفية التجارية؟»

أومأ فورد.

قال زيفود: «وكان هناك واضحًا وضوح الشمس. قسم كامل في منتصف كل من الدماغين تعلق بعضهما ببعض فقط وليس بأي شيء آخر من حولهما. ثمّة نذل كوى جميع المشابك وصدم إلكترونيًا كتلتي المخيخ هاتين»

حدق فورد إليه مذعورًا. شحب لون تريليان.

همس فورد: «شخص ما فعل ذلك بك؟»

«نعم».

«لكن هل تعرف من هو؟ أو لماذا فعل ذلك؟»

«لماذا؟ لا يمكنني إلا أن أخمن. لكن أعرف من كان النَّذل».

«تعرف؟ كيف تعرف؟»

«لأنّه ترك الأحرف الأولى من اسمه مدموغة على المشابك العصبية المكونية. تركها هناك لأراها».

حدق فورد إليه مرعوبًا، وشعر بأن جلده بدأ يقشعر.

«الأحرف الأولى؟ مدموغة على دماغك؟»

«نعم».

«حسنًا، ما الأحرف بحق الله؟»

نظر زيفود نحوه بصمت مرّة أخرى للحظة. ثم أشاح بصره.

قال بهدوء: «ز. ب».

في تلك اللحظة صفق مصراع فولاذي بعنف خلفهم وبدأ الغاز يتدفق في الحجرة.

«سوف أخبرك بذلك لاحقًا»، اختنق زيفود عندما أغمي على الثلاثة جميعًا.

21

تجول آرثر على سطح كوكب ماغرثيا مكتئبًا.

كان فورد قد ترك له متأملًا نسخته من كتاب **دليل المسافر إلى المجرة** كي يزجي الوقت معه. ضغط على بضعة أزرار عشوائيًا.

دليل المسافر إلى المجرة كتاب محرر بمستويات متفاوتة جدًّا، ويحتوي على الكثير من الفقرات التي بدت لمحرريها ببساطة كأنها جيدة آنذاك.

من المفترض أن واحدة منها (التي صادفها آرثر الآن) تحكي تجارب فيت فوجاجيغ، وهو طالب شاب في جامعة ماكسيمغالون، جد في طلب سيرة أكاديمية لامعة، يدرس فقه اللغة القديمة، والأخلاق التحويلية، ونظرية الموجة التوافقية للملاحظة التاريخية، ثم بعد ليلة من احتساء عدة كؤوس من مشروب ناسف الغرغرة المجري الشامل مع زيفود بيبلبروكس، ازداد هوسه باطراد بمسألة مصير جميع أقلام الحبر الجاف التي اشتراها خلال السنوات القليلة الماضية.

وتبع ذلك فترة طويلة من البحث المضني زار خلالها جميع مراكز جمع أقلام الحبر الجاف المفقودة عبر المجرة. وفي النهاية، توصل إلى نظرية صغيرة وطريفة لفتت انتباه الجمهور في ذلك الحين. قال إنّه في مكان ما في النظام الكوني، إلى جانب جميع الكواكب المأهولة بأشباه البشر، أشباه الزواحف، أشباه الأسماك، الأشجار السائرة، ودرجات فائقة الذكاء من اللون الأزرق، كان يوجد أيضًا كوكب ممنوح بالكامل لأشكال حياة أقلام الحبر الجاف. كان هذا الكوكب هو المكان الذي ستشق أقلام حبر جاف مهملة طريقها إليه، منفلتة بهدوء عبر المسالك الدوديّة في الفضاء إلى عالم عرفت أن بوسعها أن تتمتع فيه بأسلوب حياة حبري فريد، مستجيبة إلى محفزات موجهة إلى أقلام الحبر بشكل مرتفع، وتعيش عمومًا المعادل الحبري للحياة الجيدة.

وكما تقول النظريات، كان هذا ممتازًا جدًّا وممتعا إلى أن ادعى **فيت فوجاجيغ** فجأة أنه عثر على هذا الكوكب، وأنه عمل هناك مدة من الوقت سائق سيارة ليموزين لدى عائلة من الأشياء الخضراء الرخيصة القابلة للسحب، وعندئذٍ ألقي القبض عليه، سُجن، وألف كتابًا، وأُرسل أخيرًا إلى

منفى ضريبي، وهو عادة المصير المعتاد المخصص لهؤلاء الذين عقدوا العزم على جعل أنفسهم موضع سخرية في الأماكن العامة.

، عندما أرسلت ذات يوم بعثة إلى الإحداثيات المكانية التي ادعى فوجاجيغ أنها لهذا الكوكب، اكتشفوا كويكبًا صغيرًا فقط يسكنه رجل عجوز وحيد ادعى مرارًا وتكرارًا أن شيئًا لم يكن صحيحًا، ولو أنه اُكتشف لاحقًا أنه كان يكذب.

ومع ذلك بقي السؤال عن كل من مبلغ الستين ألف دولار نسري المدفوع سنويًا في حسابه المصرفي البرانتيسفوغاني، وبالطبع عن تجارة زيفود بيبلروكس المربحة جدًّا في أقلام الحبر الجاف المستعملة.

قرأ آرثر ما سبق ووضع الكتاب جانبًا.

كان الروبوت لا يزال جالسًا هناك خاملًا تمامًا.

نهض آرثر ومشى نحو قمة الحفرة. مشى حول الحفرة. راقب شمسين تغربان ببهاء فوق ماغرثيا.

عاد إلى الحفرة. أيقظ الروبوت لأن حتى التحدّث إلى روبوت مكتئب بجنون أفضل من لا شيء.

قال: «الليل يهبط، انظر، أيها الروبوت، النجوم تظهر».

من قلب سديم قاتم يمكن رؤية عدد قليل من الجوم، رؤية شاحبة لكنّها كانت مرئية.

نظر الروبوت نحوها طائعًا، ثم أشاح ببصره.

قال: «أعلم، بائسة، أليست كذلك؟»

«لكن ذلك الغروب! لم أر مثيلًا له في أكثر أحلامي جموحًا... الشمسان! لقد كانتا مثل جبال من النار تغلي في الفضاء».

قال مارفن: «لقد رأيته، إنِّه هراء»..

لاحظ آرثر: «نحن لم يكن لدينا سوى شمس واحدة، أتيت من كوكب يدعى الأرض كما تعلم».

قال مارفن: «أعلم، توقف عن التحدّث عنه. يبدو مريعًا».

«آه لا، كان مكانًا جميلًا».

«هل كان فيه محيطات؟»

قال آرثر متنها: «أوه نعم، محيطات زرقاء عظيمة واسعة متدحرجة...».

قال مارفن: «لا أستطيع احتمال المحيطات».

استفسر آرثر: «أخبرني، هل تتعامل جيدًا مع الروبوتات الأخرى؟»

قال مارفن: «أكرههم، إلى أين نحن ذاهبون؟»

لم يستطع آرثر تحمل المزيد فنهض من جديد.

قال: «أظن أني سأذهب في نزهة أخرى».

قال مارفن: «لا ألومك»، وعد خمسمئة وسبعة وتسعين ألف مليون خروف قبل أن يغط في النوم مرّة أخرى بعد ثانية واحدة.

قذف آرثر بذراعيه حول نفسه محاولة منح دورته الدموية بعض الحماس الإضافي. مشي بتعنٍ عائدًا نحو جدار الحفرة.

كان هبوط الليل سريعًا جدًّا، لرقة الغلاف الجوي البالغة، ولعدم وجود قمر، وكانت الظلمة شديدة الآن. من جراء هذا عمليًا اصطدم آرثر بالرجل المسن قبل أن يلاحظ وجوده.

22

كان يقف مديرًا ظهره لآرثر، يشاهد بصيص الضوء الأخير يغرق في الواد خلف الأفق. كانت قامته تميل إلى الطول، مسنًا، ويرتدي ثوبًا رماديًا طويلًا. عندما التفت إليه، كان نحيلًا ومميزًا، مغتما لكن لا يفتقر إلى اللطف، وجه من النوع الذي قد يسرك التواصل معه، لكنه لم يلتفت بعد، ليس حتى ليجيب على صيحة آرثر المتفاجئة.

في النهاية تلاشت أشعة الشمس الأخيرة تمامًا والتفت. كان وجهه لا يزال منارًا من مكان ما، وعندما بحث آرثر عن مصدر الضوء، رأى مركبة صغيرة تقف على بعد بضعة ياردات، حوامة صغيرة، خمن آرثر. ألقت من حولها بركة خافتة من الضوء.

نظر الرجل إلى آرثر بحزن كما بدا.

قال: «اخترت ليلة باردة لتزور كوكبنا الميت».

تلعثم آرثر: «من... من أنت؟»

أشاح الرجل ببصره. بدا مرّة أخرى كما لو أنّ نظرة حزن تعبر وجهه.

قال: «اسمي ليس مهمًا».

بدا أنه مستغرق في التفكير في أمر ما. كان من الواضح أن المحادثة شيء شعر بأنه ليس عليه الإسراع نحوه. شعر آرثر بالحرج.

قال بطريقة عرجاء: «أنا... لقد أجفلتني...»

نظر الرجل نحوه مرّة أخرى ورفع حاجبيه قليلًا.

قال: «هممم؟»

«لقد قلت إنك أجفلتني».

«لا تجزع، لن أوذيك»

تجهم آرثر وقال: «لكنك أطلقت النار علينا! كان هناك صواريخ..»

حدق الرجل في جوف الحفرة. رمى الوهج الخفيف من عيني مارفن بظلال حمراء خفيفة جدًّا على جيفة الحوت الضخمة.

قهقه الرجل قليلًا.

قال: «هذا نظام آلي»، وأطلق تنهيدة طفيفة «انبسطت أجهزة كمبيوتر قديمة في أحشاء الكوكب تقضي الألفية القاتمة، والزمان يتدلى ثقيلًا على بنوك المعلومات المترية. أظن أنهم يطلقون طلقات عرضية بين الحين والآخر للتخلص من الرتابة».

نظر بوقار نحو آرثر وقال: «أنا من أشد المعجبين بالعلم، كما تعلم».

«أوه... حقًّا؟» قال آرثر الذي بدأ يجد سلوك الرجل المثير للفضول اللطيف محرجًا.

«أوه نعم». قال الرجل المسن، وببساطة توقف عن الكلام ثانية.

«آه»، قال آرثر، كان لديه شعور غريب بأنه مثل رجل يرتكب المعصية يتفاجأ لدى دخول زوج المرأة الغرفة، يغير بنطاله، يمرر عدة ملاحظات تافهة عن الطقس، ويغادر ثانية.

قال الرجل المسن بقلق مهذب: «تبدو غير مرتاحًا».

«لا... حسنًا، نعم. في الحقيقة، لم نكن نتوقع حقًّا العثور على أي شخص. استنتجت أنكم جميعًا موتى أو شيء ما...».

قال الرجل المسن: «موتى؟ ليتلطف الله بي، لا، لقد نمنا».

قال آرثر مستريبًا: «نمتم؟»

«نعم، في أثناء الركود الاقتصادي، كما ترى».

قال الرجل المسن، غير مبالٍ فيما يبدو ما إذا فهم آرثر كلمة مما كان يقوله، أم لم يفهم.

ينبغي لآرثر أن يحثه ثانية.

«ركود اقتصادي؟»

«حسنًا، قبل خمسة ملايين سنة انهار اقتصاد المجرة، وبالنظر إلى أن الكواكب المصنعة خصيصًا هي شيء من السلع الكمالية، كما ترى...»

توقف ونظر نحو آرثر.

سال بوقار: «أنت تعلم أننا كنا نبني الكواكب، صحيح؟»

قال آرثر: «حسنًا نعم، استنتجت ذلك تقريبًا...».

«تجارة ساحرة»، قال الرجل المسن، وظهرت في عينيه نظرة حزينة، «كان صنع السواحل دومًا الأثير عندي. اعتدت الحصول على متعة لا نهائية خلال صنع القطع الصغيرة في الفيوردات البحرية... وهكذا بأي حال»، قال وهو يحاول العثور على حبل أفكاره ثانية «جاء الركود وقررنا أننا لو نمنا فقط خلاله سنوفر الكثير من الإزعاج. لذا برمجنا أجهزة الكمبيوتر كي توقظنا عندما ينتهي كل شيء».

خنق الرجل تثاؤبًا خفيفا جدًّا وواصل.

«كانت أجهزة الكمبيوتر متصلة بمؤشر أسعار سوق أوراق المجرة المالية كما ترى، بحيث تُحيا جميعًا بعدما يكون الجميع قد أعادوا بناء الاقتصاد بما يكفي لتحمل تكاليف خدماتنا الباهظة الثمن إلى حدٍ ما».

كان آرثر، وهو قارئ منتظم لصحيفة الغارديان، مصدومًا عميقًا بهذا.

«هذه طريقة غير سارة أبدًا، أليس كذلك؟»

سأل الرجل المسن برقة: «حقًّا؟ أنا آسف، أنا غير واقعي بعض الشيء»

أشار إلى الحفرة.

قال: «هل ذلك الروبوت لك؟»

جاء صوت نحيل معدني من الحفرة: «لا، أنا ملك ونفسي».

تمتم آرثر: «لو سميته روبوتًا، إنّه نوع من آلة إلكترونية عبوس».

قال الرجل المسن: «اجلبه»، كان آرثر متفاجئًا تمامًا عند سماعه نبرة قرار تظهر فجأة في صوت الرجل المسن. نادى مارفن الذي صعد المنحدر ببطء متظاهرًا بالعرج، ولم يكن كذلك.

قال الرجل المسن: «بعد إعادة النظر، من الأفضل أن تدعه هنا. يجب أن تأتي معي. تجري أشياء عظيمة بهمة كبيرة». التفت نحو مركبته التي على الرغم من أنها لم تعط إشارة واضحة، انجرفت الآن عبر الظلام بهدوء نحوهما.

نظر آرثر نحو مارفن الذي صنع الآن عرضًا كبيرًا مساويًا من الاستدارة بكدح والمشي بجهد في الحفرة ثانية متمتمًا بحنق بينه وبين نفسه.

نادى الرجل المسن: «تعال، تعال الآن أو سوف تتأخر».

قال آرثر: «أتأخر على ماذا؟»

«ما اسمك أيها الإنسان؟»

قال آرثر: «دنت. آرثر دنت».

«متأخر، كما في دنت آرثر دنت الأخير» قال الرجل المسن بقسوة: «إنَّه من قبيل التهديد كما ترى». ظهرت نظرة حزينة أخرى في عينيه المسنتين المتعبتين. «لم أكن يومًا جيدًا جدًّا معهم، لكن قيل لي أنهم قد يكونون ناجعين جدًّا».

طرف آرثر نحوه.

تمتم لنفسه: «يا له من شخص استثنائي»

قال الرجل المسن: «أستميحك عذرًا؟»

قال آرثر محرجًا: «أوه، لا شيء، أنا آسف، لا بأس، إلى أين نذهب؟»

«في سيارتي الطائرة»، قال الرجل مومئًا إلى آرثر لدخول السيارة التي حطت بصمت قربهما. «نحن ذاهبان عميقًا في أحشاء الكوكب حيث لا يزال عرقنا حتى الآن يُبعث من سباته الذي دام خمسة ملايين عام. ماغرثيا يستيقظ».

ارتجف آرثر وهو يجلس قرب الرجل المسن. كدرته غرابة الموقف، والاهتزاز الصامت للمركبة عندما حامت في سماء الليل.

نظر إلى الرجل المسن، وجهه مضاء بالوهج الرتيب للمصابيح الصغيرة على لوحة العدادات.

قال له: «المعذرة، ما اسمك؟»

«اسمي؟» قال الرجل المسن وظهر الحزن البعيد نفسه على وجهه مرّة أخرى. توقف. قال: «اسمي... سلا رتيبارتفاست».

اختنق آرثر.

تمتم قائلًا: «أستميحك عذرًا؟»

كرر الرجل المسن بهدوء: «سلارتيبارتفاست».

«سلارتيبارتفاست؟»

نظر الرجل المسن نحوه بجديّة.

قال: «قلت إنِّه ليس مهمًا».

تهادت السيارة الطائرة عبر الليل.

23

من الحقائق المهمة والشائعة أن الأشياء ليست دومًا كما تبدو. على سبيل المثال، افترض الإنسان على كوكب الأرض دومًا أنه أكثر ذكاء من الدلافين لأنّه فعل الكثير، اكتشف العجلة، بنى نيويورك، شن الحروب، وهلمَّ جرا، بينما كان ما فعلته جميع الدلافين التسكع في المياه، والاستمتاع بوقتها الجميل. لكن بالمقابل، آمنت الدلافين على الدوام أنها أكثر ذكاء من الإنسان للأسباب نفسها بالضبط.

على نحو مثير للفضول، كانت الدلافين منذ مدة طويلة على علم بأمر الهدم المحتوم لكوكب الأرض وقد بذلت من المحاولات الكثير لتنبيه البشريّة إلى الخطر، لكن معظم اتصالاتها أسيء تفسيرها، على أنها محاولات مسلية لضرب كرات القدم، أو التصفير طلبًا لفتات الطعام الشهي، لذا استسلموا أخيرًا وغادروا الأرض بوسائلهم الخاصّة قبل وقت قصير من وصول الفوغون.

كانت آخر رسالة من الدلافين فسرت خطأ على أنها محاولة مفاجئة معقدة للقيام بشقلبة مزدوجة إلى الخلف عبر طوق في أثناء تصفير لحن النشيد الوطني الأمريكي، لكن في الحقيقة كانت الرسالة: «وداعًا، وشكرًا على جميع الأسماك».

في الحقيقة، كان هناك نوع واحد فقط على الكوكب أكثر ذكاء من الدلافين، وقد أمضوا الكثير من وقتهم في مختبرات الأبحاث السلوكية وهم يدورون في عجلات، ويجرون تجارب دقيقة وممتازة ومخيفة على الإنسان. أمّا حقيقة أن الإنسان أخطأ مرّة أخرى بالكامل تفسير هذه العلاقة، فقد كان ذلك مخطط تلك المخلوقات من الأصل.

24

توغلت السيارة الطائرة بصمت عبر الظلام البارد، كان بصيص ضوء مفرد خافت وحيدًا تمامًا في ليل ماغرثيا السحيق. انطلقت بسرعة. بدا رفيق آرثر غارقًا في أفكاره، وعندما حاول آرثر في أكثر من مناسبة أن يتجاذب معه أطراف الحديث، كان يجيب مرّة أخرى ببساطة بالسؤال عما إذا كان مرتاحًا كما يجب، ثم يكتفي بذلك القدر.

حاول آرثر قياس السرعة التي يسافران بها، لكن السواد في الخارج كان تامًا ولم يستطع أن يرى أي نقاط مرجعية. كان الإحساس بالحركة خافتًا جدًّا وخفيفًا فلم يكد يصدّق تقريبًا أنهما يتحركان على الإطلاق.

ثم ظهر بصيص ضوء صغير في البعيد، وفي غضون ثوان ازداد حجمه كثيرًا، حتى أن آرثر أدرك أنه كان يتجه نحوهما بسرعة جسيمة، وحاول تحديد أي نوع من المركبات قد يكون. حدق إليه لكنه لم يستطع تمييز أي شكل واضح. وفجأة، لهث مذعورًا عندما انحدرت السيارة الطائرة بحدة وتوجهت نحو الأسفل فيما بدا أنه مسار تصادم بالتأكيد. بدت سرعة تحركهما النسبية غير معقولة، ولم يكن لدى آرثر الوقت الكافي لالتقاط أنفاسه قبل انتهاء كل شيء. كان الأمر التالي الذي أدركه غشاوة فضية مجنونة بدت تحيط به. التفت بحدة ورأى نقطة صغيرة سوداء تتضاءل بسرعة في البعيد خلفهما، ولم يدرك ما حدث إلا بعد مرور عدة ثوان.

كانا قد اندفعا في نفق في الأرض. كانت السرعة الهائلة سرعتهما بالنسبة إلى وهج الضوء الذي كان فجوة ثابتة في الأرض، فوهة النفق. كانت الغشاوة الفضية المجنونة هي الجدار الدائري للنفق الذي كانا يندفعان فيه فيما يبدو بسرعة عدة مئات من الأميال في الساعة.

أغمض عينيه مرعوبًا.

بعد مدة من الوقت لم يقدم فيها على أي محاولة للحكم عليه، أحسّ بهمود طفيف في السرعة، لاحقًا بعد حين أدرك أنهما كانا ينزلقان تدريجيًا إلى توقف ناعم.

فتح عينيه مرّة أخرى. كانا لا يزالان في النفق الفضي ينظمان وينسجان طريقهما عبر ما بدا أنها أرض متقاطعة من الأنفاق المتقاربة. عندما توقفا أخيرًا حدث هذا في حجرة صغيرة من فولاذ مقوس. كانت عدة أنفاق أيضًا تنتهي هنا، وعند طرف الحجرة القصي استطاع آرثر أن يرى حلقة كبيرة من الضوء الخافت المزعج. كان مزعجًا لأنّه غشي الأعين، كان مستحيلًا التركيز عليه تمامًا أو معرفة مدى قربه أو بعده. خمن آرثر (تخمينًا خاطئًا تمامًا) أنه قد يكون أشعة فوق البنفسجية.

التفت سلارتيبارتفاست ونظر إلى آرثر بعينيه المسنتين الوقورتين.

قال: «يا ابن الأرض، نحن الآن في أعماق قلب ماغرثيا».

سأل آرثر: «كيف عرفت أني واحد من أبناء الأرض؟»

قال الرجل المسن بلطف: «سوف تتضح هذه الأمور لك، على الأقل»، أضاف ونبرة شك خفيفة تشوب صوته: «ستصير أوضح مما هي عليه في هذه اللحظة».

واصل: «يجب علي أن أحذرك من أن الحجرة التي نحن على وشك الدخول إليها لا توجد حرفيًا ضمن كوكبنا. إنها كبيرة... بعض الشيء. نحن على. وشك أن نمر عبر بوابة إلى بقعة شاسعة من الفضاء الفائق. ربما قد تزعجك».

أثار آرثر ضوضاء عصبية.

لمس سلارتيبارتفاست زرًا وأضاف - غير مطمئن كليًا -: «إنها تصيبني بانفعال شديد. تماسك جيدًا».

انطلقت السيارة إلى الأمام مباشرة في دائرة الضوء. وفجأة، امتلك آرثر فكرة واضحة إلى حدٍ ما عن شكل اللا نهاية.

لم تكن لا نهاية في الحقيقة. اللا نهاية نفسها تبدو مسطحة ومضجرة. النظر إلى الأعلى في سماء الليل هو النظر في اللا نهاية، المسافة غير مفهومة ومن ثم عديمة المعنى. الحجرة التي انبثقت فيها السيارة الطائرة كانت أي شيء سوى اللا نهاية، كانت فقط كبيرة جدًّا، كبيرة جدًّا حتى أنها تمنح انطباعًا باللا نهاية أفضل بكثير من اللا نهاية نفسها.

تمايلت حواس آرثر وامتدت عندما كانا يسافران بالسرعة الهائلة التي عرف أن السيارة الطائرة بلغتها، صعدا ببطء عبر الهواء الطلق تاركين البوابة التي كانا قد مرَّا من خلالها، ثقبًا غير مرئي في الجدار الوامض خلفهما.

الجدار.

تحدى الجدار الخيال، أغواه وهزمه. كان الجدار رحيبًا جدًّا وصاعقًا وشفافًا، حتى أن قمته وأسفله وجوانبه رحلت كلها بعيدًا عن مرمى البصر. الصدمة من الدوار فحسب قد تقتل رجلًا.

بدا سطح الجدار مستويًا تمامًا. قد يتطلب الأمر أفضل معدات قياس الليزر لتتبع استواء سطحه في أثناء صعوده إلى اللا نهاية في ما يبدو، وفي أثناء نزوله بسرعة، وفي أثناء انبساطه على كلا الجانبين، انحنى أيضًا. لاقى نفسه مرّة أخرى بعد ثلاث عشرة ثانية ضوئية. بكلمات أخرى شكل الجدار الجزء الداخلي من جسم كروي أجوف، كرة يزيد عرضها عن ثلاثة ملايين ميل ويغمرها ضوء لا يمكن تخيّله.

«مرحبًا»، قال سلارتيبارتفاست عندما زحفت البقعة الصغيرة التي كانت السيارة الطائرة، تسافر الآن بسرعة تعادل ثلاثة أضعاف سرعة الصوت، إلى الأمام بشكل لا يكاد يكون ملحوظًا، نحو الفضاء المدهش، قال: «مرحبًا بك على أرض معملنا».

حدق آرثر حوله بشيء من الرعب الغريب. كانت تمتد أمامهم مسافات لم يستطع أن يقدرها أو يخمنها حتى، سلسلة من معلقات غريبة، زخرفات دقيقة من المعدن والضوء تتدلى حول أشكال كروية ظليلة معلقة في الفضاء.

قال سلارتيبارتفاست: «هنا حيث نصنع معظم كواكبنا كما ترى».

قال آرثر محاولًا صياغة الكلمات: «أنت تقصد، تقصد أنكم ستشغلون معملكم مرّة أخرى الآن؟».

هتف الرجل المسن: «لا لا، بحق السماء لا، المجرة ليست غنية كفاية لدعمنا حتى الآن. لا، لقد أوقظنا لأداء عمل استثنائي واحد من أجل عملاء مميزين جدًّا من بعد آخر. قد يثير اهتمامك... هناك في البعيد أمامنا»..

تبع آرثر إصبع الرجل المسن إلى أن تمكّن من تحديد الهيكل العائم الذي كان يشير إليه. كان بالفعل - من بين الكثير من الهياكل - الوحيد الذي أوحى بإشارة لنشاط من حوله، ولو أنّ هذا كان انطباعًا لا واعيًا أكثر من أي شيء استطاع المرء أن يحدده.

مع ذلك، تقوس في تلك اللحظة وميض ضوء عبر الهيكل، وكشف بوضوح الأشكال التي كانت قد تشكلت على الجسم الكروي المعتم من الداخل. أشكال عرفها آرثر، أشكال خشنة مشوهة كانت مألوفة بالنسبة إليه على أنها أشكال الكلمات، جزء من ما في عقله. جلس بضع ثوانٍ في صمت ذاهل

عندما اندفعت الصور في ثنايا عقله، وحاولت أن تعثر علىً مكان ما لتستقر وتمتلك معنى.

قال له جزء من دماغه أنه عرف تمامًا إلى ما كان ينظر، وما مثلته الأشكال، فيما رفض جزء آخر بفطنة تامة تشجيع الفكرة وتخلي عن مسؤولية أي تفكير إضافي في ذلك الاتجاه.

جاء الوميض ثانية وهذه المرّة لم يكن ممكنًا وجود أي شك.

همس آرثر: «الأرض...»

قال سلارتيبارتفاست مبتهجًا: «حسنًا، الأرض **الثانية** في الحقيقة، نحن نصنع نسخة أخرى من مخططاتنا الأصلية».

كانت هناك وقفة.

قال آرثر ببطء وبتشديد: «هل تحاول أن تخبرني أنكم في الأصل... صنعتم الأرض؟»؟

قال سلارتيبارتفاست: «أوه نعم، هل ذهبت يومًا إلى مكان... أظن أنه كان يدعى النرويج؟»

قال آرثر: «لا، لا، لم أفعل».

قال سلارتيبارتفاست: «مؤسف، كان ذلك واحدًا من أمكنتي. فاز بجائزة كما تعلم. حواف مجعدة ومحببة. شعرت باستياء شديد عندما سمعت أنه دمر».

«كنت مستاءً!»

«نعم. بعد خمس دقائق ولم يعد الأمر يهم كثيرًا. كانت فوضي صادمة تمامًا».

قال آرثر: «هاه؟»

«كانت الفئران محتدة».

«كانت الفئران محتدة؟»

قال الرجل المسن بوداعة: «أوه، نعم».

«نعم، حسنًا، وأتوقع أن الكلاب والقطط وخلد الماء كانوا كذلك، لكن...»

«آه، لكن لم يكونوا قد دفعوا مال من أجل ذلك، كما ترى، هل فعلوا؟»

قال آرثر: «انظر، هل سيوفر عليك الكثير من الوقت إذا استسلمت وفقدت صوابي الآن؟»

إلى حين حلقت السيارة الطائرة في صمت ثقيل. ثم حاول الرجل المسن أن يشرح بصبر.

«يا ابن الأرض، كان الكوكب الذي عشت عليه موكلًا إلى الفئران الذين عملوا على إدارته مقابل المال. دُمر قبل خمس دقائق من إنهاء الغرض الذي بني من أجله، ويجب علينا بناء واحد آخر».

كانت كلمة واحدة فقط يتردد صداها في بال آرثر.

قال: «الفئران؟»

«أجل يا ابن الأرض».

«انظر، آسف، هل نتحدث عن الأشياء الصغيرة البيضاء المكسوة بالفراء، التي تحب الجبن، وحين تراهن النساء يقفن على طاولات ويصرخن في مسلسلات تلفزيونية عرضت في بداية الستينيات؟»

سعل سلّة رتيبارتفاست بتهذيب.

قال: «يا ابن الأرض، يصعب أحيانًا تتبع كلامك. تذكر أني كنت نائمًا داخل كوكب ماغرثيا هذا خمسة ملايين سنة ولا أعرف سوى القليل عن مسلسلات بداية الستينيات التي تتحدّث عنها. هذه المخلوقات التي تدعونها فئرانًا، كما ترى، هي ليست تمامًا كما تبدو. إنهم مجرد نتوء في بعدنا، الكائنات الوافرة الشاملة الأبعاد الفائقة الذكاء. إن الأمر برمته مع الجبنة والصرير مجرد واجهة».

توقف الرجل المسن وواصل مع تقطيبة ودية.

«أخشى أنهم كانوا يجرون التجارب عليكم».

فكر آرثر بهذا للحظة ثم صفا وجهه.

قال: «آه لا، أرى مصدر سوء الفهم الآن. لا، انظر، كما ترى، كان ما حدث أننا اعتدنا على إجراء التجارب عليهم. كانوا مستخدمين غالبًا في البحث السلوكي، بافلوف وكل تلك الأمور. إذن ما حدث كان أن الفئران ستخضع لجميع أنواع الاختبارات، تعلم رن الأجراس، الجري في متاهات دائرية وأمور

أخرى حتى يمكن فحص طبيعة عملية التعلم برمتها. من خلال ملاحظاتنا لسلوكهم تمكنا من تعلم كل أنواع الأمور الخاصّة بـ...»

توقف صوت آرثر.

قال سلارتيبارتفاست: «يا له من دهاء، يجب على المرء إبداء إعجابه به».

قال آرثر: «ماذا؟»

«إلى أي مدى أخفوا طبيعتهم الحقيقية بأفضل صورة، وإلى أي حد وجهوا تفكيركم؟ يجرون فجأة متاهة بطريقة خاطئة، يأكلون القطعة الخاطئة من الجبن، على نحو غير متوقّع يسقطون صرعى ورم مخاطي، التأثير التراكمي هائل إذا تم حسابه بدقة».

توقف للتباهي.

«كما ترى يا ابن الأرض، إنها حقًّا كائنات حاذقة، وفائقة الذكاء، وشاملة الأبعاد بصورة خاصة. شكل كوكبك وشعبك مصفوفة جهاز كمبيوتر أساسي يشغل برنامج بحث مدته عشرة ملايين سنة... دعني أروي لك القصة كاملة. سوف تستغرق بعض الوقت».

قال آرثر بوهن: «الوقت، إنّه ليس إحدى مشكلاتنا حاليًا».

25

توجد بالطبع الكثير من المسائل المتصلة بالحياة، والأكثر شهرة من بينها هي: لماذا يولد الناس؟ لماذا يموتون؟ لماذا يرغبون في قضاء وقت طويل وهم يرتدون الساعات الرقمية؟

منذ ملايين السنين سئمت سلالة من الكائنات الفائقة الذكاء الشاملة الأبعاد (لا يختلف مظهرهم البدني في كونهم الشامل الأبعاد عن مظهرنا) من الجدال المستمر حول معنى الحياة، اعتاد هذا الجدال منعهم من متابعة تسليتهم المفضلة في لعب ألترا كريكيت البروكية (وهي لعبة طريفة تضمنت ضرب الناس فجأة لغير سبب ظاهر ثم الهرب) حتى أنهم قرروا الجلوس وحل مشكلاتهم نهائيًا.

وقد صمموا بأنفسهم لتحقيق هذه الغاية كمبيوترًا خارقًا كان ذكيًا مذهلًا، حتى أنه قبل أن يتم وصل مخازن المعلومات الخاصّة به بدأ من «**أنا أفكر إذن أنا**» ووصل به الأمر إلى حد استنتاج وجود حلوى الأرز بالحليب وضريبة الدخل قبل أن يتمكّن أحد من إيقاف تشغيله.

كان بحجم مدينة صغيرة.

كانت وحدة التحكم الأساسية موضوعة في غرفة مكتب تنفيذي مصمم خصيصًا، مركبة على طاولة تنفيذية ضخمة مصنوعة من أجود أنواع الخشب فوق الماهوغني، المغطى بجلد غني بالموجات فوق الحمراء. كان السجاد الغامق فخمًا بتحفظ، كانت أيضًا النباتات غريبة وطبعات منقوشة بذوق حسن لمبرمجي الكمبيوتر الرئيسين، وأسرتهم منشورة بحرية في أرجاء الغرفة، ونوافذ جليلة تطل على ساحة عامّة تصطف الأشجار على جوانبها.

وصل مبرمجان اثنان في يوم التشغيل العظيم يرتديان ملابس رصينة ويحمل كل منهما حقيبة، وظهرا في المكتب متحفظين. كانا مدركين أنهما سوف يمثلان هذا اليوم عرقهم كاملًا في أعظم لحظاته، لكنهما تصرفا بهدوء وسكون عندما جلسا باحترام أمام المكتب، فتح كل واحد حقيبته وأخرج مفكرته ذات الغلاف الجلدي.

كانا يدعيان لانكويل وفوك.

جلسا بضع لحظات بصمت، ثم انحني لانكويل إلى الأمام بعد أن تبادل مع فوك نظرة هادئة، ومسَّ لوحًا صغيرًا أسود.

أشارت براعة الهمهمات إلى أن الكمبيوتر الضخم في وضعية نشطة كليًا الآن. بعد وقفة تحدث معهما بصوت ثري ومدو وعميق.

قال: «ما المهمة العظيمة التي استدعيت من أجلها إلى الوجود، أنا تفكير عميق، أعظم ثاني كمبيوتر في كون الزمكان؟»

نظر لانكويل وفوك بعضهما إلى بعض متفاجئين.

بدأ فوك: «مهمتك أيها الكمبيوتر...»

قال لانكويل بقلق: «لا، انتظر دقيقة، هذا ليس صحيحًا، نحن صممنا بوضوح هذا الكمبيوتر ليكون أعظم جهاز كمبيوتر على الإطلاق، ولا نرضى بالمرتبة الثانية». خاطب الكمبيوتر: «يا تفكير عميق، ألست كما صممناك لتكون، أعظم كمبيوتر على الإطلاق والأكثر قوة؟»

دندن تفكير عميق: «وصفت نفسي على أني ثاني أعظم كمبيوتر، وهذا ما أنا عليه».

سرت نظرة قلقة أخرى بين المبرمجين الاثنين. تنحنح لانكويل.

قال: «لا بد من وجود خطأ ما، ألست كمبيوتر أعظم من المليارد غارغانتيبرين في ماكسيميغالون، الذي يستطيع في جزء من الثانية إحصاء جميع الذرات الموجودة في نجم واحد؟»

قال تفكير عميق بازدراء سافر: «المليارد غارغانتيبرين؟ إنِّه مجرد معداد، لا يستحق الذكر».

قال فوك وهو ينحني إلى الأمام بلهفة: «أولست محلل أعظم من غوغل بليكس ستار ثينكر، في مجرة الضوء والابتكار التابعة، الذي يستطيع حساب مسار كل ذرة غبار في عاصفة رملية قوية على مدى خمسة أسابيع من عواصف كوكب دانغراباد بيتا؟»

قال تفكير عظيم بنبرة متغطرسة: «عاصفة رملية مدتها خمسة أسابيع؟ أنت تشك في هذا؟ أنا الذي توقعت حركة الذرات في الانفجار العظيم نفسه؟ لا تزعجني بأمر حاسبة الجيب هذا».

جلس المبرمجان الاثنان في صمت حرج انحنى لانكويل إلى الأمام ثانية.

قال: «لكن ألست خصمًا أكثر وحشية من المتفوق العظيم هايبرلوبيك أومني كونجيت نيوترون رانجلر لسيسيرونيكيوس الإثني عشر، السحري والجَلود؟»

قال الكمبيوتر وهو يشدّد بشكل كامل على حروف الراء في أثناء لفظها: «المتفوق العظيم هايبرلوبيك أومني كونيجت نيوترون يستطيع الكلام دون انقطاع إلى درجة يستطيع من خلالها إقناع ميجا دونكي من كوكب **آركتورس** بالجلوس على مؤخرته، لكني أنا الوحيد الذي يستطيع حمله على الذهاب في نزهة بعد ذلك».

سأل فوك: «إذن ما المشكلة؟»

قال تفكير عميق بنبرة رنانة رائعة: «لا توجد مشكلة، أنا ببساطة أعظم ثاني كمبيوتر في كون الزمكان».

أصر لانكويل: «لكن لماذا الثاني؟ لماذا تستمر في قول الثاني؟ أنت بالتأكيد لا تفكر بتيتان مولر الملتيكورتيكويد بيرسبيكوترون، أليس صحيحًا؟ أو البوندرماتيك أو الـ...»

توهجت أضواء محتقرة عبر وحدة تحكم الكمبيوتر.

قرقع قائلًا: «لا أصفح عن وحدة مفردة من التفكير على هذين المغفلين السبرانيين! لا أتحدث شيء سوى الكمبيوتر الذي سيأتي بعدي!»

كان فوك يفقد صبره. دفع مفكرته جانبًا وتمتم: «أظن أنّ هذا يتحول ليصبح حديثًا غير ضروري عن المسيح المنتظر».

أوضح تفكير عميق: «أنت لا تعلم شيئًا عن الزمن المستقبلي، ومع ذلك في دوائر الكهربية المزدحمة يمكنني التنقل في تيارات الدلتا اللا نهائية من الاحتمالات المستقبلية وأرى أنه لا بد أن يأتي في يوم جهاز كمبيوتر لا أكون جديرًا بحساب معاييره التشغيلية، لكن سوف يكون قدري في النهاية أن أصممه».

تنفس فوك الصعداء بشدة ونظر نحو لانكويل.

سأل: «هل يمكننا أن نتابع ونطرح سؤالًا؟»

أومأ لانكويل له أن ينتظر.

سأل: «ما هذا الكمبيوتر الذي تتحدّث عنه؟»

قال الكمبيوتر: «لن أقول المزيد عنه في الوقت الحاضر، الآن. اسألني ماذا أيضًا تريدني أن أعمل. تحدَّث».

هو أحدهما كتفه للآخر. ضبط فوك نفسه.

قال: «أوه أيها الكمبيوتر، المهمة التي صممناك لأدائها هي هذه. نريدك أن تخبرنا...» توقف: «الجواب!»

قال الكمبيوتر: «الجواب؟ الجواب على ماذا؟»

ألح فوك: «الحياة!»

قال لانكويل: «الكون!»

قالا في وقت واحد: «كل شيء!»

توقف تفكير عميق للحظة تأمل.

قال أخيرًا: «مُربِك»

«لكن هل تستطيع أن تفعلها؟»

وقفة معبرة مرة أخرى.

قال تفكير عميق: «نعم، أستطيع».

قال فوك بانفعال لاهث: «هل يوجد جواب؟»

أضاف لانكويل: «جواب بسيط؟»

قال تفكير عميق: «نعم، الحياة، الكون، وكل شيء. هناك جواب. لكن»، أضاف: «علي أن أفكر حتى أصل إليه».

دمر اللحظة اضطراب مفاجئ: انفتح باب واندفع رجلان غاضبان يرتديان أردية الجامعة الزرقاء الباهتة الخشنة وأحزمة جامعة الكروكسون في الغرفة يدفعان جانبًا الخدم العاجزين الذين حاولوا سد طريقهما.

صرخ أصغر الرجلين وهو يدفع بكوعه حنجرة سكرتيرة شابة جميلة: «نحن نطالب باعتراف!»

صرخ الأكبر سنًا: «لا يُمكنك أن تبقينا خارجًا!» ودفع مبرمجًا أقل مرتبة إلى الخلف عبر الباب.

«نحن نطالب بأنك لا تستطيع أن تبقينا خارجًا!» زعق الأصغر سنًا ولو أنه كان الآن داخل الغرفة، ولم يبذل المزيد من المحاولات لإيقافه.

قال لانكويل وهو ينهض بغضب عن مقعده: «من أنت؟ ماذا تريد؟».

أعلن الأكبر سنًا: «أنا ماجيكثايس».

صرخ الأصغر سنًا: «وأنا أطالب بأني فرومفوندل».

تحول ماجيكثايس نحو فرومفوندل وشرح غاضبًا: «لا بأس، ليس عليك أن تطالب بذلك».

زعق فرومفوندل وهو يخبط على مكتب قريب: «لا بأس؛ أنا فرومفوندل، وهذا ليس طلبًا، هذه حقيقة ثابتة. ما نطلبه هو حقائق ثابتة!»

هتف ماجيكثايس بغضب: «لا، لا نفعل! هذا بالضبط ما لا نطلبه!»

توقف فرومفوندل بصعوبة لالتقاط أنفاسه وصرخ: «لا نطلب حقائق ثابتة! ما نطلبه هو غياب تام للحقائق الثابتة. أطلب أن أكون فرومفوندل أو لا أكون!»

هتف فوك الغاضب: «لكن من أنتما بحق الشيطان؟»

قال ماجيكثايس: «نحن فيلسوفان».

قال فرومفوندل ملوحًا بإصبع محذر نحو المبرمجين: «مع ذلك قد لا نكون».

أصر ماجيكثايس: «نعم نحن كذلك، نحن بالتأكيد هنا بصفتنا ممثلين عن الاتحاد المدمج للفلاسفة، نحن الحكماء والمثقفون وأشخاص آخرون قادرون على التفكير، ونريد أن يتم إيقاف تشغيل هذه الآلة، ونريدها أن تتوقف عن العمل الآن!»

قال لانكويل: «ما المشكلة؟»

قال ماجيكثايس: «سوف أخبرك ما المشكلة يا رفيق.. تعيين الحدود.. تلك المشكلة!»

صاح فرومفوندل: «نحن نطالب أن يكون أو لا يكون تعيين الحدود هو المشكلة!»

حذَّر ماجيكثايس: «دع فحسب الآلات تواصل عملها في عملية الجمع، وسوف نعتني بالحقائق الأبدية، شكرًا جزيلًا لكم. يجب أن تتحقّق من وضعك القانوني، افعل ذلك يا رفيق. من الواضح تمامًا أن السعي وراء الحقيقة المطلقة بموجب القانون هو امتياز للمفكرين العاملين لديك غير القابل للتصرف. أي آلة لعينة تذهب وتعثر عليها فعليًا ونحن بلا عمل مئة بالمئة، ألسنا كذلك؟ أعني، ما فائدة جلوسنا حتى منتصف الليل نتجادل احتمال وجود إله من عدمه إذا أعطتك هذه الآلة رقم هاتفه صباح اليوم التالي؟»

صرخ فرومفوندل: «هذا صحيح، نحن نطالب بمناطق محددة بصلابة من الشك وعدم اليقين!»

طن صوت جهوري فجأة عبر الغرفة.

استفسر تفكير عميق: «هل يمكنني أن أدلي بملاحظة عند هذه المرحلة؟»

صاح فرومفوندل: «سوف نُضرِب!»

وافق ماجيكثايس: «هذا صحيح. سوف يكون بين أيديكم إضراب فلاسفة وطني!»

تعاظم فجأة مستوى الهمهمة في الغرفة عندما تدخلت عدة وحدات إضافية لتشغيل الجهير مثبتة في خزانة مكبرات صوت ملمعة ومنحوتة برصانة حول الغرفة، لمنح صوت تفكير عميق قدرًا قليلًا من القوة الإضافية.

نعر الكمبيوتر: «كل ما أردت قوله هو أن دوائري الآن ملتزمة بشكل لا يمكن الرجوع عنه بحساب جواب السؤال النهائي للحياة، والكون، وكل شيء» توقف مقتنعًا أنه حظي الآن بانتباه الجميع قبل أن يواصل بهدوء أكبر: «لكن البرنامج سوف يأخذ بعض الوقت كي يشتغل».

رمق فوك ساعته بنفاد صبر.

قال: «كم من الوقت؟»

قال الكمبيوتر: «سبعة ملايين سنة ونصف».

طرف كل من لانكويل وفوك بعضهما إلى بعض.

صاحا في وقت واحد: «سبعة ملايين سنة ونصف!»

قال الكمبيوتر بلهجة خطابية: «نعم، قلت إن علي التفكير في الأمر، ألم أقل ذلك؟ ويخطر لي أن تشغيل برنامج مثل هذا لا بد أن يخلق قدرًا هائل من

الدعاية الشعبيّة لحقل الفلسفة كله. سيكون لدى الجميع نظرياته الخاصّة حول الإجابة التي سأخرج بها في النهاية، ومن خير منكما ليستفيد من سوق الإعلام هذا سوى أنتم؟ لذا ما دام يمكنكما الحفاظ على تنافركما وتناحركما بعنف كافٍ، واغتياب بعضكما بعضًا في الصحافة الشعبيّة، وما دام لديكما عملاء أذكياء، يمكنكما الحصول على الربح غير المنتظر طوال الحياة، كيف يبدو لكما هذا؟»

فغر الفيلسوفان فميهما ونظرا إليه مذهولين.

قال ماجيكثايس: «اللعنة، هذا ما أدعوه تفكيرًا. فرومفوندل، لماذا لا نفكر مطلقًا بأشياء من هذا القبيل؟»

همس فرومفوندل برعب شديد: «لا أعرف، ظننت أن دماغنا لا بد أن يكون مدربًا جيدًا يا ماجيكثايس».

وبهذا القول استدارا على أعقابهما وخرجا من الباب نحو أسلوب حياة يتفوق على أكثر أحلامهما جموحًا.

26

قال آرثر بعد أن روى له سلارتيبارتفاست تفاصيل هذه القصة المهمة: «نعم، مفيدة جدًّا، لكن لا أفهم ما علاقة كل هذا بالأرض والفئران والأشياء».

قال الرجل المسن: «هذا ليس سوى النصف الأول من القصة يا ابن الأرض، إذا كنت مهتمًا باكتشاف ما حدث بعد سبعة ملايين سنة ونصف، في يوم الجواب العظيم، اسمح لي أن أدعوك إلى مكتبي حيث يُمكنك اختبار الأحداث بنفسك على تسجيلات الأشرطة الحساسة سنسوتاب. ما لم تكن مهتمًا بالذهاب في جولة سريعة على سطح كوكب الأرض الجديد. أخشى أنه نصف مكتمل فحسب، حتى أني لم انته من دفن هياكل الديناصورات الاصطناعية العظمية في الأرض بعد، ثم علينا بسط الفترات الثالثة والرابعة للعصر الحديث و...»

قال آرثر: «لا، شكرًا لك، لن يكون الأمر نفسه تمامًا».

قال سلارتيبارتفاست: «لا، لن يكون». وأدار السيارة الطائرة وتوجه عائدًا نحو الجدار الممل.

27

كانت الفوضى التامة تعم مكتب سلارتيبارتفاست، مثل حصيلة انفجار في مكتبة عامّة. قطّب الرجل العجوز عندما دخلا.

قال: «مؤسف جدًّا، انفجر صمام ثنائي في أجهزة الكمبيوتر الداعمة للحياة. عندما حاولنا إحياء فريق التنظيف اكتشفنا أنهم موتى منذ ما يقارب الثلاثين ألف سنة. من سوف يزيل الجثث؟ هذا ما أريد معرفته. انظر، لماذا لا تجلس هناك وتدعني أوصلك؟»

أومأ لآرثر نحو كرسي بدا كما لو أنه مصنوع من القفص الصدري لستيغوصور.

«لقد صنع من قفص صدري لستيغوصور»، شرح الرجل العجوز وهو يدور حول قطع من أسلاك الالتقاط تظهر من تحت أكوام الورق المتداعية وأدوات الرسم. قال: «هاك، امسك هذه»، ومرر طرفي زوج من الأسلاك المجرّدة إلى آرثر.

حالما أمسكهما حلَّق طائر عبره مباشرة.

كان معلقًا في الجو وغير مرئي تمامًا لنفسه. كانت تحته ساحة مدينة جميلة تصطف على جنباتها الأشجار، وفي كل ما حولها بقدر ما تستطيع العين أن ترى، كانت مباني بيضاء أسمنتية ذات تصميم واسع متجدد الهواء، لكنّها في حالة رثة بطريقة، ما، كان الكثير مصدعًا وملطخًا بالمطر. مع ذلك، كانت الشمس مشرقة اليوم، رقصت نسمة عليلة بخفة عبر الأشجار، والإحساس الغريب بأن جميع المباني كانت تهمهم بهدوء، ربما كان سببه حقيقة أن الساحة وجميع الشوارع من حولها كانت مزدحمة بالناس المبتهجين والمهتاجين. في مكان ما كانت فرقة تعزف، أعلام ملونة بألوان زاهية ترفرف في النسيم، وروح المهرجان كانت منتشرة.

شعر آرثر بوحشة استثنائية، كان عالقًا في الهواء فوق كل شيء ولم يكن يشعر بجزء كبير من جسده، لكن قبل أن يتاح له الوقت للتفكير في هذا، رن صوت في أنحاء الساحة كلها، ودعا الجميع إلى الانتباه.

كان هناك رجل واقف على منصة، مكسوًا بألوان زاهية أمام المبنى الذي احتل الساحة، يخاطب الجماهير بوضوح من خلال جهاز **تانوي** لمخاطبة العامة.

صاح: «أيها الناس الذين ينتظرون جواب تفكير عميق! أحفاد المكرمان فرومفوندل وماجيكثايس، أعظم فيلسوفين عرفهما الكون، وأكثرهم إثارة للاهتمام بحق.... انتهى وقت الانتظار!»

اندلعت هتافات جامحة بين الجماهير. رفرفت أعلام ورايات، وعواء ذئاب انتشر عبر الهواء. بدت الشوارع الضيقة مثل حشرة أم أربع وأربعين، تتدحرج على ظهرها وتلوح بأرجلها بشكل محموم في الهواء.

صاح القائد المبتهج: «انتظرت سلالتنا هذا اليوم العظيم والمنير والمأمول سبعة ملايين سنة ونصف. يوم الجواب!»

اندلعت هتافات ابتهاج من الجمهور المنتشي.

صاح الرجل: «لن يحدث مرّة أخرى مطلقًا أن نستيقظ في الصباح ونفكر: من أكون؟ ما هدفي في الحياة؟ هل يهم حقًّا، بشكل كوني، إن لم أنهض وأذهب إلى العمل؟ لأننا اليوم سوف نعرف أخيرًا مرة نهائية الجواب الواضح والبسيط على كل هذا المسائل الصغيرة المنكدة عن الحياة والكون وكل شيء!»

عندما ثارت الجماهير ثانية وجد آرثر نفسه ينزلق عبر الهواء وينزل نحو إحدى النوافذ الكبيرة الفخمة في الطابق الأول للبناء خلف المنبر الذي كان المتحدث يخاطب الجماهير منه.

اختبر لحظة ذعر عندما تهادى مباشرة نحو النافذة، لكنّها مرّت بسلام عندما وجد بعد ثانية أنه اخترق الزجاج الصلب دون مسه فيما يبدو.

لم يعلق أحد في الغرفة على وصوله المميز، لم يكن وصوله بالكاد مفاجئًا ما دام لم يكن هناك. بدأ يدرك أن التجربة برمتها كانت مجرد عرض مسجل تفوق على فيلم بمقاس سبعين ميليمترًا سداسي المسار.

كانت الغرفة مثلما وصفها سلارتيبارتفاست إلى حد كبير. كان قد اعتني بها جيدًا خلال سبعة ملايين سنة ونصف، ونُظفت بانتظام كل ما يقرب من قرن. كان المكتب فوق الماهوغوني باليًا عند حوافه، بهتت ألوان السجادة قليلًا الآن، لكن محطة الكمبيوتر العريضة كانت موضوعة في مجد متألق على سطح المكتب الجلدي، لامعة كما لو أنها صُنعت بالأمس.

جلس رجلان بصرامة محترمة أمام المحطة وانتظرا.

قال أحدهما: «يكاد الوقت يداهمنا»، وتفاجأ آرثر عندما رأى كلمة تتجسّد فجأة في هواء خفيف جدًّا قرب عنق الرجل. كانت الكلمة **لونكوال**، وومضت عدة مرات ثم اختفت ثانية. قبل أن يتمكّن آرثر من استيعاب هذا، تحدث الرجل الآخر وظهرت كلمة **فاوتشغ** قرب عنقه.

قال الرجل الثاني: «قبل خمسة وسبعين ألف جيل، وضع أسلافنا هذا البرنامج موضع التنفيذ، وبعد كل ذلك الوقت سوف نكون أول من يسمع الكمبيوتر يتحدث»

وافق الرجل الأول: «مطمح رائع يا فاوتشغ». وأدرك آرثر فجأة أنه كان يشاهد تسجيلًا مع ترجمة.

قال فاوتشغ: «نحن من سيسمع الجواب عن سؤال الحياة العظيم...»

قال لونكوال: «الكون...»

«وكل شيء...!»

قال لونكوال بإيماءة خفيفة: «صه، أظن أن «تفكير عميق» يستعد للكلام!»

مرّت لحظة توقف مترقب بينما انبعثت الحياة في اللوحات ببطء على جبهة وحدة التحكم. ومضت أضواء من آن لآخر على نحو تجريبي واستقرت إلى نمط عملي. صدر صوت دمدمة خفيضة ناعمة من قناة الاتصال.

قال تفكير عميق أخيرًا: «صباح الخير».

قال لونكوال بعصبية: «صباح الخير يا تفكير عميق، هل لديك.... أقصد...»

قاطعه تفكير عميق بجلال: «جواب من أجلك؟ نعم. لديَّ».

ارتجف الرجلان بالترقب. لم يضع انتظارهما سدى.

أخذ فاوتشغ نفسًا وقال: «هل هناك جواب حقًّا؟»

أكد تفكير عميق: «يوجد جواب حقًّا».

«عن كل شيء؟ عن سؤال الحياة العظيم، الكون، وكل شيء؟»

«نعم».

تدرب الرجلان من أجل هذه اللحظة، أفنيا حياتهما، استعدادًا لها، كانا قد اختيرا منذ الولادة كي يكونا من سيشهد الجواب، لكن مع ذلك وجدا نفسيهما يلهثان ويرتبكان مثل طفلين منفعلين.

ألح لونكوال: «وهل أنت مستعد لتعطينا إياه؟»

«أنا كذلك».

«الآن؟»

قال تفكير عميق: «الآن».

لعق كل منهما شفتيه الجافتين.

أضاف تفكير عميق: «ولو أني لا أظن أنكما سوف تعجبان به».

قال فاوتشغ: «لا يهم، يجب أن نعرفه! الآن!».

استفسر تفكير عميق: «الآن؟»

«نعم! الآن...»

قال الكمبيوتر: «لا بأس»، وتناهى إلى الصمت ثانية. تململ الرجلان. كان التوتر لا يطاق.

قال تفكير عميق: «أنتما حتمًا لن تعجبا به».

«أخبرنا!»

قال الكمبيوتر: «لا بأس، الجواب عن السؤال العظيم...»

«نعم...!»

قال الكمبيوتر: «الحياة، والكون، وكل شيء...»

«نعم...!»

قال الكمبيوتر: «هو...» وتوقف.

«نعم...!»

«هو...»

«نعم..؟!»

قال الكمبيوتر بهدوء وعظمة لا حد لها: «اثنان وأربعون»..

28

مر وقت طويل قبل أن يبدأ أحد الكلام.

استطاع فاوتشغ أن يرى بطرف عينه بحرًا من الوجوه المترقبة والمشدودة في الساحة في الخارج.

همس قائلًا: «سوف نُعدم من غير محاكمة، أليس كذلك؟»

قال تفكير عميق بوداعة: «كانت تلك مهمّة عسيرة».

صاح لونكوال: «اثنان وأربعون! هل ذلك كل ما لديك نتيجة عمل استمر سبعة ملايين سنة ونصف؟»

قال الكمبيوتر: «لقد تحققت منه بالكامل، وذلك هو الجواب بالتأكيد. لكي أكون صادقًا معكم تمامًا، أظن أن المشكلة أنكم لم تعرفوا فعليًا قط ما السؤال».

ولول لونكوال: «لكنه كان السؤال العظيم! السؤال النهائي للحياة، والكون، وكل شيء!»

قال الكمبيوتر كما لو أنه يحتمل حمقهما بسرور: «نعم، لكن ما السؤال نفسه؟»؟

زحف صمت بطيء ذاهل على الرجلين عندما حملقا إلى الكمبيوتر ثم بعضهما إلى بعض.

اقترح فاوتشغ بوهن: «حسنًا، كما تعلم، إنّه فقط كل شيء... كل شيء...»

قال الكمبيوتر: «بالضبط؟ إذن ما إن تعرف ما السؤال نفسه، سوف تعرف معنى الجواب».

تمتم فاوتشغ وهو يرمي مفكرته جانبًا، ويذرف، دمعة صغيرة: «أوه، هذا مريع».

قال لونكوال: «انظر، حسنًا، حسنًا، هل يُمكنك من فضلك أن تخبرنا السؤال؟»

«السؤال النهائي؟»

«نعم!»

«سؤال الحياة، والكون، وكل شيء؟»

«نعم!»

أمعن تفكير عميق في التفكير لحظة.

قال: «هذا مُربك».

صاح لونكوال: «لكن هل تستطيع؟»

أمعن تفكير عميق في التفكير بهذا لحظة طويلة.

قال بحزم أخيرًا: «لا»

انهار الرجلان على كرسييهما بيأس.

قال تفكير عميق: «لكن سأخبركما من يستطيع فعل ذلك».

نظرا إليه بحدة.

«من؟ أخبرنا!»

شعر آرثر فجأة بأن فروة رأسه غير الموجودة ظاهريًا بدأت بالتحرك؛ إذ وجد نفسه يتحرك ببطء لكن بعناد قدمًا نحو لوحة التشغيل، لكنه استنتج أن ذلك لم يكن سوى تضخيم دراماتيكي من قبل صانع التسجيل.

«لا أتحدث إلا عن جهاز الكمبيوتر الذي سيأتي من بعدي» قال جهاز الكمبيوتر واسترد صوته نبرته الخطابية المألوفة: «جهاز كمبيوتر؛ أنا لست جديرًا حتى بحساب معاملاته التشغيلية، ومع ذلك سوف أصممه من أجلكم. كمبيوتر يمكنه صياغة سؤال الجواب النهائي، كمبيوتر على قدر من التعقيد اللا محدود والبارع، حتى أن الحياة العضوية نفسها سوف تشكل جزءًا من مصفوفته الإجرائية. وأنتم أنفسكم سوف يكون لكم أشكال جديدة وستكونون في الكمبيوتر لإطلاق برنامجه ذي عشرة الملايين سنة! نعم! سوف أصمم هذا الكمبيوتر من أجلكم. وسوف أسميه لكم أيضًا. سوف يدعى... الأرض».

نظر فاوتشغ نحو تفكير عميق مدهوشًا فاغر الفم.

قال: «يا له من اسم رتيب»، وظهرت شقوق عظيمة على طول جسده. أصيب لونكوال بجراح بليغة من اللا مكان أيضًا فجأة. تلطخت لوحة تشغيل

الكومبيوتر وتصدعت، ترجرجت الجدران وانهارت، وانهارت الغرفة من أسفلها حتى سقفها...

كان سلارتيبارتفاست واقفًا أمام آرثر ممسكًا كلا السلكين.

شرح: «نهاية الشريط».

29

«زيفود! استيقظ!»

«ماذا؟»

«هيا، استيقظ».

تمتم زيفود: «فقط دعني أفعل ما أجيده، حسنًا؟» وأدار ظهره للصوت عائدًا إلى النوم.

قال فورد: «هل تريدني أن أركلك؟»

قال زيفود ناعسًا: «هل سيمنحك ذلك قدرًا كبيرًا المتعة؟»

«لا».

«ولا أنا. إذن ما الغرض؟ كف عن مضايقتي». تكور زيفود على نفسه.

قالت تريليان وهي تخفض نظرها نحوه: «حصل على جرعة مضاعفة من الغاز، وقصبتين هوائيتين».

قال زيفود: «توقفي عن الكلام، إن محاولة النوم صعبة بما يكفي، بأي حال ما خطب الأرضية؟ كلها باردة وقاسية»

قال فورد: «إنِّه الذهب».

بحركة أشبه بحركات الباليه على نحو مذهل، كان زيفود واقفًا ويمسح الأفق، لأن أرض الذهب انبسطت حتى الأفق في كل اتجاه، ملساء تمامًا وقاسية. لقد لمعت مثل... من المستحيل القول كيف لمعت أنه لا شيء في الكون يلمع بالنحو نفسه كما يلمع كوكب مصنوع من الذهب الصلب.

صاح زيفود بعينين جاحظتين: «من وضع كل ذلك هناك؟»

قال فورد: «لا تنفعل، إنِّه مجرد كتالوج مصوّر».

«ماذا؟»

قالت تريليان: «كتالوج مصوّر، وهم».

«كيف يُمكنك قول ذلك؟» صرخ زيفود، وهو يسقط على يديه وركبتيه ويحدق إلى الأرضية. لكمها ونخسها. كانت ثقيلة جدًّا وملساء بعض الشيء، استطاع أن يعلمها بظفره. كانت صفراء جدًّا ولامعة جدًّا، وعندما تنفس عليها تبخرت أنفاسه بتلك الطريقة المميزة جدًّا والخاصّة التي تتبخر فيها الأنفاس على ذهب صلب.

قال فورد: «تريليان وأنا جئنا منذ مدة، صرخنا وصحنا إلى أن جاء شخص ما ثم واصلنا الصراخ والصياح إلى أن نفد صبرهم ووضعونا في كتالوج كوكبهم المصور لشغلنا حتى يصبحوا على استعداد للتعامل معنا. هذا كله شريط **سنسوتاب** مسجل عليه ما تراه».

حدق زيفود إليه بمرارة.

قال: «آه اللعنة، أنت توقظني من حلمي الجيد جدًّا لتريني حلم شخص آخر». جلس غاضبًا بشدة.

قال: «ما تلك السلاسل من الوديان هناك؟»

قال فورد: «دمغة المصوغات، لقد ألقينا نظرة».

قالت تريليان: «لم نوقظك في وقت أبكر، كان آخر كوكب غارقًا حتى الركبة بالأسماك».

«أسماك؟»

«يحبّ بعض الناس أغرب الأمور».

قال فورد: «وقبل ذلك، لدينا ذهب أبيض بلاتيني. معتم بعض الشيء. مع ذلك ظننا أنك قد تحب رؤيته».

سطعت بحار من الضوء نحوهم في لهب واحد قاس أينما وجهوا نظرهم.

قال زيفود بغضب: «جميل جدًّا».

ظهر في السَّماء رقم أخضر وضخم يستخدم لتعريف عنصر في بيان مصوَّر. ومض وتغير، وعندما نظروا ثانية، كذلك فعلت اليابسة.

عندما قالوا جميعًا بصوت واحد بتقزز: «يععع».

كان البحر أرجوانيًا. كان الشاطئ الذي كانوا عليه مؤلفًا من حصى صغيرة صفراء وخضراء، من المرجح أنها أحجار ثمينة جدًّا. بدت الجبال في البعيد ناعمة وتموج بذرى حمراء. انتصبت بالقرب طاولة شاطئ فضية صلبة مع مظلة مزركشة ذات لون بنفسجي فاتح وشُرَّابات فضية.

ظهرت في الماء لافتة ضخمة، حلت محل رقم الكاتالوج. مكتوب عليها: «مهما كانت ذائقتكم، يمكن لماغرثيا أن تقدمه لكم. نحن لسنا فخورين».

وسقطت خمسمئة امرأة عارية تمامًا من السماء بالمظللات.

في لحظة تبدّد المشهد وتركهم في مرج ربيعي زاخر بالأبقار.

قال زيفود: «أو؛ يا دماغي الاثنين!»!

قال فورد: «هل تريد أن تتحدّث عنه؟»

قال زيفود: «نعم، حسنًا»، وجلس الثلاثة جميعًا، وتجاهلوا المشاهد التي جاءت وذهبت من حولهم.

قال زيفود: «أتخيّل أنه مهما كان ما حل بعقلي، فقد فعلتها. وفعلتها بطريقة لم تكن لتكتشف بواسطة اختبارات الفحص الحكومية. ولم أكن لأعرف أي شيء عنها شخصيًا. أمر جنوني حقًّا، صحيح؟»

أومأ الاثنان الآخران بالموافقة.

«هذا ما أظنه، ما الأمر الفائق السرية حتى أني لا أستطيع أن أدع أي شخص يعرف أني أعرفه، لا الحكومة المجرية، وليس حتى نفسي؟ والجواب هو بوضوح لا أعرف. لكني أجمع بضع أمور معًا ويمكنني أن أبدأ بالتخمين. متى قررت أن أترشح للرئاسة؟ بعد وقت قصير من موت الرئيس يودن فرانكس. هل تتذكر **يودن** يا فورد؟»

قال فورد: «نعم، كان ذلك الرجل الذي التقيناه عندما كنا صغيرين، القبطان الأركتورسي. كان مُضحكًا. أعطانا كستناء عندما اعترضت طريق شاحنته الضخمة. قال إنك أكثر الأولاد الذين رآهم إثارة للدهشة على الإطلاق».

قالت تريليان: «ما هذا كله؟»

قال فورد: «تاريخ قديم، عندما كنا صغيرين معًا على منكب الجوزاء. اعتادت الشاحنات الضخمة الأركتورسية نقل معظم البضائع الكبيرة الحجم بين المركز المجري والمناطق النائية. اعتاد الكشافة التجارية لمنكب الجوزاء العثور على الأسواق، وكان سكان كوكب أركتورس يعملون على سد حاجاتها.

كان هناك الكثير من المضايقات من قبل قراصنة الفضاء قبل أن يتم القضاء عليهم في حروب دوردليس، ووجب على سفن الشحن الضخمة أن تكون مجهزة بالتروس الدفاعية الأكثر غرابة المعروفة للعلم المجري. كانت سفنًا مثل وحوش حقيقيّة وضخمة. كانوا ليكسفوا الشمس في مدار حول كوكب.

«في يوم من الأيام يقرر زيفود الشاب مهاجمة واحدة. على دراجة بخارية بمحرك ثلاثي مصممة من أجل عمل في الطبقة العليا في الغلاف الجوي الستراتوسفير، مجرد ولد. فاشل تمامًا، كان أكثر جنونًا من قرد غاضب. ذهبت معه في الجولة لأني كنت قد حصلت على بعض الخدمات النقدية الآمنة مقابل عدم قيامه هو بذلك، ولم أكن أريده أن يعود بدليل زائف. إذن ماذا حدث؟ ركبنا هذه الدراجة الثلاثية التي كان قد حوَّلها إلى شيء آخر كليًا، عبرنا ثلاثة فراسخ فلكية في غضون أسابيع، ما زلت أجهل كيف اندفعنا في طريق سفينة شحن ضخمة، سرنا نحو المقصورة ملوحين بمسدسين مزيفين وطلبنا كستناء الحصان. لم أعرف أمرًا أكثر جموحًا. ضيع عليَّ مصروف جيب مدة عام. من أجل ماذا؟ كستناء الحصان».

قال زيفود: «كان القبطان هذا الرجل المذهل حقًّا، **يودن فرانكس**. أعطانا طعامًا وشرابًا وأشياء من مناطق غريبة حقًّا من المجرة، والكثير من كستناء الحصان بالطبع، واستمتعنا بوقت رائع جدًّا. ثم أعاد نقلنا إلى الجناح الأكثر أمنًا لسجن دولة منكب الجوزاء. كان رجلًا ظريفًا. بعد ذلك أصبح رئيس المجرة».

توقف زيفود.

كان المشهد من حولهم قد غطس في الظلام حاليًا. دوَّمت غشاوات داكنة حولهم وأشكال ضخمة تربصت بغموض في الظلال. كانت تشق الهواء بين الحين والآخر أصوات كائنات وهمية تقتل كائنات أخرى وهمية. على ما يبدو لا بد أن الناس أعجبوا بهذا النوع من الأمور فحولوه إلى عرض مربح.

قال زيفود بهدوء: «فورد».

«نعم؟»

«قبل أن يموت يودن جاء ليراني».

«ماذا؟! لم تخبرني قط».

«لا».

«ماذا قال؟ من أجل ماذا جاء ليراك؟»

«حدثني عن قلب الذهب، كانت فكرته أنه يتعين عليَّ سرقتها».

«فكرته؟»

قال زيفود: «نعم، والطريقة الممكنة الوحيدة لسرقتها كانت لتكون في حفل الإطلاق».

فغر فورد فاه نحوه في دهشة للحظة، ثم انفجر ضاحكًا بصخب.

قال: «هل تخبرني بأنك أعددت نفسك لتصبح رئيس المجرة لمجرد سرقة تلك السفينة؟»

قال زيفود بابتسامة من نوع كان ليجعل معظم الناس محبوسين في غرفة بجدران ملساء: «هذا كل شيء».

قال فورد: «لكن لماذا؟ ما المهم في امتلاكها؟»

قال زيفود: «لا أعرف، أظن أني لو كنت عرفت عن وعي ما هو مهم جدًّا بشأنها ومن أجل ماذا كنت سأحتاج إليها لكان ذلك قد ظهر في اختبارات فحص الدماغ، ولما كنت نجحت قط. أظن أن يودن حدثني عن الكثير من الأمور التي لا تزال حبيسة».

«إذن، تظن أنك ذهبت وعبثت في دماغك بسبب حديث يودن معك؟»

«كان يجيد الكلام إجادة تامة».

«نعم، لكن زيفود يا رفيقي القديم يجب أن تعتني بنفسك، كما تعلم».

هز زيفود كتفيه.

سأل فورد: «أعني، أليس لديك أي لمحة عن أسباب هذا كله؟»

فكر زيفود بهذا بشدة وبدا أن الشكوك تمر بخاطره.

قال أخيرًا: «لا، لا أبدو أني أسمح بالكشف لنفسي عن أي من أسراري. مع ذلك»، أضاف بعد تفكير إضافي: «يمكنني تفهم ذلك. ما كنت لأثق بنفسي أكثر مما يمكنني أن أبصق جرذًا»

بعد لحظة تلاشي الكوكب الأخير في الكتالوج من تحتهم وتشكل العالم الصُّلب مرّة أخرى.

كانوا جالسين في غرفة انتظار فخمة زاخرة بطاولات سطوحها من الزجاج وجوائز تصميم.

كان يقف أمامهم رجل ماغريثي طويل القامة.

قال: «سوف تراكم الفئران الآن».

30

«كل شيء جاهز الآن»، قال سلارتيبارتفاست مجريًا محاولة واهنة روتينية لإزالة بعض الفوضى المرعبة في مكتبه. التقط قصاصة ورقية من قمة كومة لكنه لم يستطع أن يفكر في أي مكان آخر يضعها فيه، لذا أعادها إلى قمة الكومة الأصلية التي وقعت في الحال. «لقد صمم تفكير عميق الأرض، بنيناها، وعشت أنت عليها»..

أضاف آرثر بقسوة: «وجاء الفوغون ودمروها قبل خمس دقائق من اكتمال البرنامج».

قال العجوز متوقفًا ليحدق إلى أرجاء الغرفة بيأس: «نعم، ذهبت عشرة ملايين سنة من التخطيط والعمل أدراج الرياح. عشرة ملايين سنة يا ابن الأرض... هل يُمكنك أن تتصور ذلك النوع من الفترات الزمنية؟ يمكن لحضارة مجرّية أن تنمو من دودة واحدة خمس مرات متتالية في ذلك الوقت. رحلت».

أضاف: «حسنًا، تلك بيروقراطية بالنسبة إليكم».

قال آرثر متأملًا: «كل هذا، كما تعلم، يشرح الكثير من الأمور. كان لديَّ طوال حياتي هذا الشعور الغريب غير القابل للتعليل أن شيئًا ما كان يجري في العالم، شيء كبير، حتى إنِّه قد يكون شريرًا، ولم يكن أحد ليخبرني ما هو».

قال العجوز: «لا، هذه مجرد بارانويا. جميع من في الكون مصابون بها».

قال آرثر: «الجميع؟ حسنًا، إذا كان الجميع مصابًا بها فربما يعني ذلك شيئًا! ربما في مكان ما خارج الكون الذي نعرفه...».

قال سلارتيبارتفاست قبل أن يصبح آرثر شديد الانفعال: «ربما. من يهتم؟ ربما أنا مسن ومتعب»، واصل: «لكني دومًا افكر في أن فرص معرفة ما يجري حقًّا بعيدة بعدًا غير معقول تمامًا حتى أن الشيء الوحيد الذي يمكن فعله هو أن تقول لنفسك: انس الأمر واشغل نفسك. انظر إليَّ: أنا أصمم السواحل. لقد حصلت على جائزة من أجل النرويج»

فتش بدقة في كومة من الأنقاض وسحب كتلة كبيرة من البلاستيك الشفاف الصلب مكتوب اسمه عليها، ونموذج مصغر للنروج الموضوع داخلها.

قال: «أين المنطق في ذلك؟ لم ألاحظه. لقد كنت أصنع الفيوردات البحرية طوال حياتي. أصبحت مهمّة وعصرية للحظة زائلة، وحصلت على جائزة كبيرة».

قلبها بين يديه بهزة من كتفه ورماها جانبًا بغير اهتمام، لكن ليس بغير اهتمام كبير حتى أنها لم تحط على شيء ناعم.

«في هذه الأرض البديلة التي نبنيها كلفوني بصنع قارة إفريقيا، وبالطبع أنا أصنعها بكل ما يمكن من الفيوردات البحرية مرّة أخرى، فقد صادف أني أحبها، وأنا عتيق الطراز كفاية كي أظن أنها تمنح للقارة شعورًا باروكيًا محببًا. وهم يقولون لي إنها ليست استوائية بما يكفي. استوائية!» أطلق ضحكة جوفاء. «ماذا يهم؟ بالطبع حقق العلم بعض الأمور الرائعة، لكنني أفضل أن أكون سعيدًا على أن أكون مصيبًا في أي يوم من الأيام».

«وهل أنت سعيد؟»

«لا، عند ذلك ينهار كل شيء بالطبع».

قال آرثر متعاطفًا: «مؤسف، بدا أسلوب حياتك جيدًا، بخلاف ذلك».

ومض ضوء أبيض صغير في مكان ما على الجدار.

قال سلارتيبارتفاست: «تعال، ستلتقي الفئران. تسبب وصولك إلى الكوكب بهرج ومرج. لقد رُحِّب به فعلًا، هذا ما أستنتج أنه ثالث حدث مستبعد في تاريخ الكون».

«ما كان الحدثان الأولان؟»

قال سلارتيبارتفاست دون اكتراث: «أوه، ربما فقط مصادفات»، فتح الباب ووقف ينتظر آرثر أن يتبعه.

نظر آرثر حوله مرّة أخرى، ثم إلى نفسه، إلى الملابس المجعَّدة، والمتعرقة التي كان يتمدد بها في الوحل صباح الخميس.

تمتم لنفسه: «يبدو أني أواجه صعوبة هائلة مع أسلوب حياتي».

سأل العجوز بوداعة: «أستميحك عذرًا؟»

قال آرثر: «أوه، لا شيء، مجرد دعابة».

31

من المعروف بالطبع أن إلقاء الكلام على عواهنه يقتل، لكن الحجم الكامل للمشكلة لا يقدر حق قدره دائمًا.

على سبيل المثال، في اللحظة ذاتها التي قال فيها آرثر: «يبدو أني أواجه صعوبة هائلة مع أسلوب حياتي»، انفتح ثقب دودي غريب في نسيج متوالية الزمكان، وحمل كلماته إلى الوراء بعيدًا في الزمن عبر مسافات فضائيّة لا نهائية تقريبًا، إلى مجرة بعيدة حيث كائنات غريبة ومولعة بالحرب تستعد لشن معركة بغيضة بين الأفلاك.

كان القائدان المتخاصمان يلتقيان للمرة الأخيرة.

ساد صمت مريع عبر طاولة التشاور عندما حدق قائد الفلهرجز متألقًا إلى سرواله الحربي القصير الأسود المرصَّع بالجواهر، باستقامة نحو قائد الغوغفونت الجاثم قبالته في سحابة من بخار أخضر طيب الرائحة، وبمليون من الطرادات النجمية المصقولة والمسلحة تسليحًا مرعبًا، مستعدة لإطلاق العنان لموت كهربائي إذا ما أصدر أمرًا من كلمة واحدة، متحديًا المخلوق البغيض أن يسحب ما قد قاله عن أمّه.

هاج المخلوق في بخاره الأملس المشوي، وفي تلك اللحظة بالذات انجرفت الكلمات: **يبدو أني أواجه صعوبة هائلة مع أسلوب حياتي** عبر طاولة المؤتمرات.

لسوء الحظ، كانت هذه أكثر الإهانات التي يمكن تصورها فظاعة في لغة **الفلهرجز**، ولم يكن هناك بد من شن حرب مريعة قرونًا عدة.

أخيرًا بالطبع، بعد أن كانت مجرتهم قد هلكت خلال بضعة آلاف من السنين، أدركوا أن الأمر برمته كان خطأً شنيعًا، وتبعًا لذلك سوى الأسطولان المتقاتلان اختلافاتهم الباقية لكي يشنوا هجومًا مشتركًا على مجرتنا، بعدما علموا بالتأكيد أنها مصدر الملاحظة المسيئة.

لمزيد من آلاف السنوات مزقت السفن العظيمة امتدادات الفضاء الفارغة، وأخيرًا غاصت صارخة نحو أول كوكب صادفته، الذي صادف أنه

كوكب الأرض، حيث ابتلع كلب صغير بالصدفة أسطول المعركة برمته جراء خطأ مروع في الحساب.

يقول هؤلاء الذين يدرسون التفاعل المعقد بين السبب والنتيجة في تاريخ الكون، إن هذا النوع من الأمور يحدث طوال الوقت، لكننا عاجزون عن منعه.

يقولون: «إنها الحياة فحسب»

بعد رحلة قصيرة بالسيارة الطائرة وصل آرثر والماغريثي العجوز إلى عتبة باب. غادرا السيارة ودخلا عبر الباب إلى غرفة انتظار مملوءة بالطاولات الرجاجية السطوح، وجوائز مصنوعة من البلاستك الصلب الشفاف. ومض في الحال تقريبًا ضوء فوق الباب عند الجانب الآخر من الغرفة ودخلا.

قال صوت: «آرثر! أنت بخير!».

قال آرثر مجفلًا إلى حدٍ ما: «هل أنا كذلك؟ أوه وجيد».

كانت الإضاءة خافتة إلى حدٍ ما ومرت لحظة أو نحو ذلك قبل أن يرى فورد، تريليان، وزيفود جالسين حول طاولة كبيرة مزيّنة تزيينًا جميلًا بأطباق غريبة ولحوم حلوة وفواكه عجيبة. كانوا يحشون وجوههم.

سأل آرثر: «ما الذي حلَّ بكم؟»

قال زيفود وهو ينقض على عظمة عضلة مشوية: «حسنًا، كان مضيفانا هنا يسممانا ويدمران عقولنا، وكانا غريبين عمومًا، وقد قدما لنا الآن وجبة لطيفة إلى حدٍ ما لتعويضنا. تفضل»، قال وهو يسحب كتلة من لحم كريه الرائحة من طبق، «تناول شريحة من وحيد القرن النباتي. إنها لذيذة إذا كنت تحب ذلك النوع من الأشياء».

قال آرثر: «مضيفان؟ أي مضيفين لا أرى أي...»

قال صوت منخفض: «أهلًا بك إلى مائدة الغداء أيها المخلوق الأرضي».

نظر آرثر حوله وولول فجأة.

قال: «أوه! توجد فئران على الطاولة!».

ساد صمت حرج عندما نظر الجميع نحو آرثر بحدة.

كان مشغولًا بالتحديق إلى فأرين أبيضين صغيرين جالسين في ما يشبهان كأسي ويسكي على الطاولة. سمع الصمت ونظر حوله إلى الجميع.

قال مدركًا فجأة: «أوه! أوه، آسف، لم أكن مستعدًا تمامًا...»

قالت تريليان: «دعني أقدمك لهما، آرثر، هذا بنجي الفأر».

«مرحبًا»، قال أحد الفارين. ضرب شاربه ما كان لا بد أن يكون لوحًا حساسًا للمس داخل ما يشبه كأس الويسكي، وتحرك إلى الأمام قليلًا.

«وهذا فرانكي الفأر».

قال الفأر الآخر: «سررت بلقائك»، وفعل بالمثل.

ذُهل آرثر.

«لكن... أليسا...»

قالت تريليان: «نعم، إنهما الفاران اللذان جلبتهما معي من الأرض».

نظرت في عينيه وظن آرثر أنه لاحظ هزة الكتفين المستسلمة الطفيفة.

قالت: «هل يُمكنك أن تمرر لي طبق الميجا دونكي الأركتورسي المفروم ذاك؟»

سعل سلارتيبارتفاست بتهذيب.

قال: «المعذرة».

قال الفأر بنجي بحدة: «نعم، شكرًا لك، سلارتيبارتفاست يُمكنك الذهاب».

قال العجوز وهو مأخوذ بعض الشيء: «ماذا؟ أوه... حسن جدًّا، سوف أذهب وأصنع عددًا من الفيوردات البحرية إذن».

قال فرانكي الفأر: «آه، حسن، في الحقيقة لن يكون ذلك ضروريًا، يبدو كما لو أننا لن نكون بحاجة إلى الأرض الجديدة بعد الآن». دوَّر عينيه الصغيرتين الورديتين. «ليس الآن بعد أن وجدنا مواطنًا من هذا الكوكب الذي كان موجودًا هناك قبل ثوان من تدميره».

صاح سلارتيبارتفاست مذعورًا: «ماذا؟ لا يمكن أن تعني ذلك! لديَّ ألف نهر جليدي مهيأ وجاهز للدحرجة على قارة إفريقيا!»

قال فرانكي بشكل لاذع: «حسنًا، ربما يُمكنك أن تأخذ إجازة تزلج سريعة قبل أن تفككها».

صاح العجوز: «إجازة تزلج؛ تلك الأنهار الجليدية أعمال فنية! كفاف منحوتة بأناقة، قمم عالية من الجليد، وهاد جليلة عميقة، الذهاب للتزلج على الفن الراقي سيعد انتهاكًا».

قال بنجي بحزم: «شكرًا لك يا سلارتيبارتفاست، هذا كل شيء».

قال العجوز ببرود: «نعم يا سيدي، شكرًا جزيلًا لكم. حسنًا، وداعًا، يا ابن الأرض» قال لآرثر: «آمل أن يأخذ أسلوب الحياة وضعه الطبيعي».

التفت مومئًا إيماءة مقتضبة لبقية الصحبة وخرج حزينًا من الغرفة.

حدَّق آرثر في إثره غير عارف ما الذي يجب عليه أن يقول.

قال بنجي الفأر: «الآن، إلى العمل».

قرع فورد وزيفود كأسيهما معًا.

قالا: «إلى العمل!»

قال بنجي: «أستميحك عذرًا؟»

نظر فورد من حوله.

قال: «آسف، ظننت أنكما كنتما تقترحان نخبًا».

عدا الفأران بنفاد صبر حول وسائط النقل الرجاجية الخاصّة بهما. استعادا أخيرًا رباطة جأشهما وتقدم بنجي ليخاطب آرثر.

قال: «أيها المخلوق الأرضي، الحالة التي نحن فيها في الواقع هي التالي، كما تعلم كنا ندير كوكبك بشكل أو بآخر في آخر عشرة ملايين سنة لكي نعثر على هذا الشيء القذر المدعو السؤال النهائي».

قال آرثر بحدة: «لماذا؟»

قال فرانكي مقاطعًا: «لا، نحن فكرنا في ذلك فعلًا، لكن ما قلته أنت لا يلائم الجواب. كما ترى: «لماذا؟ اثنان وأربعون»، سؤالك غير مناسب».

قال آرثر: «لا، أقصد لماذا كنتما تفعلان ذلك؟»

قال فرانكي: «أوه، فهمت، حسنًا، كما أظن ولكي أكون صادقًا، إنها مجرد عادة في النهاية. وهذه ليست نقطة النقاش بالتحديد، لقد سئمنا من الأمر؛ برمته، واحتمالية فعل ذلك مرّة أخرى بسبب هؤلاء الفوغون القذرين يصيبني بصراحة تامة بحالة من القلق الصارخ، هل تعلم ما أعنيه؟ لقد كانت الفرصة

الوحيدة الجيدة أني وبنجي أنهينا عملنا المحدد وغادرنا الكوكب مبكرًا لقضاء عطلة سريعة، ومنذ ذلك الحين تمكنا - ببراعة - من العودة إلى ماغرثيا بمساعي أصدقائك الحميدة».

قال بنجي: «ماغرثيا هو بوابة للعودة إلى بعدنا الخاص».

تابع زميله الفأر: «منذ أن حصلنا على عرض بعقد هائل لإجراء عرض المحادثة **5 د**، ودورة محاضرات في العنق البعدي للغابات الخاص بنا، ونحن ميالين إلى قبوله كثيرًا».

قال زيفود على الفور: «كنت لأفعل، ألم تكن لتقبل به يا فورد؟»

قال فورد: «أوه نعم، كنت لأقفز إليه بسرعة طلقة نارية».

ألقى آرثر عليهما نظرة متسائل ما الذي يؤدي إليه هذا كله.

قال فرانكي: «لكن وجب علينا أن يكون لدينا منتج كما ترى، أعني - ذهنيًا - أننا لا نزال بحاجة إلى السؤال النهائي بصيغة أو بأخرى».

انحنى زيفود قدمًا نحو آرثر.

قال: «كما ترى، إذا كانوا جالسين هناك في الاستديو يبدو عليهم الارتياح الشديد ويشيرون فقط -كما تعلم - إلى أنهم يعرفون بالصدفة جواب الحياة، والكون، وكل شيء، ثم عليهم الاعتراف أخيرًا بأنه اثنان وأربعون في الواقع، فربما يكون العرض قصيرًا جدًّا بهذا الشكل. ما من متابعة، كما ترى».

قال بنجي: «يجب أن نمتلك شيئًا يبدو جيدًا».

هتف آرثر: «شيء يبدو جيدًا؟ السؤال النهائي الذي يبدو جيدًا؟ لزوج من الفئران؟»

اتخذ الفأران موقفًا عدائيًا.

قال فرانكي: «حسنًا، أعني، نعم مثالي، نعم البحث النزيه، نعم السعي وراء الحقيقة بكل أشكالها، لكن أخشى أنّ هناك نقطة تأتي حيث تبدأ بالشك في وجود أي حقيقة حقيقيّة، فإنّه يكاد يكون من المؤكد أن اللا نهاية المتعددة الأبعاد للكون برمته تقريبًا يديريها ثلة من المخابيل. وإذا تعلق الأمر بالاختيار بين قضاء عشرة ملايين عام أخرى في اكتشاف ذلك، ومن ناحية أخرى الاكتفاء بأخذ المال والهرب، عندئذٍ يمكنني فعل ذلك بالتمرين».

بدأ آرثر بيأس: «لكن...»

قاطع زيفود: «مهلَا، هل ستفهم هذا أيها الأرضي. أنت منتج الجيل الأخير من مصفوفة ذاك الكمبيوتر، صحيح، وكنت هناك تمامًا حتى لحظة تدمير كوكبك، صحيح؟»

قال فورد بوضوح حسب ظنه: «إذن كان دماغك جزءًا عضويًا من الشكل قبل الأخير لبرنامج الكمبيوتر».

قال زيفود: «صحيح؟»

قال آرثر بارتياب: «حسنًا»، لم يكن على علم بأنه أحسّ يومًا بجزء عضوي من أي شيء. كان قد رأى هذا دومًا على أنه إحدى مشكلاته.

قال بنجي موجهًا عربته الصغيرة الغريبة تمامًا نحو آرثر: «بعبارة أخرى، هناك احتمال كبير أن تكون بنية السؤال مشفرة في بنية دماغك، لذا نرغب في شرائه منك».

قال آرثر: «ماذا؟ السؤال؟».

قال فورد وتريليان: «نعم».

قال زيفود: «مقابل مبلغ كبير من المال».

قال فرانكي: «لا، لا، إنّه الدماغ ما نرغب في شرائه».

«ماذا!»

سأل بنجي: «حسنًا، من سيفتقده؟»

احتج فورد: «اعتقدت أنك قلت إن بوسعك فقط قراءة دماغه إلكترونيًا».

قال فرانكي: «أوه نعم، لكن علينا إخراجه أولًا. يجب أن يكون معدًا».

قال بنجي: «معالجا»

«مقطع قطعًا صغيرة».

صرخ آرثر وهو يميل كرسيه ويبتعد عن الطاولة مرعوبًا: «شكرًا لك».

قال بنجي: «يمكن استبداله دومًا إذا كنت تظن أنه مهم».

قال فرانكي: «نعم، دماغ إلكتروني، دماغ بسيط قد يفي بالغرض».

انتحب آرثر: «دماغ بسيط!»

قال زيفود بتكشيره مفاجئة شريرة: «نعم، عليك فقط أن تبرمجه لتقول: «ماذا؟»، و«لا أفهم»، و«أين الشاي؟»، من سيدرك الفرق؟»

صاح آرثر متقهقرًا إلى الوراء أكثر: «ماذا؟»

قال زيفود: «هل ترى ما أقصد؟» وولول من الألم جراء أمر فعلته تريليان في تلك اللحظة.

قال آرثر: «سوف ألاحظ الفرق».

قال فرانكي الفأر: «لا لن تلاحظ، سوف تكون مبرمجًا كي لا تلاحظه».

توجه فورد إلى الباب.

قال: «انظرا، آسف أيها الفاران الكبيران، لا أظن أننا توصلنا إلى اتفاق».

قال الفاران في وقت واحد: «أظن أنّ علينا أن نتفق»، وتلاشى في لحظة السحر كله من صوتيهما الصغيرين النابضين بالحياة. ارتفعت وسيلة النقل الزجاجيّة عن الطاولة مصدرة صرخة عواء صغيرة وتأرجحت في الهواء نحو آرثر الذي تعثر إلى الخلف نحو زاوية عمياء غير قادر تمامًا على التفكير في أي شيء.

أمسكته تريليان من ذراعه بشدة، وحاولت جره نحو الباب الذي كان فورد وزيفود يكافحان لفتحه، لكن آرثر كان حملًا ثقيلًا، بدا منومًا بالفأرين المحمولين في الجو المنقضين نحوه.

صرخت في وجهه، لكنه اكتفى بالنظر نحوها بدهشة.

بدفعة إضافية فتح فورد وزيفود الباب. كان على الجانب الآخر منه جمع صغير من الرجال القبيحين إلى حدٍ ما الذين استطاع فورد وزيفود أن يستنتجان فقط أنهم كانوا بلطجية من ماغرثيا. لم يكونوا قبيحين فقط، لكن كانت المعدات الطبية التي حملوها معهم أيضًا أبعد ما يكون عن الجمال. انقضوا.

وهكذا كان رأس آرثر على وشك أن يفتح، لم تكن تريليان قادرة على مساعدته، وكان كل من فورد وزيفود على وشك أن تتم مهاجمتهما من عدد من البلطجية أثقل بكثير ومسلحين على نحو أكثر حدة منهما.

عموما، كان الحظ سعيدًا لأن جميع أجراس الإنذار على سطح الكوكب انطلقت عند تلك اللحظة في ضجة تصم الآذان.

32

دوّت الأبواق في جميع أرجاء كوكب ماغرثيا: «طوارئ طوارئ! هبطت سفينة معادية على الكوكب. دخلاء مسلحون في القسم 8 أ. المحطات الدفاعية، المحطات الدفاعية».

تنشق الفأران بعصبية ما حول شظايا وسائل النقل الزجاجيّة الخاصّة بهما، حيث حطت محطمة على الأرض.

تمتم فرانكي الفأر: «اللعنة، كل ذلك الهرج والمرج من أجل دماغ أرضي بوزن رطلين». أسرع هنا وهناك، عيناه الورديتان تومضان، معطفه الأبيض الجميل ينتفش بالكهرباء الساكنة.

قال بنجي وهو يجثم ويلاطف شاربيه مفكرًا: «الأمر الوحيد الذي يمكننا فعله الآن هو محاولة تزييف سؤال، نخترع واحدًا قد يبدو مقبولًا».

قال فرانكي: «صعب»، فكر. «ماذا عن: «ما الشيء الأصفر والخطير؟»»

فكر بنجي في هذا للحظة.

قال: «لا، ليس جيدًا. لا يناسب الجواب».

غرقا في الصمت بضع ثوانٍ.

قال بنجي: «لا بأس، ما نتيجة ضرب ستة في سبعة؟»

قال فرانكي: «لا، لا، حرفي جدًّا، واقعي جدًّا، لن يدعم مصلحة المقامرين».

فكرا من جديد.

ثم قال فرانكي: «لديَّ فكرة. كم طريقًا على المرء أن يسير؟»

قال بنجي: «آه! آها، إن ذلك يبدو واعدًا!» تأمل العبارة قليلًا. قال: «نعم، ممتاز! يبدو سؤال مهمًا جدًّا دون تقييدك فعليًا بمعنى أي شيء على الإطلاق. كم طريقًا على المرء أن يسير؟ اثنان وأربعون. ممتاز، ممتاز، سيحيرهم. فرانكي الصغير، لقد انتهينا!»

أديا رقصة سريعة في غمرة الانفعال.

تمدد قربهما على الأرض عدة رجال دميمي الخلقة نوعًا ما، كانوا قد ضُربوا على رؤوسهم بعدد من جوائز التصميم الثقيلة.

مسافة نصف ميل، اجتاز أربع أشخاص ممرًا باحثين عن مخرج. ظهروا في حجرة كمبيوتر واسعة مفتوحة. نظروا من حولهم بجموح.

قال فورد: «أي طريق تظن يا زيفود؟»

قال زيفود وهو يجري إلى اليمين بين قاعدة جهاز كمبيوتر والجدار: «في تخمين جامح، قد أقول هنا»، عندما انطلق الآخرون في إثره توقف عند ضربة صاعق طاقة من بندقية كيلوزاب عبر الهواء على مسافة بوصات أمامه وحرق قسمًا صغيرًا من جدار محاذٍ.

قال صوت من خلال مكبر للصوت: «حسنًا، بيبلبروكس، ابق هناك. لقد عملنا على تغطيتك».

همس زيفود: «شرطة!» ودوَّم بانحناءة. «هل تريد أن تجرب أي تخمين على الإطلاق فورد؟»

قال فورد «حسنًا، هذا الطريق»، وركض الأربعة في ممر بين قاعدتي جهازي كمبيوتر.

ظهر في نهاية الممر شخص مكسو تمامًا بدرع، ويرتدي ثياب الفضاء، يلوح ببندقية كيلوزاب آثمة.

صاح الشخص: «لا نريد إطلاق النار عليك يا بيبلبروكس!»

صاح زيفود: «مناسب جدًّا!» وغطس في فجوة واسعة بين وحدتين لمعالجة البيانات.

انحرف الآخرون خلفه.

قالت تريليان: «إنهما اثنان. نحن محاصرون».

حشروا أنفسهم في زاوية بين مخزن بيانات كمبيوتر كبير والجدار.

حبسوا أنفاسهم وانتظروا.

فجأة، انفجر الهواء بصواعق الطاقة عندما فتح الشرطيان النار عليهم في وقت واحد.

قال آرثر وهو يجثم ضامًّا ساقيه إلى جسده: «إنهم يطلقون النار علينا. اعتقدت أنهم قالوا إنهم لا يريدون فعل ذلك».

وافق فورد: «نعم، اعتقدت أنهم قالوا ذلك».

رفع زيفود رأسه عاليًا مجازفًا للحظة.

قال: «مرحبًا، اعتقدت أنكم قلتم إنكم لستم راغبين في قتلنا!» وانحنى ثانية.

انتظرا.

أجاب صوت بعد لحظة: «ليس أمرًا سهلًا أن تكون شرطيًا!».

همس فورد مدهوشًا: «ماذا قال؟»

«قال إنّه ليس من السهل أن تكون شرطيًا»..

«حسنًا، بالتأكيد تلك مشكلته، أليس كذلك؟»

«لكنت ظننت ذلك».

صرخ فورد: «مهلًا، اسمعا أظن أن لدينا ما يكفي من المشكلات وأنتم تطلقون النار علينا، لذا إن كان بإمكانكم تفادي إلقاء مشكلاتكم علينا أيضًا، أظن أننا جميعًا سوف نجد أن التعامل مع الأمر أكثر سهولة!»

وقفة أخرى ثم مكبر الصوت ثانية.

قال الصوت عبر مكبر الصوت: «الآن، انظر يا فتى، أنت لا تتعامل مع أي ثنائي غبي من الحمقى البليدين النزقين والوضيعين بأعين صغيرة ولا يمكنهما التحدّث، نحن رجلان ذكيان على الأرجح، سوف تعجب بنا لو التقيتنا في مناسبة اجتماعية أنا لا أذهب وأطلق النار دون مبرر على الناس ثم أتفاخر فيما بعد بهذا الشأن في حانات رثة لحراس الفضاء كما يفعل بعض رجال الشرطة الذين يمكنني ذكر أسمائهم! أنا أذهب وأطلق النار على الناس دون مبرر ثم أتفجع بهذا الشأن فيما بعد عدة ساعات لحبيبتي!»

تدخل الشرطي الآخر: «وأكتب الروايات! ولو أني لم أنشر أيًا منها بعد، لذا من الأفضل أن أحذرك أني في مزاج سيئ!»

كادت عينا فورد تخرجان من محجريهما. قال: «من يكون هذان الشخصان؟»

قال زيفود: «لا أعرف، أظن أني أفضل الحال عندما كانا يطلقان النار».

صرخ أحد الشرطيين: «إذن، هل ستأتون بهدوء أم ستتركوننا ننسفكم؟»

صرخ فورد: «أيهما كنت ستفضل؟»

بعد ميلي ثانية بدأ الهواء حولهم يضطرب ثانية، عندما سقطت الصاعقة تلو الصاعقة من **بندقية كيلوزاب** على لوحة تشغيل الكمبيوتر أمامهم.

استمر وابل من الطلقات عدة ثوان بكثافة لا تحتمل.

عندما توقف كان هناك بضع ثواني من الهدوء النسبي عندما تلاشت الأصداء.

صاح أحد الشرطيين: «أمّا زلتم هناك؟»

ردّوا عليهم: «نعم».

صرخ الشرطي الآخر: «نحن لم نستمتع بفعل ذلك على الإطلاق».

صرخ فورد: «عرفنا ذلك».

«الآن، استمع إلى هذا يا بيبلروكس، ومن الأفضل أن تصغي جيدًا!»

صرخ زيفود: «لماذا؟»

صرخ الشرطي: «لأنّه سوف يكون ذكيًا جدًّا ومثيرًا للاهتمام وبشريًا! الآن، إما أن تسلموا أنفسكم جميعًا الآن وتتركوننا نضربكم قليلًا، ولن يكون ذلك كثيرًا بالطبع، لأننا نناهض العنف غير الضروري بحزم، أو نفجِّر هذا الكوكب برمته، وربما نفجر كوكبًا آخر أو اثنين لاحظناهما في طريقنا إلى هنا!»

صرخت تريليان: «لكن ذلك جنون! لن تفعلا ذلك!»

صرخ الشرطي: «أوه نعم كنا سنفعل»، سأل الشرطي الآخر: «أليس كذلك؟»

أجاب الآخر: «أوه نعم، لا شك في أن علينا فعل ذلك».

سألت تريليان: «لكن لماذا؟»

«لأنّ هناك بعض الأمور التي عليك فعلها حتى لو كنت شرطيًا ليبراليًا ومتنورًا يعرف كل شيء عن التأثر وكل ما إلى ذلك!»

تمتم فورد وهو يهز رأسه: «حسبي أني لا أصدق هذين الرجلين».

صرخ واحد من الشرطيين للآخر: «هل نطلق النار عليهم مرّة أخرى قليلًا؟»

«نعم، لم لا؟» وأطلقا وابلًا كهربيا آخر.

كانت الحرارة والضجة عجيبتين تمامًا. راحت قاعدة الكمبيوتر تتفكك ببطء. ذابت الواجهة بالكامل تقريبًا، وأخذت جداول كثيفة من المعدن المنصهر تلتف عائدة في طريقها إلى حيث كانوا جاثمين. احتشدوا في الخلف وانتظروا النهاية.

33

لكن النهاية لم تأت، على الأقل ليس آنذاك.

توقف وابل النيران فجأة تمامًا، وقوطع الصمت المفاجئ فيما بعد بعدد من أصوات الغرغرة والارتطام.

حدَّق الأربعة بعضهم إلى بعض.

قال آرثر: «ماذا حدث؟»

قال زيفود وهو يهز كتفيه: «توقفا».

«لماذا؟»

«لا أعرف، هل ترغب في الذهاب وتسألهما؟»

«لا».

انتظروا.

صاح فورد: «مرحبًا؟»

ما من جواب.

«هذا غريب».

«ربما هو فخ».

«هما لا يملكان النباهة الكافية».

«ما كانت تلك الأصوات؟»

«لا أعرف».

انتظروا بضع ثوان أخرى.

قال فورد: «صحيح، أنا ذاهب لألقي نظرة».

نظر من حوله نحو الأخرين.

«ألن يقول أحد، لا على الأرجح لا تستطيع، دعني أذهب بدلًا عنك؟»

هز الجميع رؤوسهم.

قال: «أوه حسنًا»، ووقف على قدميه.

مرت لحظة دون أن يحدث شيء.

ثم بعد قرابة ثانية لم يحدث شيء أيضًا. حدَّق فورد عبر الدخان الكثيف الذي كان يموج من كمبيوتر يحترق.

خطا باحتراس نحو المكشوف.

مع ذلك لم يحدث شيء.

استطاع أن يرى بوضوح قليل - مسافة عشرين ياردة عبر الدخان - جسم أحد الشرطيين ببزته الفضائية. كان ممددًا على الأرض في كومة منهارة. تمدد الرجل الثاني مسافة عشرين ياردة في الاتجاه الآخر. لم ير أي شخص آخر في أي مكان.

أدهش هذا فورد؛ إنّه غريب جدًّا.

مشى ببطء وبعصبية نحو الأول. تمدد الجسد ساكنًا تمددًا مطمئنًا عندما اقترب منه، وواصل الاستلقاء مطمئنًا عندما وصل إليه ووضع قدمه على **بندقية كيلوزاب** التي كانت لا تزال تتدلى من أصابعه الرخوة.

مد يده والتقطه دون أن يلقى مقاومة.

كان واضحًا أن الشرطي ميت.

كشف له تفحص سريع أنه من **بلاغولون كابًّا**. كان شكل حياة يتنفس غاز الميثان، معتمدًا بدلة الفضاء للنجاة في غلاف ماغريثيا الجوي قليل الأوكسجين.

ظهر أن جهاز الكمبيوتر الصغير للنظام الداعم للحياة على حقيبة ظهره انفجر انفجارًا غير متوقّع.

تفحصه فورد بدهشة شديدة. كانت أجهزة الكمبيوتر الصغيرة هذه تحتوي - عادة - على نسخة احتياطية كاملة للكمبيوتر الرئيس على السفينة التي كانوا متصلين بها مباشرة عبر **السب-ايثا**. كان مثل هذا النظام في مأمن من

العطل في جميع الظروف ما عدا قصور التغذية الخلفيّة التام الذي لم يسمع به.

أسرع نحو الشخص المنبطح الآخر، اكتشف أن الأمر المستحيل نفسه بالضبط، حدث له على ما يبدو في الوقت نفسه.

نادى الآخرين ليلقوا نظرة. جاؤوا وشاركوه دهشته، لكن ليس فضوله.

قال زيفود: «لنتخلص من هذه الفجوة، إن كان يفترض بي أني أبحث عن أي شيء موجود هنا فأنا لا أريده». أمسك السلاح الثاني، نسف كمبيوتر محاسبة غير مؤذ مطلقًا، وأسرع نحو الممر، متبوعا بالآخرين. كان على وشك أن يدمّر سيارة طائرة وقفت تنتظرهم مسافة ياردات قليلة.

كانت السيارة الطائرة فارغة، لكن آرثر عرف أنها مركبة سلارتيبارتفاست.

كان فيها ورقة منه، مثبتة على جزء من لوح العدادات الضئيل الخاص بها. كان مرسوم في الملاحظة سهم يشير إلى واحد من أزرار التحكم.

كتب عليها: «ربما هذا أفضل زر يمكن الضغط عليه».

34

قذفتهم السيارة الطائرة فجأة بسرعات تزيد على ر 17 عبر الأنفاق الفولاذية المؤدية إلى السطح المريع للكوكب الذي كان الآن في قبضة شفق موحش آخر. تجمد ضوء رمادي شاحب على اليابسة.

(ر) هو مقياس للسرعة معرف على أنه سرعة سفر معقولة تتوافق مع الصحة والرفاه العقلي، ولا تتأخر أكثر من مدة خمس دقائق. من الواضح، بناء على ذلك، إنها رقم متغير بما لا يقاس تقريبًا وفقًا للظروف، لأن العاملين الأولين لا يتغيران فقط مع سرعة يفترض أنها مطلقة، لكن أيضًا مع إدراك العامل الثالث. ما لم يُتعامل مع هذه المعادلة بهدوء يمكن أن ينجم عنها إجهاد كبير وتقرحات قد تؤدي إلى الموت.

ليست ر17 سرعة سير ثابتة لكنّها سريعة بجلاء.

ألقت السيارة الطائرة بنفسها عبر الهواء بسرعة ر17 وأكثر، أودعتهم قرب **قلب الذهب** التي وقفت بصرامة على الأرض المتجمدة مثل عظمة حائلة اللون، ثم اندفعت بتهور إلى الخلف في الاتجاه الذي جاؤوا منه، على ما يبدو في عمل هام يخصها.

وقفوا أربعتهم يرتجفون ونظروا نحو المركبة.

وقفت إلى جانبها مركبة أخرى.

كانت طائرة الشرطة **بلاغولون كابًّا**، شيء منتفخ شبيه بسمكة قرش، لونها أخضر اردوازي وملطخة بأحرف سوداء مطبوعة بدرجات متفاوتة في الحجم وفاترة. أبلغت الأحرف كل من اهتم بأمر قراءتها عن المكان الذي جاءت منه السفينة، أي قسم من الشرطة قد عينت، وأين يجب توصيل مغذيات الطاقة.

بشكل ما بدت داكنة وصامتة بصورة شاذة، حتى وإن كانت سفينة أفراد طاقمها المكون من رجلين ممددين في تلك اللحظة، ومختنقين في غرفة زاخرة بالدخان تحت الأرض مسافة عدة أميال. إنّه واحد من تلك الأمور المثيرة للفضول التي يستحيل شرحها أو وصفها، لكن يمكن للمرء أن يشعر بالأمر عندما تكون مركبة جامدة تمامًا.

استطاع فورد أن يحسّ بها ووجدها شديدة الغموض، مركبة ورجلا شرطة بدوا أنهم ماتوا تلقائيًا. ببساطة، لم يعمل الكون كما يعرفه بتلك الطريقة.

استطاع الثلاثة الآخرون أن يحسوا بذلك أيضًا، لكنهم استطاعوا أن يحسوا بالبرد المرير أكثر حتى وحثوا الخطي عائدين إلى **قلب الذهب**، يعانون هجمة حادة من انعدام الفضول.

بقي فورد، وذهب ليفحص سفينة البلاغولون. كاد يتعثر في أثناء سيره بجسم فولاذي جامد ممدد منبطح على وجهه في التراب البارد.

هتف: «مارفن! ماذا تفعل؟»

جاءت دندنة مكتومة: «من فضلك، لا تشعر بأنك مضطر إلى الانتباه لي».

قال فورد: «لكن كيف حالك أيها الرجل المعدني؟»

«مكتئب».

«ما الأمر؟»

قال مارفن: «لا أعرف، لم أكن هناك قط».

قال فورد وهو يجثم إلى جانبه ويرتجف: «لماذا، هل تضطجع في التُّراب ووجهك للأسفل؟»

قال مارفن: «إنها طريقة ناجعة لمن يشعر بالبؤس، لا تتظاهر بأنك ترغب في التحدث معي، أعرف أنك تكرهني».

«لا، أنا لا أكرهك».

«نعم، أنت تكرهني، الجميع يكرهونني. إنّه جزء من شكل الكون. ليس عليَّ سوى التحدّث إلى شخص ما حتى يبدأ بكرهي. حتى الروبوتات تكرهني. حسبك أن تتجاهلني وأنا أتوقع أني على الأرجح سوف أرحل».

رفع نفسه ووقف على قدميه بثبات مواجهًا الناحية المقابلة.

قال بحزن مشيرًا إلى مركبة الشرطة: «تلك المركبة كرهتني».

قال فورد في هياج مفاجئ: «تلك المركبة؟ ما الذي حدث لها؟ هل تعرف؟»

«كرهتني لأني تحدّثت معها».

هتف فورد: «تحدّثت معها؟ ماذا تقصد بقولك تحدّثت معها؟»

قال مارفن: «بسيطة. شعرت بملل شديد واكتئاب، لذا ذهبت ووصلت نفسي بتغذية جهاز الكمبيوتر الخارجية خاصتها. تحدّثت مع جهاز الكمبيوتر فترة طويلة، وشرحت له وجهة نظري عن الكون».

أصر فورد: «وما الذي حدث؟»

قال مارفن: «انتحر»، وعاد شامخًا إلى قلب الذهب.

35

في تلك الليلة عندما كانت قلب الذهب منهمكة بالابتعاد مسافة بضع سنوات ضوئية عن سديم رأس الحصان، استراح زيفود تحت النخلة الصغيرة في المقصورة محاولًا استرداد العافية والقوة لدماغيه بشرب كمية كبيرة من مشروب ناسف الغرغرة المجرّي الشامل، جلس فورد وتريليان في ركن يناقشان الحياة والمسائل المتأتية عنها، وأوى آرثر إلى سريره ليتصفح نسخة فورد من كتاب دليل المسافر إلى المجرة؛ فقد فكر أنه في الأفضل أن يبدأ معرفة شيء عن المكان بما أنه سيضطر إلى العيش فيه.

عثر على هذه التدوينة.

«ينحو تاريخ كل حضارة مجرّية عظمى تجاه المرور عبر ثلاث مراحل واضحة ومتميزة، مرحلة البقاء والاستفهام والتعقيد، المعروفة بخلاف ذلك على أنها مراحل «كيف، ولماذا، وأين».

«تتميز المرحلة الأولى - على سبيل المثال - بسؤال «كيف نستطيع أن نأكل؟» والثانية بسؤال «لماذا نأكل؟» والثالثة بسؤال «أين يجب أن نتناول الغداء؟»»

لم يصل إلى أبعد من ذلك قبل أن تدب الحياة في نظام الاتصال الداخلي للمركبة.

قال صوت زيفود: «يا ابن الأرض؟ هل أنت جائع يا ولد؟»

قال آرثر: «حسنًا، نعم، أفترض أني جائع بعض الشيء».

قال زيفود: «حسنًا تماسك يا حبيبي، سوف نتناول لقمة سريعة في مطعم عند طرف الكون».

قيل عن الكتاب

"مؤسستي الفلسفية تتماشى مع دوغلاس آدامز؛ إذا كان لكل شخص منا فيلسوفه المفضل، فإن فيلسوفي المفضل هو دوغلاس آدامز".

إيلون ماسك، مؤسس سبيس إكس

"كان آدمز عبقرياً، لم أعرف الكثير من العباقرة في حياتي، بعض الناس الأذكياء المتألقين، والقليل منهم فقط يمكنني أن أصنفهم على أنهم عباقرة ودوغلاس واحدٌ منهم".

نيل غيمان

"الرواية نفسها ، تظل دون شك أكثر الكتب بهجة علي الإطلاق عن الدمار الشامل لكوكب الأرض وسكانه جميعًا".

النيويورك تايمز

المحتويات

Notes

[←1]

الرئيس: اللقب كاملًا «رئيس حكومة المجرة الإمبراطورية».

احتفظ بلقب **إمبراطوري** ولو أنه شكل الآن مفارقة تاريخية. لقد كاد الإمبراطور الذي يرث المنصب يموت، وكان فعليًا ميتًا منذ قرون عديدة. في اللحظات الأخيرة من غيبوبة احتضاره كان حبيسًا في حقل راكد يبقيه في حالة ثبات أبدي. مات الآن جميع وارثيه منذ زمن طويل، وهذا يعني أن السلطة انتقلت دون أي ثورة سياسية عنيفة، ببساطة وعلى نحو فعال درجة أو اثنتين نزولًا على السلم. وهي الآن ترى أنها ممثلة في هيئة اعتادت أن تتصرف ببساطة على أنهم مستشارون للإمبراطور، جمعية حكومية منتخبة ترأسها رئيس انتخبته الجمعية. في الحقيقة لا تقع في مثل هذا المكان.

الرئيس خصوصًا رئيس صوري جدًّا، لا يمارس أي سلطة حقيقة يبدو أن الحكومة اختارته لكن الصفات التي يطلب منه إظهارها ليست تلك الصفات القيادية، إنما صفات غضب محكوم بدقة. لهذا السبب يكون الرئيس دومًا خيارًا خلافيًا، دومًا شخصيّة مستفزة لكن آسرة، وظيفته ليست ممارسة السُّلطة، بل صرف الانتباه عنها. وفقًا لهذه المعايير فإن زيفود بيبلبروكس واحد من أكثر الرؤساء نجاحًا، الذين حظيت بهم المجرة على الإطلاق. أمضى فعلًا اثنتين من سنواته الرئاسية العشر في السجن بتهمة الاحتيال. يدرك عدد قليل جدًّا من الناس أن الرئيس والحكومة لا يملكون عمليًا أي سلطة على الإطلاق، ومن تلك القلة فقط ستة يعرفون أين تساس السلطة السياسية النهائية. يؤمن معظم الآخرين سرًا بأن عملية صنع القرار النهائية يعالجها جهاز كمبيوتر. لا يمكن أن يكونوا مخطئين أكثر من ذلك. (المؤلف).

[←2]

لا يمكن نطق اسم فورد برفكت الأصلي إلا بلهجة منكب الجوزاء الغامضة، انقرضت عمليًا منذ انهيار هرونغ العظيم في كارثة جال. /سيد. / عام 03758 التي مسحت جميع مجموعات البراكسيبتل القديمة على منكب الجوزاء رقم سبعة. كان والد فورد الناجي الوحيد على الكوكب برمته من كارثة انهيار هرونغ العظيم بمصادفة استثنائية، لم يكن قادرًا قط على شرحها بدقة. حجبت القصة كاملة في غموض سحيق: في الحقيقة لم يعرف أحد قط ما هو هرونغ ولا لماذا اختار أن ينهار على منكب الجوزاء رقم سبعة تحديدًا. والد فورد، مزيحًا بنبل غيوم الشك التي لا بد استقرت حوله، جاء ليعيش على منكب الجوزاء رقم خمسة، حيث صار لفورد أبًا وعمًا، منحه عند التعميد اسمًا في ذكرى سلالته الميتة الآن بلهجة براكسيبيتل الغابرة.

لأن فورد لم يتعلم قط أن يقول اسمه الأصلي، توفي والده أخيرًا من الخزي، والخزي لا يزال مرضًا قاتلًا في بعض أجزاء المجرة. لقبه الأولاد الآخرون في المدرسة بال ix، ويترجم في لغة منكب الجوزاء رقم خمسة إلى «الولد العاجز عن شرح ماهية الهرونغ بدقة، ولماذا اختار أن ينهار على منكب الجوزاء رقم سبعة». (المؤلف).